التأثيرات الفارسية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي

"إدارياً – اقتصادياً – اجتماعياً"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد: غدير محمد ياسين الإدلبي إشراف: أ.م د. أرواد العلان أ.م د. حليمة عبد الهادي جامعة دمشق/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

المقدمة

التغير الجذري في موازين القوى على الساحة السياسية من زوال دول حاكمة ومجيء أخرى لا يعني بالضرورة زوال مؤثراتها الحضارية معها، إذ حافظت الشعوب على ما ورثته من القوى التي حكمتها لمئات السنين، فحكمُ دولة لشعب ما ليس أمر سياسي فقط بل يحمل في طياته احتكاكاً حتمياً بين الشعوب ولّد ما عُرف بالحضارة، ويبدو ذلك جلياً فيما اقتبسه العرب المسلمون من الأنظمة الفارسية الساسانية والبيزنطية لا سيّما في المجالات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، والتي ساهمت في تشكيل الدولة العربية الإسلامية وبلورة أنظمتها ولكن بما يتناسب مع مبادئ الشريعة الإسلامية وركائزها.

المنهجية

قد تم الاعتماد في كتابة هذه الفصول على المنهج التاريخي الذي يقوم على استقراء الأحداث التاريخية ثم تفسيرها والربط بينها بشكل دقيق بعيد عن التهويل والمبالغة، ثم تحليلها علمياً وموضوعياً بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية.

الملخص

تتناول هذه الأطروحة المظاهر الحضارية لدى الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية وبعض جوانب الحضارة العربية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي قبل ظهور الإسلام على الصعيد الإداري والاقتصادي والاجتماعي، كما تبين دوافع انتقال المؤثرات الحضارية في هذه المجالات إلى الدولة العربية الإسلامية، وتركز الضوء على التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري والاقتصادي والاجتماعي خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي مع إيضاح المدى الذي وصل إليه هذا التأثير، وقد قُدم هذا البحث لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة دمشق.

النتائج

بنى العرب المسلمون دولتهم اعتماداً على مبادئ شريعتهم الإسلامية واقتبسوا ما احتاجوه من مظاهر حضارية فارسية ساسانية وبيزنطية إيماناً بتفوق وأسبقية حضارتهما وعدم إنكار لتجربتهم وخبرتهم الواسعة في جوانب الحضارة المتعددة، كما لم يتجاهلوا حضارة العرب المتجذرة في نفوسهم والتي توضح كثيراً من الأمور المُسَلَّمة لدى الفرد العربي.

كما لم يسعَ الخلفاء العرب المسلمون في بداية أمرهم نحو التقليد الأعمى للأعاجم ونسخ حضارتهم بحذافيرها بل أخذوا عنهم بعض مظاهرها متى دعت الحاجة لها، فلم ينغلقوا على أنفسهم ولم تأخذهم العزّة دونها، إلا أنهم بدؤوا يحيدون فيما بعد عن نهج أسلافهم تدريجياً في تنظيم الدولة والمجتمع ويميلون إلى تقليد الأعاجم والانجرار ورائهم مما كان لذلك آثاراً سلبية على دولتهم وهويتها.

الدراسة العلمية

شهد القرن الأول الهجري/السابع الميلادي قيام الدولة العربية الإسلامية وتمكنها من القضاء على الدولة الفارسية الساسانية ومن تقويض مساحة ونفوذ الامبراطورية البيزنطية، كما شهد غرس البذور الأولى لوصول الدولة العربية الإسلامية وحضارتها إلى مصاف الدول فيما بعد، لأنها لم تنغلق على نفسها واستقت من تراث أسلافها ما لزمها في سبيل تدعيم أركانها وتطوير أدواتها، وبالتالي فإن تبيان أهم التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية في المجال الإداري والاقتصادي والاجتماعي وتوضيح مدى تأثيرها في شخصية الدولة العربية الإسلامية تعد أهم ما يدرسه هذا البحث.

1. القرشي. يحيى بن آدم ت203هـ/818م. (1987م). ط1. **كتاب الخراج**. تح حسين مؤنس. القاهرة: مصر. دار الشروق. ص:234.
2. الجهشياري. محمد بن عبدوس ت331هـ/942م. (1938م). **الوزراء والكتّاب**. ط1. القاهرة: مصر. مطبعة عبد الحميد حنفي. ص:464.
3. ابن زنجويه. حُميد بن زنجويه. ت251هـ/865م. (1986م). **كتاب الأموال**. ط1. تح شاكر فاض. الرياض: المملكة العربية السعودية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ج1 ص:436.
4. ابن زنجويه. حُميد بن زنجويه. ت251هـ/865م. (1986م). **كتاب الأموال**. ط1. تح شاكر فاض. الرياض: المملكة العربية السعودية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ج1 ص:436.

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ –العرب والإسلام

التأثيرات الفارسية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي
"إدارياً - اقتصادياً - اجتماعياً"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

غدير محمد ياسين الإدلبي

إشراف:

المشرف الرئيس: أ.م د. أرواد العلان

المشرف المشارك: أ.م د. حليمة عبد الهادي

1447هـ/2026م

ملخص الأطروحة:

انتهى عصر السيادة الخارجية الفارسية الساسانية والبيزنطية على العرب وبلادهم، وبدأ حكم العرب لأنفسهم مع قيام الدولة العربية الإسلامية على يد رسول الله محمدﷺ، تلك الدولة التي أنشأها على مبادئ التشريع الإسلامي، إلا أن وفاته ﷺ دفع الخلفاء من بعده إلى تقوية دعائمها من خلال العمل على استقرار أوضاعها الداخلية وتأمين حدودها الخارجية فقضوا على الدولة الفارسية الساسانية وقلصوا نفوذ الامبراطورية البيزنطية في مناطقهم، إلا أنهم لم ينكمشوا على أنفسهم ولم يغلقوا أبواب التواصل مع غيرهم إذ استمرت علاقاتهم مع الامبراطورية البيزنطية متذبذبة ما بين السلمية والعدائية، كما اندمجوا اجتماعياً مع الفرس الساسانيين بعدّة سُبُل كالسبيل الاجتماعي والاقتصادي وحتى الإداري والعلمي، فأثروا وتأثروا بعاداتهم ولغتهم وثقافتهم، كما اقتبسوا من حضارة كل منهما ما لزمهم من مظاهر حضارية إدارية واقتصادية فأنشؤوا الدواوين ونظام البريد واستخدموا نقودهم واستفادوا من تجاربهم السالفة بما لا يتناقض مع أسس شريعتهم، لإيمانهم بأن دولتهم لا تزال غضة جديدة العهد بالحكم والإدارة وهم أصحاب الباع الطويل في ذلك، ولكنهم شرعوا مع مطلع العصر الأموي لا سيما في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (41- 60هـ/661- 680م) بتقليدهم فيما تنافى مع النهج النبوي والراشدي، كاستحداث منصب ولي العهد واتخاذ الحاجب والحرس فضلاً عن إبداء مظاهر الفخامة والأبَّهة، حتى كادت الحضارة العربية الإسلامية أن تفقد هويتها العربية الأصيلة، لذلك عمد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب الدواوين ونقلها إلى اللغة العربية سنة 77هـ/696م كما أمر بضرب السكة العربية الإسلامية الخالصة وأمر باستخدامها فقط دوناً عن غيرها في كل أرجاء الدولة العربية الإسلامية، إلى جانب وضع علم النحو في قواعد اللغة العربية بجهود عدد من العلماء بعدما سمعوا اللحن في اللغة على ألسنة العرب.

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ –العرب والإسلام

التأثيرات الفارسية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي "إدارياً - اقتصادياً - اجتماعياً"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

غدير محمد ياسين الإدلبي

إشراف:

المشرف الرئيس: أ.م د. أرواد العلان

المشرف المشارك: أ.م د. حليمة عبد الهادي

1447هـ/2026م

إهداء

ما الفرق بين النجاح والإخفاق إلا الإصرار

فلم يكن النجاح يوماً وليد الصدفة، بل هو نتاج جهد وتعب وألف تفصيل لم يُرَ

أهدي هذا العمل

إلى مَن غابا عن دنياي ولم يغيبا عن ذاكرتي، أبي وأمي – رحمهما الله- اللذان ما وصلْتُ إلى ما وصلْتُ إليه إلا برضاهما

وإلى مَن شددتُّ به أزري غيث أخي، الذي كان الغيث لروحي في كل مرة كاد اليأسُ أن ينال منها معيداً بكلماته الحانية الأمل لي من جديد

وإلى زوجي الذي دعم مسيرتي وصبر على انشغالي

وإلى أهلي الذين تحملوا معي مشاق إنجاز هذا العمل وكان دعاؤهم لي خير داعم

وإلى أولادي ونور عينَي الذين آمل أن يكون هذا العمل حافزاً لهم ليسعوا نحو أحلامهم بيقين أنَّ المستحيلَ ممكنٌ إن تمسكوا بإيمانهم ووثقوا بقدراتهم وصبروا على متغيرات الحياة

شكر وتقدير

الحمد لله صاحب الفضل والمنَّة على جميل ما أعطى وعظيم ما وهب، والذي لا أبتغي بهذا العمل سوى رضاه وإعلاء كلمته، وإلى خير الخلق وسيد الأنام مخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم النبي الأمّي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

أما بعد، فإني أتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان إلى الأستاذة الدكتورة أرواد العلان والأستاذة الدكتورة حليمة عبد الهادي اللتَيْن جهدتا في تصويب ما كان في هذا العمل من هفوات وتقديم النُصح والإرشادات والتوجيهات ليبصر هذا البحث النور رغم اليقين بأن العمل الكامل لم يُكتب بعد ولن يُكتب.

والشكر موصول أيضاً إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضَّلوا بقراءة هذا البحث وتقييمه للارتقاء به نحو الأفضل، وإلى جميع أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم وأخذتُ عنهم الكثير.

وإلى كل يدٍ رافقتني من قريب أو من بعيد، وإلى كل مَن ساهم في إتمام هذا العمل ولو بكلمة، أرسل تحية تقدير وثناء.

دليل رموز البحث

صفحة	ص
جزء	ج
المجلد	مج
تُوفي	ت
قبل الميلاد	ق. م
ميلادي	م
هجري	هـ
ترجمة	تر
تحقيق	تح
اقتباس	" "
طبعة	ط
دون تاريخ نشر	(د.ت)
دون مكان نشر	(د. م)
دون ناشر	(د. ن)
Page	P
Volume	V

فهرس المحتويات:

ملخص الأطروحة	
المقدمة	1
1. مكونات البحث	4
2. إشكالية البحث وتساؤلاته	6
3. أهداف البحث	7
4. أهمية البحث	7
5. مسوغات (مبررات) البحث	7
6. مصطلحات البحث	8
7. حدود البحث	9
8. الدراسات المرجعية	9
9. منهج البحث وأدواته	11
10. صعوبات البحث	11
الفصل الأول: أوضاع الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية ومظاهرهما الحضارية في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	
أولاً: أوضاع الدولة الفارسية الساسانية ومظاهرها الحضارية:	13
1. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية قبيل تسلم الملك كسرى أبرويز.	13
2. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية خلال عهد الملك كسرى أبرويز (590– 628م).	22

3. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	31
أ- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً.	31
ب- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اقتصادياً.	36
ج- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اجتماعياً.	39
ثانياً: أوضاع الامبراطورية البيزنطية ومظاهرها الحضارية:	44
1. أوضاع الامبراطورية البيزنطية قبيل تسلم الامبراطور هرقل.	44
2. أوضاع الامبراطورية البيزنطية خلال عهد الامبراطور هرقل (610- 641م):	52
أ- استلامه للعرش وإصلاحاته الداخلية.	52
ب-أسباب الصراع بين البيزنطيين والفرس الساسانيين.	56
ج- حرب الامبراطور هرقل على الفرس الساسانيين واستعادة أراضيه المسلوبة 1هـ/622م.	58
3. المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً:	60
أ- المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً.	60
ب-المظاهر الحضارية البيزنطية اقتصادياً.	67
ج- المظاهر الحضارية البيزنطية اجتماعياً.	73
الفصل الثاني: احتكاك العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين والبيزنطيين وعوامل انتقال مؤثراتهم الحضارية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" إلى الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	
أولاً: أوضاع الدولة العربية الإسلامية ومظاهرها الحضارية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	81

1. أوضاع الدولة العربية الإسلامية.	81
2. أسس ومظاهر الحضارة العربية والإسلامية:	88
أ- ملامح من حضارة العرب قبل الإسلام.	86
ب-أسس الحضارة العربية الإسلامية.	93
ج- المظاهر الحضارية في الدولة العربية الإسلامية.	95
ثانياً: عوامل انتقال المؤثرات الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" إلى الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	125
1. الفتوحات العربية الإسلامية.	125
2. الرقيق والسبي والموالي.	128
3. اللغة العربية.	130
4. الحج.	131
5. العوامل الاقتصادية.	133
6. السفارات والمراسلات بين الدولة العربية الإسلامية والامبراطورية البيزنطية.	134
7. الأسواق.	139
8. الترجمة.	141
9. الاعتماد على الموظفين الأجانب.	143
ثالثاً: اندماج العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين ومظاهره.	145
الفصل الثالث: أوجه التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	
أوجه التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري:	149

أولاً: اعتماد الدولة العربية الإسلامية على التقسيم الإداري الموجود في بلاد الشام ومصر.	150
ثانياً: إنشاء الدواوين وهي:	156
1. ديوان الجُند.	157
2. ديوان الخراج.	160
3. ديوان الخاتَم.	164
4. ديوان الرسائل.	167
ثالثاً: إنشاء نظام البريد.	168
رابعاً: وظيفة الحاجب واتخاذ الحرس وإنشاء المقصورة.	170
خامساً: استحداث منصب ولي العهد.	175
سادساً: إبداء مظاهر الفخامة والأبّهة لدى الخلفاء وفي مجالسهم.	180
الفصل الرابع: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيدَيْن الاقتصادي والاجتماعي خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:	
أولاً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيد الاقتصادي:	192
1. استخدام النقود والموازين الفارسية الساسانية والبيزنطية.	192
2. التأثُّر بنظام الضرائب الفارسي الساساني والبيزنطي.	197
ثانياً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيد الاجتماعي:	201
1. الطعام والشراب وآدابهما.	201
2. نمط اللباس والمظهر الخارجي.	206

3. زيادة انتشار مجالس الطرب واللهو.	209
4. عادة عزل النساء عن الرجال.	215
ثالثاً: نتائج التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية.	215
الخاتمة	227
الملاحق	233
المصادر والمراجع	246

ملخص الأطروحة:

انتهى عصر السيادة الخارجية الفارسية الساسانية والبيزنطية على العرب وبلادهم، وبدأ حكم العرب لأنفسهم مع قيام الدولة العربية الإسلامية على يد رسول الله محمد ﷺ، تلك الدولة التي أنشأها على مبادئ التشريع الإسلامي، إلا أن وفاته ﷺ دفع الخلفاء من بعده إلى تقوية دعائمها من خلال العمل على استقرار أوضاعها الداخلية وتأمين حدودها الخارجية فقضوا على الدولة الفارسية الساسانية وقلصوا نفوذ الامبراطورية البيزنطية في مناطقهم، إلا أنهم لم ينكمشوا على أنفسهم ولم يغلقوا أبواب التواصل مع غيرهم إذ استمرت علاقاتهم مع الامبراطورية البيزنطية متذبذبة ما بين السلمية والعدائية، كما اندمجوا اجتماعياً مع الفرس الساسانيين بعدّة سُبُل كالسبيل الاجتماعي والاقتصادي وحتى الإداري والعلمي، فأثروا وتأثروا بعاداتهم ولغتهم وثقافتهم، كما اقتبسوا من حضارة كل منهما ما لزمهم من مظاهر حضارية إدارية واقتصادية فأنشؤوا الدواوين ونظام البريد واستخدموا نقودهم واستفادوا من تجاربهم السالفة بما لا يتناقض مع أسس شريعتهم، لإيمانهم بأن دولتهم لا تزال غضة جديدة العهد بالحكم والإدارة وهم أصحاب الباع الطويل في ذلك، ولكنهم شرعوا مع مطلع العصر الأموي لا سيما في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (41- 60هـ/661- 680م) بتقليدهم فيما تنافى مع النهج النبوي والراشدي، كاستحداث منصب ولي العهد واتخاذ الحاجب والحرس فضلاً عن إبداء مظاهر الفخامة والأبَّهة، حتى كادت الحضارة العربية الإسلامية أن تفقد هويتها العربية الأصيلة، لذلك عمد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب الدواوين ونقلها إلى اللغة العربية سنة 77هـ/696م كما أمر بضرب السكة العربية الإسلامية الخالصة وأمر باستخدامها فقط دوناً عن غيرها في كل أرجاء الدولة العربية الإسلامية، إلى جانب وضع علم النحو في قواعد اللغة العربية بجهود عدد من العلماء بعدما سمعوا اللحن في اللغة على ألسنة العرب.

وهكذا فإن الحضارة العربية الإسلامية كانت نتاج تفاعل بين الأسس والمبادئ العربية والإسلامية وبين ما استلهمته من مظاهر حضارية فارسية ساسانية وبيزنطية والتي أخذت بدورها من حضارات سالفة لها وأضافت إليها، وبالتالي فإن الحضارات تنمو وتزدهر بالتفاعل بينما تتراجع بالانغلاق.

المقدمة:

ليست المدنية حكراً على جنس من الناس دوناً عن آخر فقد تظهر في هذه القارة أو تلك، وقد تنشأ عن هذا اللون من البشرة أو ذاك لأن نشوء المدنية العظيمة توجده الظروف الجغرافية والاقتصادية وهي التي تحدد ثقافة الجنس الذي سيسير تبعاً لها، ولأنه لم يعطَ الكمال لمكان أو إنسان أصبح الاختلاف حتمياً، فلكل منطقة جغرافيتها وثرواتها ومواردها التي تنقص غيرها من البقاع، وكل إنسان يتفرَّد عن أخيه بأمور كثيرة لا تقتصر على الشكل والمظهر فقط بل بالعادات والسلوك أيضاً، ولأن قدرة الإنسان مطلقة في أمور ومحدودة في أخرى ومعدومة في غيرها، كان لزاماً عليه أن يحتكَّ مع الآخر ليكمل النقص الذي لديه، وبالتالي فإن الحضارات عبر التاريخ ما هي إلا خليط أجناس وعرقيات مختلفة تعارفت وتعايشت فيما بينها إلى أن وصلت إلى التكامل والوحدة التي تقبل بالتنوع، وهكذا كان النقص أساس الكمال.

ولكن احتكاك الشعوب ببعضها تم على وجهَيْن، فمنهم من سلك طريق فرض النفوذ والسيطرة، مما جعل العلاقات فيما بينهم عدائية ومتوترة وما يلحقها من شنّ للحروب وأسر للأسرى الذين يحملون معهم ثقافة مجتمعاتهم فينقلونها حيث ذهبوا، وهناك أيضاً من اتَّبع سبيل الود، حيث أقامت بعض الدول أحلافاً مع جيرانها واتفقوا على تحقيق مصالحهم المشتركة وتبادلوا السفارات الرسمية وسيَّروا القوافل التجارية في أراضيهم بترحاب يتبايعون البضائع ويتناقلون الخبرات، كما لم تقتصر العلاقات بينهم على الجانب الرسمي فقط بل عيَّنوا الموظفين الأجانب وأرسلوا البعثات والرحلات التعليمية للتعرف على ثقافات أخرى فتأثروا بهم واقتبسوا ما يفيدهم من آخر ما توصلّوا إليه من العلوم والفنون، وما لحق ذلك من ازدهار حركة الترجمة والتأليف، وذلك بالإضافة إلى الزواج إما السياسي أو اللا سياسي والذي زاد من توطيد العلاقات بينهم وولَّد جيلاً جديداً تمتزج فيه صفات الشعبَيْن ومميزاتهما.

وقد سلكت الدول الكبرى سبيل الصراع الذي امتد لمئات السنين على اختلاف الأسر الحاكمة، ولم يتخلل ذلك سوى أوقات قصيرة من السلم والتي كانت بمثابة هدن بين جولات القتال، وقد بدا هذا جلياً في علاقة الدولة الفارسية الساسانية مع الامبراطورية البيزنطية، إذ لطالما اشتركتا في حروب طويلة كانت حلقة جديدة في سلسلة الصراع بين الشرق والغرب، وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذه الحروب قد ساهمت في انتقال المؤثرات الحضارية بينهما من خلال الاتصالات الدبلوماسية أو بواسطة الأسرى عندما تصاب الامبراطوريتَيْن بالإرهاق، فيتم التوقيع على معاهدات السلام والهُدَن، ريثما تُعاد خلالها تهيئة القوات وترميم الفجوات، وعندما تكتمل الاستعدادات تُخرق الاتفاقات بحرب جديدة.

وتوجَّب على كل من الفرس الساسانيين والبيزنطيين على حدٍ سواء استكمالاً لإجراءات حفظ أمن بلادهم وحدودها الخارجية أن يتعاملوا مع العرب ويسترضوهم، بسبب ما عانوه من غارات القبائل العربية على أراضيهم وصعوبة ملاحقتهم إذا ما توغلوا إلى داخل البادية فارّين، لذلك دعمت بيزنطة تأسيس مملكة الغساسنة في بلاد الشام، بينما ساند الفرس الساسانيون المناذرة في الحيرة وأقاموا لهم مملكة خاصة بهم، ولضمان ولائهما قاموا بزرع بذور الفتنة بينهما دون إدراك أن السحر سينقلب على الساحر لاحقاً، إذ انفجرت هذه الفتن ووصلت شظاياها إلى الدول الكبرى الفارسية الساسانية والبيزنطية، وأثرت على استقرار سياستهما الخارجية، فزادت أسباب ضعفهم سبباً ولم يعد هناك ما يمنع من انهيارهما، فقد خويت الخزائن ونضبت البلاد من الرجال جرَّاء الحروب المتتالية على مر العصور.

وكما كانت علاقة بيزنطة مع فارس والعرب أبرز مثال على احتكاك الدول والشعوب ببعضها عن طريق العداء السياسي والعسكري إلا أن هناك أيضاً من اتبع سبيلاً آخر كالدولة العربية الإسلامية، التي تشكلت نواتها الأولى مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي في المدينة المنورة على يد رسول التوحيد محمد ﷺ والذي هاجر إليها من مكَّة المكرَّمة مع مَنْ آمن بدعوته من رجال ونساء وأطفال، فتمكن خلال عدة سنوات أن يرسي قواعد الدولة العربية الإسلامية التي خاضت عدداً من المعارك والغزوات ضد المشركين في

مكَّة المكرَّمة دفاعاً عنها، متطلعاً بانتصاراته نحو تحقيق أول مبادئ الإسلام في عالمية الدعوة وعدم حصره في أرض أو قوم محددَيْن، ليترك بوفاته ﷺ سنة 11هـ/632م دولة ستتمكن بيد خلفائه من إكمال ما قد بدأه، حيث ورث أصحابه ﷺ دولة غضَّة اهتزت دعائمها بغيابه من خلال ارتداد عدد من القبائل في شبه الجزيرة العربية عن هذا الدين، ولدرء خطر ذلك على الدولة الناشئة وجَّه الخليفة الأول أبو بكر الصّدّيق ﷺ الجيوش إلى كافة أنحاء شبه الجزيرة العربية لقتال أعدائه بحروب عُرفت باسم حروب الردة، والتي ضمن بعد انتهائها إعادة كل من ارتد إلى سالف عهده من الولاء للدولة العربية الإسلامية، واستقرار الوضع الداخلي دفعه إلى إرسال الجيوش العربية الإسلامية ضد كل من فارس الساسانية وبيزنطة اللتَيْن لم تعترفا بهذه الدولة الجديدة ولم تلتزما بقواعد جِوارها وواظبتا على إيذائها، فتمكنت هذه الجيوش خلال عهد الخليفة الأول أبو بكر الصّدّيق ﷺ والخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ من طرد الفرس الساسانيين عن كامل أرض العراق والقضاء على الدولة الفارسية الساسانية، ومن فتح بلاد الشام وتقليص الوجود البيزنطي في المنطقة، حتى إنهم وصلوا خلال عصر الخلفاء الأمويين إلى حدود العاصمة البيزنطية القسطنطينية وحاولوا فتحها والدخول إليها ولكن تعددت الأسباب دون تحقيق هذه الغاية.

وهذا التغير الجذري في موازين القوى على الساحة السياسية من زوال دول حاكمة ومجيء أخرى لا يعني بالضرورة زوال مؤثراتها الحضارية معها، إذ حافظت الشعوب على ما ورثته من القوى التي حكمتها لمئات السنين، فحكمُ دولة لشعب ما ليس أمراً سياسياً فقط بل يحمل في طياته احتكاكاً حتمياً بين الشعوب ولّد ما عُرف بالحضارة، ويبدو ذلك جلياً فيما تأثّر به العرب المسلمون من الأنظمة الفارسية الساسانية والبيزنطية لا سيّما في المجالات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، والتي ساهمت في تشكيل الدولة العربية الإسلامية وبلورة أنظمتها ولكن بما يتناسب مع مبادئ الشريعة الإسلامية وركائزها.

1. مكونات البحث:

اشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول، وقد تضمن **أولها** توضيحاً لأوضاع الدولة الفارسية الساسانية قُبيل تسلم الملك كسرى أبرويز لعرشها إلى جانب الأحداث التي طرأت عليها خلال عهده، بالإضافة إلى شرح وافٍ لما كانت تمر به الامبراطورية البيزنطية آنذاك من أحداث سياسية ومن حرب طويلة ومعارك جمعت بين الطرفَيْن وأرهقت كل منهما واستنزفت مواردهما، مع توضيح شامل للمظاهر الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية لكلا الدولتَيْن إدارياً واقتصادياً واجتماعياً.

بينما اختص **الفصل الثاني** بلمحة عن حضارة العرب قبل الإسلام ثم توضيحاً لمراحل قيام الدولة العربية الإسلامية وأهم الأسس التي قامت عليها حضارتها على كافة الأصعدة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وما تخللها من مؤثرات حضارية فارسية ساسانية وبيزنطية وعوامل انتقال هذه المؤثرات إليها خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي سيما المؤثرات الفارسية الساسانية.

ليكون **الفصل الثالث** متضمناً لأدق تفاصيل التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي على الصعيد الإداري كإنشاء الدواوين ونظام البريد وغيرها

أما **الفصل الرابع** فقد ذُكر أوجه الأثر البيزنطي والفارسي الساساني على الدولة العربية الإسلامية في المجال الاقتصادي كاستخدام عملتهم واعتماد نظام الضرائب لديهم، وفي المجال الاجتماعي أيضاً كتوضيح الأثر في اللغة والمأكل والملبس وبعض العادات الاجتماعية، واختُتم الفصل بموجز عن هذا التأثير في مجالات حضارية أخرى كالعسكرية والفكرية والعلمية وغيرها مع توضيح مقتضب لاستمرار هذا التأثير حتى العصر العباسي في دوره الثاني.

وقد تم الاعتماد في كتابة هذا البحث على عدد من المصادر البيزنطية التي أغنت البحث بمعلومات قيّمة عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية ككتاب الاستراتيجية Maurice's Strategikon الذي ألفه الامبراطور

موريسMaurice خلال القرن السادس الميلادي، والذي ضم شرحاً لحياة القادة والجنود العسكريين خلال التحركات العسكرية، إلى جانب وصف دقيق للباسهم ونمط معيشتهم، بالإضافة إلى أسماء وألقاب القادة العسكريين البيزنطيين آنذاك وغير ذلك من معلومات مهمة، وإلى جانبه كتاب تاريخ الأزمنة Chronicle of Theophanes confessor للمؤرخ ثيوفانس Theophanes الذي امتاز بغنى معلوماته ودقتها حول أحوال الامبراطورية البيزنطية قبيل تسلُّم الامبراطور هرقل لعرشها مع شرح وافٍ للأسباب التي أدت إلى وصوله لسدة الحكم فيها، إضافة إلى التاريخ المختصر Short History للبطريرك نيقفوروس Nikephoros والذي أفاد هذا البحث في معلوماته التي تتعلق بعهد الامبراطور هرقل من هجوم الفرس على مصر والمناطق البيزنطية وما أسفر عنه من أحداث، وكذلك علاقة الامبراطور هرقل بالعرب المسلمين.

كما تم الرجوع إلى عدد من المصادر السريانية ككتاب التاريخ الكنسي Ecclesiastical history of the church لإيفاجريوس Evagrius الذي أفاد البحث بمعلومات موثقة عن الديانة المسيحية وأهم المذاهب التي انبثقت عنها، وكتاب تاريخ مار ميخائيل الكبير حيث تكمن أهميته في توضيح بعض الجوانب المهمة في سياسة الامبراطور هرقل الدينية واجتياح كسرى الثاني أبرويز للأراضي البيزنطية، إلى جانب كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري.

بالإضافة إلى بعض المصادر الأرمينية ككتاب تاريخ هرقل Histoire d’ Héraclius للمؤلف سيبيوس Sebeos وبعض المصادر الفارسية مثل كتاب فارس نامة لابن البلخي الذي أفاد البحث بمادته الغنية عن ثورة بهرام جوبين على كسرى أبرويز، وكتاب الشاهنامة للفردوسي الذي أمدَّ البحث بوصف أحداث وصول كسرى أبرويز لعرشه وأهم مجريات عهده الطويل بعد الاستنجاد بالامبراطور البيزنطي موريس، إلى جانب كتاب سفر نامة لناصر خسرو وهو كتاب جغرافي يحكي قصة رحلته إلى مصر، مما جعله مليء بالأمور التاريخية والمشاهدات الحية وبالتالي فقد أغنى البحث بمعلومات جغرافية غزيرة تتميز بالدقة.

وكذلك تم الاعتماد على عدد من المصادر العربية ككتاب الأموال لمؤلفه زنجويه وقد أفاد هذا الكتاب البحثَ في معرفة مصادر الدخل في الدولة العربية الإسلامية كالخراج والجزية والفيء والغنيمة بشكل تفصيلي دقيق، وإلى جانبه كتاب الوزراء والكُتَّاب للجهشياري والذي يعدُّ من أهم الموارد عن الوزراء والكتاب في الدولة العربية الإسلامية وهو غني بالحوادث التاريخية وهناك كتاب أدب الكُتَّاب للصولي وقد أفاد البحث في معلوماته عن أدوات الكتابة من دواة وحبر وقراطيس وأقلام وكيفية تحرير الكتب، وما أورده عن الدواوين ووجوه الأموال التي ترد إلى بيت مال المسلمين، وأخيراً كان لا بدَّ من الرجوع إلى بعض المراجع العربية والمعربة والأجنبية.

2. إشكالية البحث وتساؤلاته:

نشأت الدولة العربية الإسلامية بجوار الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية واستطاعت تدريجياً وبسرعة مذهلة ومن خلال عوامل عدة القضاء على إحداهما وتقويض نفوذ الأخرى، إلا أنها تأثرت بحضارتهما المغرقة في القِدم واستفادت من خبرتهما الطويلة في المجال الإداري والاقتصادي كما تأثرت ببعض مظاهرهما الاجتماعية، وخلال هذا البحث سيتم الإجابة على بعض الإشكاليات والتساؤلات التي قد تواجه القارئ مثل:

1. إلى أي مدى وصل تأثير الحضارتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطية على الحضارة العربية الإسلامية؟
2. هل كان تأثر العرب المسلمين بالحضارتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطية متناسباً مع احتياجاتهم ومتوافقاً مع مبادئهم أم كان تقليداً أعمى أدى بهم إلى الابتعاد عن نهج أسلافهم؟
3. هل صبغ العرب المسلمون ما تأثروا به من مظاهر حضارية بصبغتهم الخاصة وأضافوا عليها وطوروها أم أبقوها على حالها؟
4. متى بدأ تأثُّر العرب المسلمين بالحضارتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطية؟

5. متى بدأ بعض العرب المسلمين يميلون إلى المغالاة في اتّباع المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية في دولتهم وأنظمتهم وعاداتهم، ولماذا؟
6. ما هي انعكاسات تأثُّر بعض الخلفاء العرب المسلمين ببعض مظاهر الحضارتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطية على الحضارة العربية الإسلامية؟
7. هل كان التأثير الفارسي الساساني على الحضارة العربية الإسلامية أكثر من التأثير البيزنطي؟ ولماذا؟

3. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن التأثيرات الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية وكيفية وعوامل انتقالها خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ولا سيما في المجال الإداري والاقتصادي والاجتماعي، إلى جانب توضيح مدى تأثر العرب المسلمين بهذه المظاهر ونسبة مغالاتهم في تطبيقها.

4. أهمية البحث:

تجلت أهمية هذا البحث في كونه بحث أصيل ويتمحور حول الاطلاع الأوسع على التأثيرات الفارسية البيزنطية على الحضارة العربية الإسلامية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إدارياً واقتصادياً واجتماعياً وأهم عوامل انتقالها، وهو ما لم تتم دراسته والتوسع به كموضوع متكامل من قبل.

5. مسوغات (مبررات) البحث:

شهد القرن الأول الهجري/السابع الميلادي قيام الدولة العربية الإسلامية وتمكنها من القضاء على الدولة الفارسية الساسانية ومن تقويض مساحة ونفوذ الامبراطورية البيزنطية، كما شهد غرس البذور الأولى لوصول الدولة العربية الإسلامية وحضارتها إلى مصاف الدول فيما بعد، لأنها لم تنغلق على نفسها واستقت من تراث أسلافها ما لزمها في سبيل تدعيم أركانها وتطوير أنظمتها، وبالتالي فإن تبيان أهم التأثيرات الفارسية

الساسانية والبيزنطية في المجال الإداري والاقتصادي والاجتماعي وتوضيح مدى تأثيرها في بنية الدولة العربية الإسلامية تعد من أهم مسوغات اختيار هذا البحث.

6. مصطلحات البحث:

- **الدولة الفارسية الساسانية:** هي دولة حكمت أرض فارس على يد الملك أردشير الأول بن بابك (226–241م) وقد وصلت في أوج قوتها واتساعها من حدود الصين شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، كما كانت أحد أكبر قوى العالم القديم آنذاك فنافست الامبراطورية البيزنطية على فرض النفوذ السياسي،[1] ثم سقطت على يد جيوش العرب المسلمين بعد معركة نهاوند 21هـ/642م تاركة آثارها الحضارية حية في بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية.[2]
- **الامبراطورية البيزنطية:** هي دولة نشأت نتيجة انقسام الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية، إلا أنها انفصلت عنها تماماً في إثر نقل العاصمة إلى القسطنطينية على يد الامبراطور قسطنطين الأول الكبير عام 330م واعترافه بالديانة المسيحية ديانة رسمية للبلاد عام 313م،[3] وقد وصلت إلى أقصى اتساع لها في عهد الامبراطور جستنيان الأول وسقطت على يد العثمانيين سنة 857هـ/1453م.[4]
- **الدولة العربية الإسلامية:** هي دولة نشأت على يد رسول الإسلام محمد ﷺ في المدينة المنورة 1هـ/ 622م ثم اتسعت مساحتها حتى شملت عند وفاته ﷺ سنة 11هـ/632م كامل شبه الجزيرة العربية وازداد اتساعها على يد خلفائه، مروراً بالخلافة الراشدة ثم الأموية التي امتدت من الصين إلى الأندلس ثم الخلافة العباسية التي تضمنت خلالها عدداً من الإمارات والسلطنات مثل السلاجقة والبويهيين

---

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:303، 327.

[2] البلاذري. (1987م)، ص424، 425؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص390–396.

[3] العريني. (1982م)، ص:43.

[4] المحامي. (1982م)، ص:161؛ نيكول. (2003م)، 105، 106.

والأدارسة وغيرها، ومن بعدها الدولة العثمانية التي تعدُّ آخر الامبراطوريات التي حكمت باسم الشريعة الإسلامية.[1]

7. حدود البحث:

- **الحدود الموضوعية:** يتضمن البحث توضيحاً للتأثيرات الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري والاقتصادي والاجتماعي.
- **الحدود الجغرافية:** تتضمن أقاليم الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية.
- **الحدود الزمنية:** تركز هذه الدراسة على إيضاح التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

8. الدراسات المرجعية:

تطرقت بعض الأبحاث إلى بعض الجوانب من موضوع هذا البحث الموسوم بـ: التأثيرات الفارسية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي "إدارياً–اقتصادياً–اجتماعياً"، ولكنها لم تطابقه سواءً في حدوده الزمانية أو المكانية أو الموضوعية، ومن هذه الأبحاث:

1- كريمر، ف. (1947م). **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**. تر مصطفى بدر. (د.م). دار الفكر العربي. ص:184.

تضمن هذا الكتاب دراسة للناحية الاجتماعية العربية الإسلامية وتأثرها بالمؤثرات الأجنبية كشرب الخمر والاستماع إلى الموسيقى، إضافة إلى نظام ملكية الأراضي والضرائب في الولايات العربية الإسلامية، واستخدام الخصيان وإبداء مظاهر الترف والأبهة، وقد امتاز هذا البحث عن مضمون الكتاب السالف أنه

[1] البلاذري. (1987م)، ص:131–133؛ الطبري. (1967م)، ج3 ص:225.

تضمن التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضاً وبتفصل أوسع وأدق مع التركيز على دولتَيْن فقط وليس على كل التأثيرات الخارجية.

2- عبد الرحيم، ممدوح. (1998م). المؤثرات الفارسية في الحياة الاجتماعية بالعراق في عهد الأمويين. **المجلة العلمية لكلية الآداب**. العدد1، ص:317-ص:350. أسيوط: مصر. جامعة أسيوط كلية الآداب.

استهل الباحث دراسته بلمحة عن أوضاع الفرس الساسانيين وتغلغلهم داخل المجتمع العراقي، مع إيضاح لدور الزواج والمصاهرة بين الفرس الساسانيين والعرب المسلمين في انتقال مؤثراتهم الاجتماعية إلى العرب المسلمين ولا سيما في الطعام والشراب والملابس والعادات والتقاليد والحرف.

3- ضية، نور. (2016م). **المؤثرات البيزنطية في الحضارة العربية الإسلامية في العهد العباسي (123-232هـ/750-847م)**. ماجستير. قسم التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة يحيى فارس. (د.م). ص:90.

بدأت الباحثة دراستها بتعريف الامبراطورية البيزنطية مع تبيان لمظاهرها وعلاقتها بالإسلام وتلاه تعريف بالحضارة العربية الإسلامية وأهم أسسها وخصائها ومظاهرها، ثم بينت عوامل التأثير البيزنطي في الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ويتميز هذا البحث عن الدراسة السالفة بما يقدمه من معلومات عن التأثيرات الفارسية الساسانية أيضاً على الدولة العربية الإسلامية ولكن خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي أي حتى أواسط العصر الأموي.

4- نصر، نور. (2021م): النظام الإداري في الدولة الساسانية. **مجلة بحوث جامعة حلب**. العدد:144. ص:1-ص:15. حلب: سوريا.

تناولت الباحثة دراسة هيكل نظام الحكم الفارسي الساساني ضمن بحثها المذكور، والذي تمثل في الملك وولاية العهد، إلى جانب توضيح لنظام الفرس الساسانيين في إدارة أقاليم دولتهم الواسعة والذي اعتمد

على مركزية الحكم، إضافة إلى مراحل تطور التنظيم الإداري خلال عهود كل من الملك أردشير وكسرى أنوشروان، مع تبيان لدور الدهاقين وعلاقتهم بالنظام الإداري الفارسي الساساني.

9. منهج البحث وأدواته:

وقد تم الاعتماد في كتابة هذه الفصول على المنهج التاريخي الذي يقوم على استقراء الأحداث التاريخية ثم تفسيرها والربط بينها بشكل دقيق بعيد عن التهويل والمبالغة، ثم تحليلها علمياً وموضوعياً بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية.

10. صعوبات البحث:

تجلت الصعوبات التي واجهت الباحثة في كتابة هذا البحث في قلة المادة المتعلقة بالحضارة الفارسية الساسانية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي في المصادر والمراجع العربية أو المعربة، فمن أجل دعم المعلومات المتوفرة فيها تمت العودة إلى المراجع الأجنبية، مما تطلب لغة قوية تخوّل الباحث من الوصول إلى ترجمة صحيحة ودقيقة لنصوصها، وهذا فضلاً عن شحّ ما نقلته المصادر العربية من مادة عن الحضارة البيزنطية وتاريخها قبل ظهور الإسلام، ولكن بفضل الله تعالى وعونه ثم بمساعدة الأستاذتَيْن الدكتورة أرواد العلان والدكتورة حليمة عبد الهادي تمَّ هذا العمل من خلال تقديم الإرشادات الضرورية ومنح المصادر والمراجع المهمة للباحثة إضافة إلى المتابعة الدقيقة والتعامل الحسن المتواضع، فلهما جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

الفصل الأول: أوضاع الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية ومظاهرهما الحضارية في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أولاً: أوضاع الدولة الفارسية الساسانية ومظاهرها الحضارية:

1. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية قبيل تسلم الملك كسرى الثاني أبرويز.
2. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية خلال عهد الملك كسرى الثاني أبرويز (590- 628م).
3. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أ- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً.

ب- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اقتصادياً.

ج- المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اجتماعياً.

ثانياً: أوضاع الامبراطورية البيزنطية ومظاهرها الحضارية:

1. أوضاع الامبراطورية البيزنطية قبيل تسلم الامبراطور هرقل.
2. أوضاع الامبراطورية البيزنطية خلال عهد الامبراطور هرقل (610- 641م):

أ- استلامه للعرش وإصلاحاته الداخلية.

ب- أسباب الصراع بين البيزنطيين والفرس الساسانيين.

ج- حرب الامبراطور هرقل على الفرس الساسانيين واستعادة أراضيه المسلوبة 1هـ/622م:

3. المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً:

أ- المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً.

ب-المظاهر الحضارية البيزنطية اقتصادياً.

ج- المظاهر الحضارية البيزنطية اجتماعياً.

أولاً: أوضاع الدولة الفارسية الساسانية ومظاهرها الحضارية في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

1. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية قبيل تسلم الملك كسرى الثاني أبرويز:

ورث الفرس الساسانيون[1] حُكمَ بلاد فارس عن أسلافهم الإشكانيين[2] وتفاوتت علاقتهم ما بين السلمية والعدائية مع جيرانهم البيزنطيين، حيث سالمَ الفرس الساسانيون البيزنطيين تارة وحاربوهم تارة أخرى، إذ أُعلنت الحرب بينهما عدة مرات ووضعت أوزارها مرات أخرى بموجب معاهدات صلح عُقدت لترميم ما دمرته الحرب، إلا أن فتيلها لا يلبث أن يشتعل من جديد.

فخلال المعاهدة التي عُقدت بين الفرس الساسانيين والبيزنطيين عام 532م تمكّن الامبراطور البيزنطي جستنيان الأول[3] Justinian I the Great (527–565م) من توجيه جهوده الحربية غرباً لاستعادة ما فقدته

---

[1] الساسانيون: نسبة إلى ساسان جدُّ أردشير بن بابك الذي عمل كحاكم قلعة مدينة داراب في ظل حكم الإشكانيين، ولكنه نصَّب نفسه ملكاً عام 212م ثم خرج عن سطلة أردوان الخامس –آخر ملوك الإشكانيين– وقتله عام 224م، ليرث حكم الفرس ويصبح أول حاكم لهم من الأسرة الساسانية. بيرنيا. (1992م)، ص:303، 327.

[2] الإشكانيون: أسرة من الفرس الأصليين، ويرجع أصلهم إلى اختلاط البارثيين مع قبائل السكا الفارسية وعشيرة "داه"، فنتج عنها طائفة آبارني والتي جاء منها الإشكانيون الذين أسسوا دولة مترامية الأطراف على يد أرشك الأول عام 249 ق.م بعد انتصاره على السلوقيين، وقد كانت نهاية هذه الدولة على يد الفرس الساسانيين بعدما دبَّ الضعف فيها بسبب الصراع على العرش داخل الأسرة الحاكمة في عهد حاكمها أردوان الخامس عام 224م. بيرنيا. (1992م)، ص:275.

[3] الامبراطور جستنيان الأول: اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام 527م، وكان لزوجته الامبراطورة ثيودورا الدور الأبرز في بقائه على العرش إذ ساندته خلال ثورة النصر (ثورة نيقا) عام 532م الشعبية التي ثارت ضده وكادت أن تطيح بحكمه، وقد أصدر جستنيان الأول التشريعات القانونية المشهورة واهتم بالجانب العمراني وعقد صلحاً مع الفرس الساسانيين عام 532م. الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:12؛ ديورانت. (1988م). ج12 ص:209؛ نيكول. (2003م)، 105، 106.

Kazhdan. (1990), V1 P:1083.

الامبراطورية البيزنطية من أراضٍ واسعة ومجد تليد خلال السنوات السالفة، بينما شهدت بلاد فارس تتويج الملك كسرى الأول بن قباذ المعروف بأنوشروان Khosrow I (531–579م) أي جديد الملوك أو الروح الخالدة[1]، والجدير بالذكر أن لقبه بالروح الخالدة لم يكن مجرد حروف خالية المعنى، بل عمل كسرى أنوشروان جاهداً على تخليد اسمه بالإنجازات والإصلاحات الداخلية والخارجية خلال مدة حكمه، فعلى الصعيد الداخلي فقد شجع الزراعة واستصلح الأراضي وعمل على تطوير الصناعة وازدهار التجارة ولاحق المتشردين والمتسولين وفرض عليهم العقوبات، كما عدّل نظام الضرائب واهتم بالعمران وأقام المنشآت المختلفة من قلاع وحصون وغيرها، ولم يهمل الجانب العلمي أيضاً بل منحه قدراً وافياً من الاهتمام، وكذلك راقب النظام القضائي وحقق ببعض المسائل القضائية بنفسه، فنُفّذت أحكامه في جميع أنحاء فارس بالسرعة القصوى، وقد نعمت البلاد في عهده باستتباب الأمن لشدّة بأسه وقوة شخصيته وحزمه في القضاء على ما يهدد استقرار بلاده كالحركة المزدكية[2] وأتباعها.[3]

وقد اهتم بالنظام العسكري وأدخل إليه من ما يلزمه إصلاحات، حيث قسم بلاده إلى أربعة أقاليم إدارية وفرّق سلطة القائد العام لقيادة الجيش بين أربعة قادة وأعطاهم سلطات مطلقة في أقاليمهم من أجل

---

[1] المسعودي. (2005)، ج1 ص:201؛ الفردوسي. (1979م)، ص:169؛ العابد. (1999م)، ص:62.

[2] الحركة المزدكية: حركة دينية اجتماعية انتشرت في إيران وآسية الوسطى وأذربيجان مطلع القرن السادس الميلادي في عهد الملك قباذ الأول (488–531م)، وتنسب هذه الحركة إلى مزدك الذي قال أن هناك مصدرَيْن للكون هما الظلمة والنور، ومن أبرز ما دعا إليه هو شراكة الناس جميعاً في النساء والأموال كاشتراكهم في الماء والنار لتجنب المشاحنات والقتال بين الناس، لأنهما تبعاً لنظرته أكثر الأسباب المؤدية لذلك. ابن حزم. (د.ت– ب)، ج2 ص:69؛ الشهرستاني. (1968م)، ج2 ص:54؛ خطاب. (1965م)، ص:42، 43؛ العلان. (2009م)، ص:73، 74؛

Kazhdan. (1990), V2 P:1325.

[3] المسعودي. (د.ت)، ص:89؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:129؛ الثعالبي. (د.ت)، ص:604، 605؛ بيرنيا. (1992م)، ص:360، 361؛ خطاب. (1965م)، ص:42، 43؛ العلان. (2009م)، ص:73، 74.

الإسراع في تنفيذ الأحكام ومنع نفوذ الأقوياء، وكذلك عمل على حفظ أمن بلاده وتأمين حدودها الخارجية من خلال التحالف مع زعيم العرب المناذرة[1] وهو المنذر بن ماء السماء[2] الذي حكم الحيرة[3] مرتيْن (514– 524م) و(528 –554م) ليدافعوا عن مصالح الفرس الساسانيين في المنطقة ويقفوا في وجه الغساسنة[4] المستقرين في

---

[1] المناذرة: أحد قبائل الأزد العربية التي هاجرت من اليمن وانتشرت في البلاد إثر توقع قرب انهيار سد مأرب، وقد توجّه المناذرة منهم بقيادة زعيمهم عمرو بن عدي بن نصر الأزدي (268م–288م) نحو العراق وخلفوا آل تنوخ في حكمها واتخذوا من الحيرة مقراً لهم وعاصمة لمملكتهم التي أنشأوها، وإليهم يُنسب ملوك آل نصر اللخميين حلفاء الفرس الساسانيين. الأصمعي. (1959م)، ص:88؛ زيدان. (1922م)، ص:197؛ الصعيدي. (1933م)، ص:29، 30؛ طقوش. (2009م)، ص:390، 391.

[2] المنذر بن ماء السماء: هو أشهر ملوك المناذرة حيث عاصر الملك قباذ الأول وكسرى أنوشروان، والامبراطور جستنيان الأول الكبير والحارث بن جبلة الغساني وعاصر سيطرة أبرهة الحبشة على اليمن وهو صاحب يوم أباغ المشهور بين المناذرة والغساسنة. ابن حبيب. (د.ت)، ص:359؛ اليعقوبي. (2010م). ج1 ص:256؛ زيدان. (1922م)، ج1 ص:207؛ الصعيدي. (1933م)، ص:31، 32؛ عبد الحميد. (1975م)، ص:219، 220.

[3] الحيرة: مدينة جنوبي الكوفة في موقع يُسمى النجف وراء نهر الفرات عند منعطفه نحو دجلة، سكنها ملوك العرب من بني نصر ولخم أي آل النعمان بن المنذر اللخمي، وكان معظم ساكنيها من المسيحيين، وتمتاز بطقسها البادر شتاءً وشديد الحر صيفاً، ولفظ تسميها أصلها سرياني معناه الحصن أو المعقل. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:328 مادة الحيرة؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:441؛ الحميري. (1984م)، ص:207، 208؛ الصعيدي. (1933م)، ص:29؛ مهران. (د.ت)، ص:577.

[4] الغساسنة: هم آل جفنة، أحد قبائل الأزد العربية التي هاجرت من اليمن بسبب ما سمعوه عن قرب انهيار سد مأرب هناك، وقد استقروا في بلاد الشام بعدما نازعوا بني سليح من الضجاعمة وأسسوا لأنفسهم مملكة واسعة تدين بالولاء للامبراطورية البيزنطية، وتعدُّ هذه المملكة غير واضحة الحدود بسبب كثرة توسعها وتقلصها إلا أن نفوذ مملكة الغساسنة امتد من تدمر شمالاً حتى خليج أيلة (العقبة) جنوباً، ومن صحراء الشام شرقاً إلى اليرموك غرباً فشملت إذن حوران والجولان واليرموك والبلقاء وجزءاً من الأردن وفلسطين وسوريا، ونقلوا عاصمتهم مرات عدة إذ كانت أولاً في بصرى ثم في الجابية في الجولان ثانياً، وعُرفوا بالغساسنة نسبة إلى ماء في مأرب عُرف بهذا الاسم، أو نسبة إلى ماء في شمال شبه الجزيرة العربية. ابن قتيبة. (1969)، ص:640، 641؛ خماش. (1987م)، ص:57، 58؛ زيدان. (1922م)، ج1 ص:184؛ طقوش (2009م)، ص:414، 415؛ محمد. (2009م)، ص:115؛ نولدكه. (1933م)، ص:51.

بلاد الشام والذين دانوا للبيزنطيين بولائهم، وقد عمد كل من الفرس الساسانيين والبيزنطيين إلى إشعال الفتنة بين المناذرة والغساسنة من العرب للحَول دون اتحادهما.[1]

يُستقرأ مما سلف أن الملك كسرى أنوشروان على الرغم من حنكته السياسية الواسعة إلا أنه لم يكن مدركاً لما قد يسفر عنه وضع سلطات مطلقة بيد حاكم عام في كل إقليم من أقاليم الدولة من حركات انفصالية ومحاولات انقلابية، فهذا ما حدث فعلاً فيما بعد على يد بهرام جوبين[2] Bahram Chobin (590– 591م) الذي أعلن انفصاله عن سلطة الملك واستبد بالسلطة لنفسه.

أما على الصعيد الخارجي فقد وجه كسرى أنوشروان عام 539م جيشاً ضخماً إلى الأراضي البيزنطية ووصل فيه إلى أذربيجان[3] والجزيرة الفراتية[4] وسيطر على ما فيها من مدن، وعبر بلاد الشام وأخضع ما فيها

---

[1] خطاب. (1965م)، ص:57، 58؛ الشاعر. (1989م)، ص:165، 166؛ ولبر. (1985م)، ص:43.

[2] بهرام جوبين: من أهم قوّاد الجيش الساساني وأحبهم إلى نفوس الجنود، ويعود بأصله إلى عائلة مهران ذات السلطة والنفوذ، ولقبه جوبين يعني الخشبي حيث لُقِّب بهرام بالرجل الخشبي لقوته وصلابته. كريستنسن. (1998م)، ص:427.

[3] أذربيجان: إقليم يحده من الشرق ولاية جيلان وبحر الخزر (قزوين) ومن الغرب أرمينية وجزء من بلاد الجزيرة الفراتية ويحدها من الشمال أران ومن الجنوب حدود العراق ويتميز بطبيعته الجبلية الوعرة ووجود عدة سلاسل جبلية شاهقة الارتفاع ومناخه ذو طابع بارد وغزير الامطار وأرضه غنية بالينابيع. مؤلف مجهول. (1999م)، ص:119؛ الحموي. (د.ت)، ج1 ص:128 مادة أذربيجان؛ ابن عبد الحق. (1922م)، ج1 ص:47؛ الحميري. (1984م)، ص:20؛ بخيت. (2009م)، ص:33، 34؛ العبد الغني. (1989م)، ص:20.

[4] الجزيرة الفراتية: أطلق العرب على القسم الشمالي من بلاد الرافدين تسمية الجزيرة لوقوعها بين نهري دجلة والفرات، ويحدها من الشمال أرمينية، ومن الشرق العراق، وتجاور جزءاً من بلاد الشام وباديتها جنوباً وكذلك جزءاً منها غرباً مع جزء من أرمينية. أبو الفداء. (1840م)، ص:275.

من مدن كحلب وقنسرين وحمص وأفامية[1] Apamea، إلى أن وصل عام 540م إلى أنطاكيا[2] Antakya التي كانت تعد من أهم مدن بيزنطة آنذاك، فسبى أهلها ونهب ثرواتها، مما دفع بالامبراطورية البيزنطية للسعي وراء توقيع اتفاقية بينهما عام 545م، والتي لم تكن الأخيرة إذ تم توقيع صلح آخر عام 562م بسبب الصراع على منطقة القفقاس[3] (القوقاز) Caucasus، فاستغل أنوشروان هذا السلام وعمل على مصاهرة خان (حاكم)

[1] أفامية: مدينة على ساحل بلاد الشام تتميز بحصانتها، وهي كورة من كور حمص، ويعود بناؤها للعصر السلوقي، وهي حالياً مدينة أثرية في تتبع إلى محافظة حماة، وتعرف باسم قلعة المضيق. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:227، مادة أفامية؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:99. الشهابي. (2006م)، ص:20، 21.

[2] أنطاكيا: هي إحدى الثغور الشامية، وتقع في تركيا (حالياً) على بُعد 10 كيلو متر من البحر المتوسط، واشتهرت بعذوبة مائها ونقائ هوائها وكثرة خيراتها، وعُدَّت أنطاكيا ثالث مدن العالم من حيث الأهمية في العصر الروماني. البكري. (د.ت)، ج1 ص:200؛ الحموي. (د.ت)، ج1 ص:267 مادة أنطاكيا؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:24، 25؛ داوني. (1967م)، ص:18؛ رستم. (1955م)، ج1 ص:19، 20؛ عوض. (2007م)، ص:81.

Kazhdan. (1990), V1 P:113, 114.

[3] القفقاس: وهي المنطقة الفاصلة بين أوربا وآسيا، يحدها من الشرق بحر الخزر (قزوين) ومن الغرب بحر بنطس (الأسود)، ويجاورها شمالاً نهر ترك وقوبان ومن الجنوب نهرا كورا وريفون. شاكر. (1972م)، ص:9؛ العابد. (1999م)، ص:65؛ عزت. (1912م)، ص:11؛ العلان. (2009م)، ص:18.

الترك[1] Turk موكان خان وتوقف عن دفع الجزية للهياطلة[2] Hephthalites وهاجم أراضيهم وحقق النصر عليهم، كما قضى على شعب الخزر[3] Khazars وسيطر على اليمن.[4]

وخلال هذه الحقبة كانت الامبراطورية البيزنطية قد ودَّعت امبراطورها جستنيان الأول لتستقبل امبراطوراً جديداً ألا وهو الامبراطور جوستين الثاني[5] Justin II (565– 578م) الذي تحالف مع خان الترك استامي Estami (562– 576م) ونقض معاهدة عام 562م مع الفرس الساسانيين الذين هاجمهم بجيشه الجرار ظناً منه أن تقدُّم كسرى أنوشروان في العمر سيكون مسوّغاً لضعفه، إلا أنه تمكن من صد هجوم الامبراطور

---

[1] الترك: هم طائفة من قبائل الهون سُموا بذلك نسبة إلى جبل شبيه بقبعتهم والتي تسمى في اللغة التركية (دورك) بينما كانوا يعرفون باسم (آسنا)، وقد هاجرت هذه الطائفة قسراً إلى الغرب نتيجة لضغط امبراطورية الصين عليهم عام 433م، لينقسموا فيما بعد إلى قسمَيْن، حيث سكن بعضهم بين مغولستان وجبال الأورال، بينما أقام القسم الآخر منهم في المنطقة الواقعة بين جبال ألتاي وسيحون. بيرنيا. (1992م)، ص:364، 365.

[2] الهياطلة (أو الهون البيض White Huns): قبائل تركية الأصل غزت الأقاليم الشرقية من إيران وبلاد ما وراء النهر والهند بعدما هاجرت من موطنها الأصلي في شمال غرب الصين، فأنشؤوا لأنفسهم امبراطورية شكلّت تهديداً حقيقياً للدولة الفارسية. تركماني. (2007م)، ص:29، 30.

Kazhdan. (1990), V1 P:709.

[3] شعب الخزر: شعب من الترك ولهم لغتهم الخاصة فلا يتكلمون التركية ولا الفارسية. دنلوب. (1986م)، ص:71.

[4] الدينوري. (1959م)، ص:68؛ المسعودي. (2005م)، ج1 ص:201، 202؛ الفردوسي. (1979م)، ص:171؛ أبو الفداء. (د.ت)، ج1 ص:68؛ خطاب. (1965م)، ص:58؛ ديورانت. (1988م)، ج12 ص:293؛ العابد. (1999م)، ص:65، 66؛ الكعبي. (2015م)، ص:127.

[5] الامبراطور جوستين الثاني: هو ابن أخت الامبراطور جستنيان الأول، وورث عنه حكم الامبراطورية البيزنطية والتي كانت تعاني من اضطرابات داخلية وخارجية، بسبب عجزها عن دفع الجزية إلى الدولة الفارسية الساسانية، مما أشعل الحرب بينهما وبسبب استمرار قبائل السلاف والآفار باختراق الحدود الشمالية للامبراطورية البيزنطية وسيطرة اللومبارديين على مدينة ميلان شمال إيطاليا، مما دفع زوجته صوفيا بإقناعه بتبني الجندي تيبيريوس والتنحي عن العرش لصالحه. نيكول. (2003م)، ص:103، 104.

Browning. (1980), p:7. Kazhdan. (1990), V2 P:1082.

جوستين الثاني عند أطراف أنطاكيا وهزم جيشه وأجبره على التراجع، ليدخلها كسرى أنوشروان ويدمر معالمها، كما فرض السيطرة على مدينة دارا[1] Dara عام 572م ذات الأهمية الكبيرة لبيزنطة، لذلك عقدت الامبراطورية البيزنطية الصلح مع الفرس الساسانيين من أجل إيقاف توسعهم، ليودّع الفرس الساسانيون بعدها الملك كسرى أنوشروان الذي تُوفي عام 579م تاركاً العرش لابنه هرمزد الرابع[2] Hormizd IV (579–590م).[3]

تميز عهد هرمزد الرابع بالاستقرار الداخلي من خلال إحقاق الحق ونصرة الضعيف والاقتصاص من المتجبرين، بينما استؤنف القتال خارجياً مع البيزنطيين وصُد هجومٍ للخزر على فارس بعد معركة طاحنة معهم حتى إنهم قبلوا دفع ضريبة سنوية للفرس الساسانيين عام 588م، كما شهدت البلاد في عهده خروج بعض القبائل العربية[4] عليه، ونظراً لهذه الاضطرابات لم يعد بوسع هرمزد الرابع سوى أن يهادن جميع الأطراف من

---

[1] دارا: بلدة تقع بين نصيبين وماردين بناها دارا بن دارا Darius III (380- 330ق.م) وتمتاز بطبيعتها الخلابة وكثرة بساتينها ومياهها الجارية وفيها قلعة كبيرة. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:418، مادة دارا. ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:508، 509؛ الحميري. (1984م)، ص:230.

Kazhdan. (1990), V1 P:588.

[2] هرمزد الرابع: اعتلى العرش الفارسي الساساني بعد وفاة أبيه كسرى أنوشروان عام 579م، إلا أنه كاد أن يخسر العرش لولا مساندة بهرام جوبين وهو أهم قادة الجيش في صد هجوم الترك على بلاد فارس، فأثارت قوة هذا القائد مخاوف الملك هرمزد الرابع مما دفعه إلى إذلاله عند خسارته للحرب مع بيزنطة عام 589م بدلاً من مد يد العون له، وهذا ما أدى إلى قيام ثورة بهرام جوبين والتي أطاحت بحكمه فيما بعد. بيرنيا. (1992م)، ص:370.

[3] الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:14؛ بيرنيا. (1992م)، ص:365؛ الشيخ. (1994م)، ص:66؛ صالح. (2017م)، ص:250؛ فرج. (1982)، ص:105– 107.

Shepard. (2008). P:125. Simocatta. (1986). P:101.

[4] انطلق جيش ضخم من العرب قوامه قبائل قحطان ومعد من اليمن لقتاله. المسعودي. (2005م)، ج1 ص:206.

أجل التصدي لأخطر أعدائه وهم الأتراك، الذين أوكل لقتالهم أفضل رجاله بهرام جوبين فهزمهم وقتل ملكهم شبَّابة بن شب.[1]

إلا أنه بعد هذا النصر الساحق أعلن بهرام جوبين الثورة على الملك هرمزد الرابع بعد إذلاله له عند خسارته للحرب مع بيزنطة عام 589م فوجَّه جيشاً موالياً له إلى العاصمة طَيْسفون[2] Ctesiphone (المدائن) لقتاله، كما صك نقوداً باسم ابن هرمزد الرابع وهو كسرى أبرويز[3] ووزعها في العاصمة لزرع الفتنة بين الأب وابنه، فهرب ولي العهد كسرى أبرويز إلى أذربيجان لدعم من خالَيه بسطام وبندويه خوفاً من غدر أبيه به ولكن خوف خالَيه بسطام وبندويه دفعهما إلى العودة إلى طَيْسفون وسمل عينَي هرمزد الرابع ثم قتله، مما جعل من العرش حقاً شرعياً لكسرى أبرويز Khosrow II (590 – 628م) الذي عاد إلى العاصمة طَيْسفون ولبس تاج أبيه.[4]

---

[1] مؤلف مجهول. (1996م)، ص:346، 349؛ المسعودي. (2005م)، ج1 ص:206؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:143؛ أبو الفداء. (د.ت)، ج1 ص:68؛ بيرنيا. (1992م)، ص:369، 370؛ الكعبي. (2015م)، ص: 137، 138؛ صالح. (2017م)، ص:265.

[2] طَيْسَفون: مدينة قريبة من بغداد، اتخذها الفرس الساسانيون عاصمة لدولتهم وفيها إيوان كسرى المشهور. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:55 مادة طَيسَفون.

[3] كسرى أبرويز: اعتلى العرش الفارسي الساساني وتلقب بلقب أبرويز أي المُظَّفر بعد أبيه هرمزد الرابع Hormizd IV (579– 590م) بمساعدة الامبراطور البيزنطي موريس *Maurice* (582 – 602م)، إلا أنه هاجم بعد وفاة الامبراطور موريس أراضي الامبراطورية البيزنطية وسيطر على معظمها حتى كاد أن يدخل عاصمتها لولا دفاع الامبراطور هرقل Heraclius (610 – 641م) عنها، وقد اشتهر كسرى أبرويز بثرائه الفاحش، وقد كانت نهايته على يد ابنه. بيرنيا. (1992م)، ص:370، 371؛

Kazhdan. (1990), V1 P:432.

[4] المسعودي. (د.ت)، ص:89؛ الفردوسي. (1979م)، ص:195، 196، 198؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:145؛ ابن خلدون. (2001م)، ج2 ص:211.

Simocatta. (1986). P:107.

وعلى الرغم من ذلك لم يعترف بهرام جوبين بسلطة كسرى أبرويز وأعلن العصيان والحرب عليه، فما كان منه إلا الهرب إلى بيزنطة بمساعدة خالَيْه، فاستغل بهرام جوبين غيابه وجلس على العرش ونصّب نفسه كملك على البلاد، بينما استنجد كسرى أبرويز بالامبراطور البيزنطي موريس الذي ساعده مقابل التنازل عن بعض المناطق وفق اتفاقية عام 591م[1]، وأرسل إليه جيشاً تمكن من خلاله أن يستعيد عرشه المسلوب[2]، والجدير بالذكر أنه على الرغم من وصول بهرام جوبين للعرش الفارسي الساساني (590– 591م) وصك النقود باسمه إلا أن عهده القصير لم ينعم بالاستقرار بل كان يضج بالاضطرابات والمعارك ومعارضة الشعب ورجال الدين له ولحكمه.[3]

يُستدل مما تقدم ضعف شخصية الملك كسرى أبرويز في مواجهة أعدائه وفي دفع الخطر المحيط به، فقد تكرر هربه مرتَيْن ونجا بنفسه فيهما من خلال مساعدة الآخرين، فالأولى هرب فيها من أبيه بمساعدة

---

[1] نصت معاهدة 591م على تخلي الفرس الساسانيين عن أرمينية الفارسية بما فيها مدينتَي دارا وميافارقين للامبراطور البيزنطي موريس، والتخلي عن الخراج الذي كان يأخذه آباؤه من البيزنطيين. المسعودي. (2005م)، ج1 ص:208؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:261؛ ابن العبري. (1994م)، ص:152؛ بيرنيا. (1992م)، ص:371؛ العلان. (2009م)، ص:101؛ فرج. (1982م)، ص:107، 108؛

Theophanes. (1997), P:389. Ostrogorsky. (1968), P:80. Bury. (1889), V2 P:112.

[2] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:212؛ المسعودي. (2005م)، ج1 ص:208؛ الفردوسي. (1979م)، ص:206، مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:261؛ بيرنيا. (1992م)، ص:371؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:109؛ العلان. (2009م)، ص:101؛ النفرواي. (د.ت)، ص:96، 97.

Theophanes. (1997), P:389. Bury. (1889), V2. P:112. Gregory. (2005), P:151. Ostrogorsky. (1968), P:80. Shepard. (2008). P:127.

[3] الفردوسي. (1979م)، ص:203؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ الثعالبي. (د.ت)، ص:665؛ أبو الفداء. (د.ت)، ج1 ص:69؛ خطاب. (1965م)، ص:59.

Simocatta. (1986). P:111.

خالَيْه، والثانية هرب فيها من قائده الثائر بهرام جوبين طالباً المساعدة من ألدّ أعداء الفرس الساسانيين وهم البيزنطيين، مقدماً لهم الكثير من التنازلات على طبق من فضة.

ومن جهة أخرى ربما كانت غاية الامبراطور من مساعدة الملك كسرى أبرويز في استعادة عرشه من أجل الشروط التي نصت عليها المعاهدة فقط، بل من أجل غاية ضمنية لم يأتِ على ذكرها ضمن الاتفاقية، فعدو تقليدي يعرف أساليبه وربما مدى ضعفه خير له ولمصلحة بلاده من عدو جديد لا يمكن التنبؤ بأفعاله أو أساليب قتاله وكيفية هزيمته.

2. أوضاع الدولة الفارسية الساسانية خلال عهد الملك كسرى الثاني أبرويز (590 – 628م):

تباينت الروايات حول سياسة الملك كسرى أبرويز خلال مدة عهده فهناك من رآها قد اتسمت بالعدل والإنصاف والاهتمام بأمور الرعية وقضاياهم والمساهمة في نهضة البلاد ورخاء المعيشة، من خلال توزيع النقود باسم أبيه على المحتاجين في البلاد والسهر على مصالح الناس كما خصَّ المغنين وأهل الطرب بعنايته وأعطى مَن تميز منهم ما لم يكرم به غيرهم، ومن أشهر المغنين في عهده مغنٍ اسمه بياربيد والذي حظي بمكانة خاصة عنده فأكثر من إكرامه[1]، بينما تقول روايات أخرى أنه لم يرعَ العظماء والضعفاء بل ظلمهم وحرمهم حقوقهم، كما اتُّخذ عليه إسراعه في الحكم بالقتل على من شك به وأوجس بولائه ريبة، مستدلين بذلك على حادثة قتله لخالَيْه بسطام وبندويه اللذان أوصلاه للعرش وكذلك قتل أهم مساعديه مردانشاه Mardanshah، لا لتهمة ثبتت عليه بل بسبب ما تنبأ به أحد المنجمين عنه بأن مردانشاه سوف يقتله، ولكن

[1] الفردوسي. (1979م)، ص:218، 219؛ الطوسي. (2007م)، ص:168، 169.

عندما عجز عن إيجاد ما يتهمه به ارتأى كسرى أبرويز أن يعزله عن مناصبه ويقطع يمينه ويعوضه بالمال الوفير وهكذا يُبقي على حياته إلا أن مردانشاه طلب من الملك إعدامه حفظاً لكرامته، فكان له ما أراد.[1]

يُستدل مما سلف أنه على الرغم من تضاد ما اتصف به كسرى أبرويز من صفات إلا أنه يمكن لمن وصل إلى العرش من خلال المكائد والخداع والخيانات أن يحمل هذه الصفات في شخصيته، حيث يرحم الضعفاء ويكرم الفقراء بينما يبطش بكل مَن يشك بإخلاصه.

وقد اتفقت الروايات حول كسرى أبرويز على ما قام به من إصلاحات عسكرية، حيث نظم الجيش وقسَّمه وأمره بالرباط على الحدود لحمايتها، وكذلك إقامة علاقات مع رجال الدين الزرادشتيين[2] لإدراكه قوة نفوذهم ودورهم في الدولة، كما اهتم بالمسيحيين ومنحهم حق بناء الكنائس والمعابد وإقامة المراسم التي يريدونها.[3]

وعندما اطمأن كسرى أبرويز لاستقرار الأوضاع الداخلية في فارس أراد أن يتخلص من بهرام جوبين الذي هرب إلى بلاد الترك وتقرب من خانها وأصبح من خواصّه، فطلب كسرى أبرويز من خان الترك تسليمه

---

[1] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:215، 216؛ الطبري. (1967م)، ج2 ص:176؛ الفردوسي. (1979م)، ص:218، 219؛ الطوسي (2007م)، ص:168، 169؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:113؛ كريستنسن. (1998م)، ص:433، 434.

[2] الزرادشتية: هي الديانة الرسمية في بلاد فارس في العصر الساساني وقامت تعاليمها على أن للعالم أصلَيْن لديهما القدرة على الخلق وهما أهورمزدا الذي يمثل الخير والآخر أهرمان الذي يمثل الشر، وهما في صراع دائم إلا أن الغَلَبة ستكون للخير في النهاية، وقد قدست الديانة الزرادشتية عناصر الطبيعة الأربعة وهي الماء والهواء والتراب والنار التي لها من القدسية الحصة الأكبر حيث أقاموا لها بيوتاً خاصةً. ابن حزم. (د.ت- ب)، ج2 ص:62؛ الشهرستاني. (1968م)، ج2 ص:41؛ خطاب. (1965م)، ص32، 34؛ زكار. (1997م)، ج2 ص:458، 459؛ العباداني. (2011م)، ص:42، 45؛ الموحي. (2007م)، ص:52، 53.

[3] الدينوري. (1959م)، ص:98. الفردوسي: (1979م)، ص:218، 219؛ كريستنسن. (1998م)، ص:429، 430.

بهرام جوبين ولكنه رفض بشدة ووبَّخ رسوله الذي لم يتراجع، بل تسلل إلى خاتون زوجة الخان وأقنعها بخطر بهرام جوبين مقدّماً إليها أفخم الهدايا والجواهر، فما كان منها إلا أن أمرت رجالها بقتله.[1]

أما كردية زوجة وأخت بهرام جوبين فقد هربت بعد مقتله من بلاد الترك إلى فارس، وتزوجت من بسطام خال كسرى أبرويز الذي كان قد أعلن الثورة على كسرى أبرويز– بعدما نكَّل بخاله الآخر بندويه دون وجه حق– ثم طلبت من أخيها كردويه أن يطلب لها الأمان من الملك كسرى أبرويز، فأمَّنها مقابل قتلها لزوجها بسطام ففعلت.[2]

وفي هذه الأثناء كانت الامبراطورية البيزنطية تعاني من اضطراب داخلي ناجم عن اغتيال الامبراطور موريس واستلام الامبراطور فوقاس[3] Phocas (602 - 610م) للسلطة والذي اتسم عهده بالفوضى، وهو ما استغله كسرى أبرويز فهاجم الأراضي البيزنطية، حيث قسم جيشه إلى أقسام وانطلق على رأس أحد أقسامه

---

[1] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:213؛ الطبري. (1967م)، ج2 ص:181؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ ابن الأثير. (2012)، ج1 ص:429؛ كريستنسن. (1998م)، ص:429، 430.

[2] مؤلف مجهول. (1996م)، ص:395؛ الدينوري. (1959م)، ص:105؛ اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:215؛ المسعودي. (2005م)، ج1 ص:208، 209؛ ابن خلدون. (2001م)، ج2 ص:212؛ ابن البلخي. (2001م)، ص:94؛ بيرنيا. (1992م)، ص:371؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:110.

Sebeos. (N.d-A), p:40. Sebeos. (N.d-B), p:28.

[3] فوقاس: أحد القادة العسكريين الذي نادى به الجيش البيزنطي امبراطوراً أثناء مرابطته على جبهة نهر الدانوب امتثالاً لأمر الامبراطور موريس، ولكنه كان ظالماً شديداً وغير جدير بالإدارة والحكم، إذ أخفق في صد هجوم الفرس الساسانيين بقيادة كسرى أبرويز، واضطهد المونوفيزتيين واتهم اليهود بالتعاون مع الفرس الساسانيين، ولم يتمكن من مواجهة السلاف والآفار على الجبهة الشمالية. نيكول. (2003م)، ص:128، 129.

Kazhdan. (1990), V3 P:1666, 1667.

نحو أرمينية[1] Armenia وهاجم مدينة الرُّها[2] Riha وسيطر عليها بعد هزيمة الجيش البيزنطي الذي أرسله فوقاس للدفاع عنها، بينما أرسل قائده شهربراز[3] Shahrabaraz على رأس جيش جرار وصل به إلى مدينة دارا 603م وحاصرها إلى أن أذعنت للمعتدين وفتحت أبوابها لهم عام 605م، ثم فرض الحصار على آمد[4] وسيطر على قيسارية الشام[5] فخضع الجزء الأكبر من أرمينية لحكمهم وذلك ما بين عامي 603م و608م.[6]

---

[1] إقليم أرمينية: هو إقليم لم يكن له حدود ثابتة بسبب كثرة الحروب عليه بين الشرق والغرب بسبب غناه بالموارد المعدنية كالذهب والحديد والفضة والنحاس والأحجار الكريمة، بالإضافة إلى تنوع موارده الزراعية والرعوية والسَمَكية والحيوانية وغيرها، ويعد أحد أهم أقاليم منطقة القفقاس حيث تشكل سلاسل جبال القفقاس حدوده الشمالية، بينما يحده من الشرق أذربيجان ومن الغرب بحر بنطس (الأسود). الحموي. (د.ت)، ج1 ص:159، 160، مادة أرمينية؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:60؛ الحميري. (1984م)، ص:25؛ بخيت. (2009م)، ص:33، 34؛ خطاب. (1990م)، ص:48؛ العبد الغني. (1989م)، ص:24، 25.

Kazhdan. (1990), V1 P:175.

[2] الرُّها: مدينة تقع في الجزيرة الفراتية بين الموصل وبلاد الشام، وتكمن أهميتها في موقعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى في العالم القديم. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:106 مادة الرُّهاء؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:644؛ الحميري. (1984م)، ص:273؛ زكار، اسماعيل. (2004م)، ص:74.

[3] شهربراز: هو أشهر القادة في جيش كسرى أبرويز، وهو مَن تمكن من تجاوز الحدود البيزنطية وإسقاط كثير من مدنها كدمشق وبيت المقدس ونقل الصليب المقدس منها إلى فارس وإخضاع دارا ومحاصرة القسطنطينية بالتعاون مع الآفار، وتُوفي سنة 9هـ/630م، ولقبٌ شهربراز معناه الخنزير البري إذ يرمز الخنزير البري عند الفرس للقوة الكبيرة، وهو اسم محرفٌ عن الاسم الفهلوي شهر ورز، وقد ذكر المؤرخ السرياني مار ميخائيل في تاريخه هذا القائد باسم رومنيان. مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:268؛ صالح. (2017م)، هامش ص:273.

Kazhdan. (1990), V3 P:1887.

[4] آمد: بلد قديم حصين في ديار بكر. خسرو. (1993م)، ص:52؛ الحموي. (د.ت)، ج1 ص:56 مادة آمد. ابن عبد الحق. (1992م)، ص:6؛ الحميري. (1984م)، ص:3، 4؛ لسترنج. (د.ت)، ص:114.

[5] قيسارية الشام: بلد على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط) وتعد من أعمال فلسطين. خسرو. (1993م)، ص:65؛ الحموي. (د.ت)، ج4 ص:421، مادة قيسارية الشام.

[6] الدينوري. (1959م)، ص:106؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ اسماعيل. (1985م)، ص:44-46؛ شينية. (2008م)، ص:54.

Theophanes: P430. Frye: V3(1), P168. Shahid. (1995),V1 P:635.

لذلك لم يكن من أهل القسطنطينية Constantinople إلا أن عمدوا إلى عزل الامبراطور فوقاس وتنصيب الامبراطور هرقل[1] Heraclius (610 – 641م) على العرش البيزنطي لإنقاذ الموقف، فبدأ عهده بإصلاحات داخلية شاملة لجميع جوانب الحياة مما أكسبه محبة الشعب ورجال الدين فدعموه بالجهد والمال، لينطلق من فوره على رأس جيشه للدفاع عن ما تبقى من أراضيه ولاستعادة ما قد سُلب منها[2] ولا سيما أن الفرس الساسانيين عام 611م كانوا يعملون على جبهتَيْن متوازيتَيْن معاً من أجل السيطرة الكاملة على أراضي الامبراطورية البيزنطية، حيث تسلم قيادة إحدى هاتين الجبهتَيْن القائد شهربراز الذي فرض السيطرة الساسانية على مدينة أنطاكيا عام 611م ثم أخضع مدينة أفامية وحمص ودمشق وغيرها من المدن إلى أن أخرج أرمينية كلها عن السيطرة البيزنطية[3]، كما توجَّه عام 614م إلى بيت المقدس الذي سلَّم حاكمها المدينة للساسانيين، إلا أن ثورة أهالي المدينة على الحامية الفارسية الساسانية دفعت شهربراز إلى دخول المدينة واستباحتها وإحراقها وسرقة خشبة الصليب المقدس[4] True Cross منها ونقلها إلى العاصمة الفارسية طَيْسفون، وقد استمرت جيوش الفرس الساسانيين في تقدمهم حتى وصلوا إلى مصر عام 616م وسيطروا على الاسكندرية، أما على

---

[1] هرقل: امبراطور بيزنطي ذو أصل أرمني وهو ابن حاكم قرطاجة هرقل الذي استغاث به أهل القسطنطينية لينقذهم من ظلم الامبراطور فوقاس فكان الحظ حليفه إذ تمكن من الإطاحة به واستلام دفة الحكم من بعده لتواجهه مخاطر عديدة أثناء مدة حكمه وقد تمثلت بالخطر الفارسي الساساني على الجبهة الشرقية وخطر السلاف والآفار على الجبهة الشمالية، إذافة إلى التدهور الاقتصادي في الخزينة المالية الإمبراطورية والخلاف الديني بين الطوائف الدينية. نيكول. (2003م)، ص:165، 166.

Kazhdan. (1990), V2 P:916.

[2] مسكويه. (2002م)، ج1 ص:149؛ توفيق. (1967م)، ص:66، 67؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:175؛ ربيع. (1995م)، ص:61.

Sebeos. (N.d-A), P:5. Unknown. (1989). P:152. Ostrogorsky. (1968), P:100.

[3] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:199؛ داوني. (1967م)، ص:18؛ العريني. (1982)، ص:118؛ كريستنسن. (1998م)، ص:431.

Sebeos. (N.d-A), p:55. Sebeos. (N.d-B), p:36. Gregory. (2005), P:160. Mango. (2002), P:54.

[4] الصليب المقدس: هي خشبة الصليب التي يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ﷺ قد صُلب عليها لذلك يعد من أهم رموز الديانة المسيحية.

Kazhdan. (1990), V3 P:2125.

الجبهة الفارسية الساسانية الثانية الموازية لجبهة القائد شهربراز، فقد كانت بقيادة القائد شاهين[1] Shahin الذي تمكن عام 611م من السيطرة على كامل آسيا الصغرى ولا سيما أهم مدنها خلقدونية[2] Chalcedon عام 617م ثم تمركز على الشاطئ المقابل للقسطنطينية وأرسل الغارات نحوها من أجل إسقاطها إلا أنه لم ينجح بذلك.[3]

وعلى الرغم من هذا الهجوم الكاسح الذي أوشك أن يودي بالامبراطورية إلا أن الامبراطور هرقل لم يستسلم، بل أنهى إصلاحاته الداخلية وانطلق بجيوشه نحو أرمينية عام 1هـ/622م وأعمل بالفرس الساسانيين الحيلة والخديعة وأنزل بهم هزيمة ساحقة واستعاد كامل أرمينية وآسيا الصغرى، ليعرض الصلح فيما بعد على كسرى أبرويز مانحاً إياه فرصة الحفاظ على ما تبقى له من ماء وجهه إلا أنه رفض بشدة وطلب المدد العسكري وهيأ جيشه لقتال البيزنطيين من جديد[4]، وريثما يصل المدد العسكري الفارسي الساساني عسكر كسرى

---

[1] شاهين: هو قائد مشهور في جيش الملك كسرى أبرويز، وهو أحد قادة الجيش الفارسي الساساني الذي تخطى الدفاعات البيزنطية عام 611م، وهو مَن قاد الجيش الذي حاصر خلقدونية عام 616م وأجبر هرقل على التفاوض مع كسرى أبرويز حول الصلح، وله منجزات عسكرية كثيرة أخرى، وتُوفي سنة 4هـ/625م في إحدى الحملات إلى آسيا الصغرى.

Kazhdan. (1990), V3, P:1886, 1887.

[2] خلقدونية: مدينة تقع قبالة القسطنطينية على الجانب الآسيوي من الامبراطورية. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:384 مادة الخلقدونة؛ ابن عبد الحق. (1992م). ج1 ص:478.

. Kazhdan. (1990), V1 P:403.6Nikephoros. (1990). V13 P:

[3] المقدسي. (1899م)، ج4. ص:158، 159؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ ابن العبري. (1994م)، ص:155؛ اسماعيل. (1985م)، ص:209؛ أومان. (1953م)، ص:103؛

Theophanes. (1997), P:432 Sebeos. (N.d-A), P:55. Unknown. (1989). P:156. Gregory: (2005), P:160. Haldon. (1990), P:43. Mango. (2002), P:53. Ostrogorsky. (1968), P:95.

[4] مسكويه. (2002م)، ج1 ص:149؛ أومان. (1953م)، ص:105؛

Theophanes. (1997), P:435. Sebeos. (N.d-A), P:65. Browning. (1980). P:9. Frye. (1975), V3(1), P:168. Ostrogorsky. (1968), P:101,102.

أبرويز في مدينة غنزك[1] Ganzak فباغته هرقل وهزمه شر هزيمة دافعاً إياه للهرب خارج المدينة فدخلها البيزنطيون دون مقاومة تذكر[2].

فما كان من كسرى أبرويز إلا أن أمر قائده شهربراز بالهجوم على القسطنطينية بالتعاون مع الآفار[3] Avars بعد أعلنوا ولاءهم للفرس، فحاصروها مدة ثلاثة أشهر عام 5هـ/626م إلا أنهم لم يستطيعوا هزيمة الأسطول البيزنطي، بل تلقوا منه أشد هزيمة وأفدح خسارة، فهرب الآفار وتراجع الفرس الساسانيون نحو مدينة خلقدونية.[4]

وخلال تلك الأثناء جمع كسرى أبرويز جيشاً من الغرباء وأرسلهم لقتال الامبراطور هرقل الذي تولى قيادة جيشه بنفسه وتوجه به نحو منطقة لازيكا[5] Lazica وتحالف مع الخزر، فحقق معهم انتصارات عدة

---

[1] غنزك: تعد من أهم مدن بلاد فارس، إذ يقال أنها مهد ولادة زرادشت نبي الزرادشتيين، وهي عاصمة لإقليم أذربيجان. اسماعيل. (1985م)، ص:243.

[2] الجاف. (2008م)، ج1 ص:110؛ العريني. (1982)، ص:125، 126، عمران. (2000م)، ص:72.

Theophanes. (1997), P:439. Gregory. (2005), P:160.

[3] الآفار: هم قوم من الترك تمكنوا من إقامة امبراطورية شمال بحر الخزر (قزوين) وشمال القفقاس (القوقاز)Caucasus لينقسموا فيما بعد إلى قسمَيْن حيث استقر بعضهم في أوربا الشرقية، بينما استقر البعض الآخر في إقليم داسيا (رومانية الحالية) ثم توسعوا من نهر الفولغا شرقاً حتى بحر البلطيق غرباً في أواخر القرن السادس الميلادي، وقد شكلوا بنفوذهم هذا تهديداً للامبراطورية البيزنطية التي اضطرت لدفع الجزية لهم. الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:113؛ تركماني. (2007م)، ص:42.

Kazhdan. (1990), V1, P:237.

[4] بل. (1948م)، ص:165؛ العدوي. (1951م)، ص:26؛ العريني. (1982)، ص:127؛ عمران. (2000م)، ص:73، 74؛ فرج. (1982)، ص:154.

Theophanes. (1997), P:446. Maurice. (1984), P:120, 121. Browning. (1980). P:9. Ostrogorsky. (1968), P:102. Vlasto. (1952), P:5. Whittow. (1996), P:79.

[5] لازيكا: من المناطق المهمة قرب منطقة بحر بنطس (الأسود)، تقع على حدود الامبراطوريتَيْن الساسانية والبيزنطية مما جعلها مجالاً للنزاع بينهما. العلان. (2005م)، ص:98.

Kazhdan. (1990), V2, P:1199.

على الفرس الساسانيين ثم انطلقوا معاً إلى نينوى[1] Nineveh وأقام معسكره هناك، فتبعه الفرس الساسانيون ولكنهم هُزموا أمامه في معركة حامية الوطيس سنة 6هـ/627م.[2]

ويُستنتج مما سلف ذكاء الامبراطور هرقل وبراعته السياسية إذ أيقن أن النصر لا يأتي إلا من الداخل أولاً، فليس لدولة منهكة داخلياً أن تحقق النصر على أي عدو خارجي سواء عُرف بقوته أم لا، لذلك قام بإصلاحات داخلية شاملة لكل صعيد وهيأ جيشاً وطنياً مهيباً وأحكم استعداداته للمواجهة، كما كسب ود الشعب ومحبته ومن ثم دعمه المادي والمعنوي له، بينما انخدع الملك كسرى أبرويز بضعف الامبراطورية البيزنطية فتسرّع ببعث جيوشه التي لاقت أفدح الهزائم عند كل مواجهة مباشرة بينهم وبين البيزنطيين، حتى لجأ إلى الاعتماد على جيش من الغرباء علّه ينقذه مما أوقع نفسه فيه كما في بعثه جيشاً من الغرباء لقتال هرقل الذي قاد جيشه بنفسه دليل إضافي على ضعف الملك كسرى أبرويز.

ثم أكمل الامبراطور هرقل سيره نحو المدن الواقعة على طول نهر دجلة مخرجاً إياها عن نطاق السيطرة الفارسية الساسانية ومدمراً قصور كسرى أبرويز المشيّدة هنا وهناك، وذلك حتى وصل إلى قصر داستاغيرد[3] Dastagerd عام 7هـ/628م فنهبه بعدما هرب منه كسرى أبرويز وعائلته سراً إلى مدينة سلوقية[4]

---

[1] نينوى: قرية قرب الموصل حيث يمر بينهما نهر دجلة، وهي بلاد عامرة فيها ثمار كثيرة، يذكر أن كثيراً من الأنبياء مروا خلالها كالنبي أيوب ويونس عليهما السلام. الحموي. (د.ت)، ج5 ص:339، مادة نينوى؛ الحميري. (1984م)، ص:585.

[2] ابن الأثير. (2012)، ج1 ص:432؛ اسماعيل. (1985م)، ص:254-261.

Gregory. (2005), P:161. Mango. (2002), P:57. Ostrogorsky. (1968), P:103.

[3] داستاغيرد: مدينة تقع قرب نهاوند بين بغداد وخراسان، فيها أبنية عجيبة تكثر فيها الإيوانات المنحوتة من الصخر والتي بناها ملوك فارس. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:454، مادة دستجرد؛ الحميري. (1984م)، ص:244.

[4] سلوقية: مدينة تقع جنوبي بغداد على في الجانب الغربي من نهر دجلة في العراق وهي إحدى المدينتَيْن التي أطلق عليهما العرب المسلمون اسم المدائن إذ أن الثانية هي طَيْسفون، وقد أسس السلوقيون مدينة سلوقية قبل الميلاد بثلاثة قرون وسميت نسبة إلى سلوقس بن نقطور. لسترنج. (د.ت)، ص:52.

Seleucia، وهنا توقف الجيش البيزنطي عن التقدم نحو العاصمة الساسانية طَيْسفون على الرغم من اقترابهم منها،[1] فقد أعلن ابنه شيرويه المعروف بقباذ الثاني[2] Kavad II قد أعلن العصيان على أبيه وقاد ثورة ضد حكمه فأسفرت عن إلقاء القبض على كسرى أبرويز نفسه ثم قتله بأمر من شيرويه، ليتوج نفسه بعد ذلك كملك على الفرس الساسانيين إذ حكم ثمانية أشهر من سنة 6هـ/628م مستهلاً عهده بعقد صلح مع الامبراطور هرقل عام 7هـ/628م مختتماً به الحرب على فارس، ونتيجة لذلك انسحب الفرس الساسانيون من مصر وبلاد الشام وعاد البيزنطيون إليها، كما استرجعوا خشبة الصليب المقدس وأعادوها إلى بيت المقدس عام 9هـ/630م بموكب يليق بهذا الحدث المهيب، ليرجع بعدها هرقل إلى عاصمته القسطنطينية ظافراً بنصر قلَّ مثيله.[3]

يُلاحظ من استراتيجية الامبراطور هرقل في حربه ضد الملك كسرى أبرويز، عدم اكتفائه بطرد الفرس الساسانيين خارج الأراضي البيزنطية بل إنه استمر في قتالهم ودفعهم إلى الوراء حتى وصل إلى عقر دارهم، كما لم يوقف الحرب حتى حصل على معاهدة لصالحه، وهو الأمر الذي أشار الامبراطور موريس لضرورته في كتابه (الاستراتيجية Maurice's Strategikon)[4] إذ قال: "لن يكون هناك راحة حتى يتم تدمير العدو

---

[1] ابن الأثير. (2012)، ج1 ص:432؛ العدوي. (1951م)، ص:26؛ عمران. (2000م)، ص:73.

Theophanes. (1997), P:451,452.

[2] قباذ الثاني: هو شيرويه بن كسرى أبرويز، خرج عن الولاء لأبيه وانقلب عليه حتى قتله وقتل سبعة عشر من أخوته، وقد أنهى في عهده حرب أبيه على بيزنطة واهتم بالشؤون الداخلية لبلاده. مؤلف مجهول. (1996م)، ص:439؛ المسعودي. (د.ت)، ص:89؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:165؛ بيرنيا. (1992م)، ص:377.

Kazhdan. (1990), V2 P:1117.

[3] ابن بطريق. (1905م)، ج2 ص:8؛ المسعودي. (د.ت)، ص:89؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:149؛ الثعالبي. (د.ت)، ص: 716؛ 150؛ نيكول. (2003م)، ص:166.

Nikephoros. (1990). V13 P:15, 16, 18. Ostrogorsky. (1968), P:103,104. Vasiliev. (1952), V1, P:198. Whittow. (1996), P:80.

[4] كتاب الاستراتيجية: يعد من أهم الكتب العسكرية البيزنطية التي كُتبت بلغة إغريقية ويُنسب في كتابته إلى الامبراطور موريس خلال القرن السادس الميلادي، ويضم بين دفّتيه شرحاً وافياً لحياة القادة والجنود العسكريين خلال التحركات العسكرية، إلى جانب وصف دقيق للباسهم

بشكل كامل، إذا هربوا لاجئين خلف الحصون يجب فرض ضغط كبير عليهم من خلال توجيه قوة أو من خلال منعهم من الحصول على المزيد من الدعم سواء من الجنود أو الخيول حتى يتم إبادتهم بشكل كامل أو الموافقة على معاهدة لصالحنا".[1]

ولكن من المستغرب عدم دخول الامبراطور هرقل للعاصمة الفارسية الساسانية طَيْسفون رغم اقترابه منها، فلربما اعتقد هرقل أن الثورات الداخلية ضد حكم كسرى أبرويز كفيلة بإسقاطه، أو لأنه خشي دخول عقر دار الفرس الساسانيين بجيش قد أُنهك جراء الحروب الكثيرة والمسافة الطويلة التي قطعها بمؤونة قد آلت على النفاذ، أو بسبب تنامي أمر العرب المسلمين في الجزيرة العربية ولا سيما أن عام عودة هرقل إلى القسطنطينية 9هـ/630م هو عام وصول رُسل رسول الله ﷺ إلى هرقل فلربما خشي على عرشه وأراد الاستعداد لحرب قريبة محتملة وهذا دليل آخر على ذكائه.

3. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أ. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية إدارياً:

أسس الفرس الساسانيون دولة مترامية الأطراف، وجعلوا من مدينة طَيْسفون عاصمة لها، ولحاكمها لقب الملك أي ملك الملوك، وقد تم اختيار هذا اللقب على وجه الخصوص لأن بلاد فارس كانت تتألف من أقاليم عديدة أو ثغور، يحكم كل واحد منها حاكم أُحيط بمظاهر العظمة والأبهة ولُقّب بالشاه أي الملك، وبسبب كثرة هؤلاء الحكام أصبح لقب أكبرهم هو ملك الملوك أي **الشاهنشاه**، فهو قائد الجيوش وحامي الدولة وهو

وطعامهم وأساليب عنايتهم بصحتهم، بالإضافة إلى أسماء وألقاب القادة العسكريين البيزنطيين آنذاك، كما يرد فيه معلومات عن صفات الشعوب التي جاورت الامبراطورية البيزنطية وكيفية قتالها وتحقيق النصر عليها. عبد الهادي. (2024م)، ص:8، 9.

Kazhdan. (1990), V3 P:1962.

[1] Maurice. (1984), P:74.

مَن له الحكم الفعلي فيها والكلمة النهائية في إصدار القوانين، وقد اعتقد الملكات الناس عبيداً دون أنفسهم مدعومين من رجال الدين الزرادشتيين بأن للملك حق إلهي في الحكم، مما جعل من سلطته مطلقة استبدادية حتى أن حكم الإعدام على الشخص يُنفذ دون أية محاكمة، كما تمتع بقدسية كبيرة وأُحيط بمظاهر الفخامة ولُقب بأعظم الألقاب في حياته ثم خُلّد اسمه بعد مماته.[1]

إلا أن هذه الدولة قد مرت بسنوات عجاف انتشر فيها الفساد والاضطراب إلى أن كادت تنهار عن بكرة أبيها لولا وصول الملك كسرى أنوشروان إلى سدة الحكم، إذ عمل هذا الملك على نهضة بلاده وإصلاح ما بها من مشاكل، ولا سيما صعوبة السيطرة على الدولة دون إشراف مباشر من حاكمها بسبب اتساع مساحتها، لذلك قسم كسرى أنوشروان الدولة الفارسية الساسانية إلى أربعة ولايات وأطلق على كل منها اسم (باذكر) يخضع كل منها لسلطة حاكم يتم اختياره من الأسر المالكة ويُلقب بـ **المرزبان**[2] حيث يتولى أحدهم المشرق من خراسان[3] وما والاها، والثاني يحكم من العراق حتى حدود الامبراطورية البيزنطية والثالث مخصص لبلاد اليمن (نيمروز)، والرابع لأذربيجان وما والاها، ومن صلاحياته تعيين الحكام ونوّاب الحكومة لولايته،

---

[1] الجاحظ. (1965م). ج6 ص:353؛ بيرنيا. (1992م)، ص:398؛ ديورانت. (1947م)، ص:25؛ كريستنسن. (1998م)، ص:87؛ نصر. (2021م)، ص:4.

[2] مرزبان: كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين هما المرز وتعني الثغر وبان ومعناها القيّم وتدل على صاحب الثغر، وكان عدد المرازبة أربعة لكل واحد منهم ربع المملكة فأحدهم لمشرقها والآخر لمغربها والثالث لشمالها والرابع لجنوبها. المسعودي. (د.ت)، ص:91؛ نصر. (2021م)، ص:5.

[3] خراسان: أطلقت هذه التسمية في العصور العربية الإسلامية على أحد أقاليم فارس الذي لم يتجاوز امتداده نهر جيحون بعدما كانت تطلق على جميع الأقاليم الشرقية للدولة العربية الإسلامية الممتدة من العراق حتى جبال الهند، ومعناه في اللغة الفارسية القديمة (البلاد الشرقية) أو بلاد الشمس المشرقة. الحموي. (د.ت)، ج2 ص350 مادة خراسان؛ ابن عبد الحق. (1992م) ج1 ص:456؛ الحميري. (1984م)، ص:214، 215؛ عمر. (1989م)، ص:29؛ لسترنج. (د.ت)، ص:423.

بينما لم يكن الجيش ضمن نطاق سلطته إذ يأخذ أوامره من قائد الجند مباشرة[1]، وقد تفاوت المرازبة بأهميتهم تبعاً لقدر المهام الملقاة على عاتقهم، حيث يُمنح أفضلهم عرشاً من فضة، ولكن في المقابل يمكن للملك أن يعزل مَن شاء منهم إن رأى في ذلك مصلحة الدولة إذ يقوم كل مرزبان بالحضور إلى الملك في وقت محدد لتقديم حساب عن مجمل أعماله، وقد قُسمت الولايات أيضاً إلى مديريات (استان) يحكم كل واحدة منها حاكم لُقّب بـ استاندار وخُصص له جماعة من الجند ليعملوا تحت تصرفه.[2]

وقد كان الملك يحكم دولته من إيوانه[3] الخاص في العاصمة طَيْسفون، وإلى جانبه عدد كبير من رجال الحاشية **كرئيس الوزراء** (بزرك فرمدار) أو رئيس الكُتاب الذي عُدَّ مستشاراً للملك وتمتع بصلاحيات مطلقة إذ تولى إدارة أمور الدولة ولكن تحت إشراف الملك ورقابته، بل وحلَّ محله عند غيابه في حرب أو رحلة فيستقبل الوفود ويدير المفاوضات ويقود الجيش بعض الأحيان، لذلك يجب أن يكون ذو حكمة وعقل وثقافة عامة واسعة وسلوك اجتماعي رفيع وانتماء طبقي متميز، كما أحاط بالملك رؤساء المخازن والسقاة (مى بذ) وكذلك متذوقي الطعام (بذشخور) ورئيس العاملين على المائدة (خوان سالار) والمشرفين على الصقور (الشاهبان) وكبير عمال الاصطبلات (خوربذ) ورئيس البوابين (دربان سردار) وغيرهم كثير، وهذا إضافة إلى صاحب الجاه الأوسع بينهم وهو **رئيس الحرس الخاص** بالملك (بشتيكبان سالار).[4]

---

[1] الدينوري. (1959م)، ص:67؛ الطبري. (1967م)، ج2. ص:99، 100؛ فيزهوفر. (2009م)، ص:234؛ كريستنسن. (1998م)، ص:355؛ نصر. (2021م)، ص:10؛ ولبر. (1985م)، ص:43.

[2] الطبري. (1967م)، ج2 ص:99، 100؛ بيرنيا. (1992م)، ص:360، 361؛ خطاب. (1965م)، ص:19؛ فيزهوفر. (2009م)، ص:234؛ كريستنسن. (1998م)، ص:128، 355؛ نصر. (2021م)، ص:6.

[3] الإيوان: كلمة فارسية معربة بمعنى الشرفة، ودخلت إلى اللغة العربية بلفظ ليوان، والإيوان عند الفرس الساسانيين هو بهو كبير فُتح أحد جدرانه الأربعة لاستقبال جموع الناس. أحمد. (2015م)، ص:219.

[4] خطاب. (1965م)، ص:21؛ كريستنسن. (1998م)، ص:378، 379؛ العابد. (1999م). ص:93؛ نصر. (2021م)، ص:7، 8.

وكانت الإدارة العامة للدولة الساسانية تتمركز في مكاتب سميت بالدواوين[1]، وقد تم ضبطها بمجموعة من القوانين الصارمة، منها ديوان الحروب وديوان النقود وديوان المقاييس والمكاييل وديوان الأملاك الملكية الخاصة[2]، ويديرها موظفون من أهم موظفي الدولة وهم **الكُتّاب** (أي وزراء كما سيُطلق عليهم فيما بعد) ومنهم كتّاب الرسائل، فقد اهتم الفرس الساسانيون بالمراسلات سواء منها الفردية أو الرسمية وحرصوا على أناقتها وجودة صياغتها من خلال إضافة بعض أقوال الحكماء والاقتباسات الدينية والشعرية إليها، إلا أن كُتّاب الوثائق والرسائل الرسمية كانوا يتميزون عن غيرهم من الكُتّاب بحسن خطوطهم واتّقاد ذكائهم وجودة صياغتهم، فهم مسؤولون عن مراسلات الدولة وصياغة الأوامر الملكية وتنظيم قوائم الضرائب وحسابات الدولة، كما وجب عليهم الكتابة للأعداء وخصوم الملك مراعين الظروف التي يكتبون فيها حيث يطبعون كتابتهم بالمسالمة أو التهديد والوعيد حسب ما تقتضيه الحاجة.[3]

وكانت الوثائق الرسمية من معاهدات وغيرها تختم بخاتَم الملك الذي يتميز بنقش صورة خنزير بري (وزار)، وتخضع لرقابة شديدة إذ تُوقع الأوامر الملكية بين يدي الملك من قِبل موظف يدعى صاحب التوقيع ثم يقوم بتسجيلها في سجل خاص ثم يتم جمع الأوامر الملكية الموقّعة منه كل شهر ليختمها الملك بخاتَمه وتُخزَّن، ثم تُرسل الوثيقة إلى موظف يدعى صاحب الزمام ومنه إلى صاحب العمل الذي يكتب به كتاباً ويجعل له نسخة في الأصل، ثم تعود إلى صاحب الزمام مرة أخرى فيعرضه على الملك، فيقارن بينها وبين النسخة الموجودة لديه في السجل ويختم عليها، وكان للملك عدة أختام كخاتَم للخراج وخاتَم للسر وآخر للرسل وهناك خاتَم للسجلات والإقطاعات، ومن جانب آخر فقد عني الفرس الساسانيون بالقضاء وأولوه اهتماماً شديداً فعينوا

---

[1] الدواوين: مفردها ديوان هي السجلات والدفاتر التي تسجل فيها شؤون الدولة، وهي كلمة ذات أصل فارسي أطلقت فيما بعد على المكان الذي يجتمع فيه الكتّاب والموظفون العاملون بهذا المجال عند الفرس. الماوردي. (1989م)، ص:259؛ الصلابي. (2005م)، ص:258.

[2] خطاب. (1965م)، ص:65؛ كريستنسن. (1998م)، ص:377.

[3] كريستنسن. (1998م)، ص:121-123.

لكل ناحية قاضٍ ولكل قرية **دهقان**[1] للبت في شكاوي أهاليها والتحقيق فيها، إلا أن بعض الناس قد تظلمت للملك مباشرة، كما كان للجيش قاضٍ خاصٍ لشؤونه.[2]

وقد عُرف عن الفرس الساسانيين عنف العقوبات التي فرضوها على المجرمين إلا أن كسرى أنوشروان عمل على تخفيفها والحد من شدتها، فألغى عقوبة بتر الأطراف واكتفى بتغريم المجرمين مالياً وذلك في حال حدوث الجُرم لأول مرة ولكن تشتد العقوبة عند تكرارها، والجدير بالذكر أن الفرس الساسانيين قد فرّقوا بين أنواع الجرائم فأعلاها منزلة هو ما كان في حق الدين، وثانيها ما كان موجهاً ضد الملك كالخيانة العظمى أو التمرد والثورة والفرار من الجيش خلال الحرب، وآخر الجرائم رتبة هي الجريمة التي تتم في حق الأفراد كالتعدي على أموال الغير وحقوقه، ولكل منها عقوبتها الخاصة.[3]

ولا بد من الإشارة هنا إلى حلقة إدارية مهمة في الجهاز الإداري للدولة الفارسية الساسانية ألا وهي نظام الدهقنة الذي يعتمد على النظام الإقطاعي الوراثي في امتلاك الأراضي، حيث ترأس الدهاقون القرى في الدولة وكانوا ممن عُرفوا بنزاهتهم وعلمهم وخبرتهم بالقانون وحظوا بنسب عريق، للعمل في جمع الضرائب من الأهالي وإيصالها إلى الدولة، وقد ازداد نفوذهم تدريجياً حتى وصلوا إلى رئاسة الأقاليم أو إمرة المدن الكبرى، فحملوا ألقاباً خاصة بهم منها صاحب وعظيم، واتخذوا من سكان القرى عبيداً لهم وتمتعوا بالسيطرة على صغار المزارعين، وبالتالي زادت ثرواتهم وامتلكوا الحصون والقلاع المنيعة في مناطقهم وكثير من الأراضي واستأثروا بها لأنفسهم، وقد انعكست آثار نظام الدهقنة إيجاباً على الدولة الفارسية الساسانية فقد ساعدها هذا النظام

---

[1] دهقان: جمعها دهاقين وهم رؤساء القرى الذي تميزوا بأهمية كبيرة ودور مهم نظراً لكون المجتمع الفارسي الساساني آنذاك مجتمعاً إقطاعياً فكانوا صلة الوصل بين الشعب والملك من خلال عملهم في جمع الضرائب من الأهالي وإيصالها إلى الدولة، وقد عُرفوا بكثرة ما امتلكوه من الأراضي واستأثروا به لأنفسهم. بيرنيا. (1992م)، ص:397؛ كريستنسن. (1998م)، ص:99، 100؛ كريمر. (1947م)، ص:78.

[2] بيرنيا. (1992م)، ص:403؛ خطاب. (1965م)، ص:65؛ كريستنسن. (1998م)، ص:377، 378

[3] بيرنيا. (1992م)، ص:402؛ خطاب. (1965م)، ص:75، 362.

على فرض سيطرتها على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة وضمان استمرار إنتاج تلك الأراضي ووصول الضرائب المفروضة إليها.[1]

يُلاحظ مما تقدّم أن النظام الإداري في الدولة الفارسية الساسانية كان نظاماً متطوراً محكماً اعتمد في تسيير شؤونه على سلسلة تراتبية مؤلفة من عدد كبير من الموظفين المختصين كل في مجاله ولا يتعدى عنه، كما تم ضبط سير أي أمر إداري بعدة قوانين يُعاقب متجاوزها بأشد وأعنف العقوبات، وعلى الرغم مما حققه وتميز به هذا النظام الإداري إلا أنه يُعاب بما يسببه من بطء في سير أي أمر إداري نتيجة مروره على عدد كبير من الموظفين.

ب. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اقتصادياً:

لكل دولة اقتصادها الذي يقوم على أسس تختلف من دولة إلى أخرى، وذلك تبعاً لأنواع مواردها الداخلية والخارجية، وقد اعتمد اقتصاد الدولة الساسانية آنذاك على الزراعة لاتساع الأراضي الزراعية فيها وخصوبة تربتها ووفرة مردودها، لذلك كان مصدر الدخل الأول لديها هو ضريبة الخراج وضريبة الرؤوس، فأما ضريبة الخراج فقد كانت تفرض على الأراضي الزراعية، حيث يحدد مبلغ لكل قسم من أقسام الدولة ثم يُقسّم على عدد سكان القرية، وعلى كل قرية أند تدفع نصف أو ربع أو خمس أو عشر محصولها حسب درجة خصوبتها أو حسب سنوات الجفاف والازدهار أو تبعاً لمساحتها ودرجة بُعدها عن المدينة، وقد أُعفي من دفعها أهل الطبقة العليا من المرازبة وقادة الجيوش والكُتَّاب ومَن كان في خدمة الملك وكذلك الأطفال والنساء وكبار السن ممن تجاوز عمرهم الخمسين عاماً،[2] إلا أن جمعها قد شكّل عائقاً لأفراد المجتمع بسبب اختلاف

---

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:397؛ كريستنسن. (1998م)، ص:99، 100؛ كريمر. (1947م)، ص:78؛ نصر. (2021م). ص:11، 12.

[2] الدينوري. (1959م)، ص:71؛ الجهشياري. (1938م)، ص:4، 5؛ المسعودي. (د.ت)، ص:89؛ بطاينة. (1987م)، ج2 ص:71؛ بيرنيا. (1992م)، ص:398، 399؛ كريستنسن. (1998م)، ص:110، 111.

مقدارها كثيراً من سنة لأخرى، فأحدثت من الغضب لدى الشعب ما دفع الملك كسرى أنوشروان إلى إيجاد حل لهذه المشكلة وذلك من خلال مسح الأراضي الخصبة والمزروعة وجعل كل ما يعادل جريباً[1] من الأرض مقياساً لتحديد قيمة الضريبة، كما سمح للناس بتسديدها على أربعة أقساط.[2]

أما ضريبة الرؤوس أو الضريبة الشخصية، فقد كان يُجمع من كل فرد من أفراد الشعب الفارسي الساساني مبلغ مالي محدد، ما عدا الأطفال والنساء والشيوخ أيضاً وكذلك اليهود والمسيحيون، مما جعل من تقديرها وجبايتها إجحافاً بحق باقي أفراد الشعب[3]، ولدرء ما قد ينتج عن ذلك من مخاطر قام كسرى أنوشروان بإصلاح هذه الضريبة أيضاً، إذ قسم الشعب إلى طبقات عديدة وفرض عليهم مبالغ محددة، على أن تُجبى ممن أعمارهم ما بين العشرين إلى الخمسين عاماً، وأعفى منهم المقاتلين ورجال الدين والكتّاب والموظفين في إدارة الدولة، وبذلك صدر أمر الملك إلى كل الولايات لتنفيذه على وجه السرعة وبكل إحكام.[4]

وإلى جانب الزراعة فقد كان للتجارة دور كبير في ملء الخزانة المالية، حيث صدّرت الدولة الفارسية الساسانية منتجاتها من الذهب والفضة والجواهر النادرة والثمينة كالياقوت والمرجان، وكذلك المنسوجات المذهّبة والأقمشة والملابس الحريرية وريش الطيور والمصوغات والجلود والكحل إلى أوربا والصين والهند، وقد درَّت صادراتها إلى الصين على وجه الخصوص عائدات كبيرة على الخزانة المالية فقد لاقى السجاد الفارسي

---

[1] الجَريب: مقياس يساوي 3.600 ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هاشمية (وتساوي الذراع الهاشمية اثنان وثلاثون إصبعاً من أصابع اليد). الماوردي. (1989م)، ص:194؛ عمارة. (1993م)، ص:147، 234.

[2] الدينوري. (1959م)، ص:71، 72؛ اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:308؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:130؛ بيرنيا. (1992م)، ص:399؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:108؛ خطاب. (1965م)، ص:25.

[3] مسكويه. (2002م)، ج1 ص:131؛ كريستنسن. (1998م)، ص:112.

[4] مؤلف مجهول. (1996م)، ص:328؛ الدينوري. (1959م)، ص:71، 72؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:131؛ بيرنيا. (1992م)، ص:398، 399؛ خطاب. (1965م)، ص:25؛ كريستنسن. (1998م)، ص:352.

الساساني سوقاً رائجاً له في الصين، بينما استوردت منها الحرير والورق وجلبت من الهند الأدوية والأحجار الكريمة.[1]

ومن مصادر الدخل أيضاً عائدات الجمارك فموقع الدولة الفارسية الساسانية المتوسط بالنسبة لطرق التجارة بين الغرب بما فيه من اليونان والامبراطورية البيزنطية وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر، وما بين الشرق كالصين والهند وآسيا الوسطى، مكَّنها من فرض ضرائب على القوافل التجارية لقاء مرورها ضمن أراضيها ولا سيما تلك الضرائب الباهظة التي فُرضت القوافل المحملة بالحرير والمتجهة نحو الامبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى ما يقدّمه أثرياء المدن من هدايا في الأعياد والمناسبات العامة، والغنائم الحربية والمبالغ التي تُؤخذ من الأعداء وفقاً لما نصت عليه المعاهدات بينهم كانت من أهم موارد الدخل الاقتصادي للخزانة المالية للدولة الفارسية الساسانية.[2]

بينما تجلت نفقات الدولة الفارسية الساسانية في نفقات البلاط ورواتب الموظفين والجنود، إلى جانب ما يُنفق على تجهيزات الحروب، وكذلك تكاليف بناء القلاع والجسور وإقامة السدود وشق الطرق وغيرها من الخدمات العامة.[3]

يُستنتج مما تقدم أن الدولة الفارسية الساسانية قد امتازت بغنى مواردها ووفرة ثرواتها إلا أن توزيع هذه الثروات بين طبقات الشعب وفئاته لم يكن منصفاً كما سيتم إيضاحه لاحقاً.

---

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:399، 400، 407؛ خطاب. (1965م)، ص:26؛ كريستنسن. (1998م)، ص:113، 117.

[2] بيرنيا. (1992م)، ص:399، 400، 407؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:147، 148؛ الخرابشة والنعيمات. (2011م)، ص:6، 7؛ ديورانت. (1988م)، ج12 ص:291؛ رنسيمان. (1997م)، ص:196، 197؛ ضية. (2016)، ص:10؛ العريني. (1982)، ص:89؛ فرج. (1982)، ص:81، 82؛ كريستنسن. (1998م)، ص:113، 117.

[3] بيرنيا. (1992م)، ص:406؛ كريستنسن. (1998م)، ص:114

ج. المظاهر الحضارية الفارسية الساسانية اجتماعياً:

- **التعريف بالنظام الاجتماعي الطبقي:**

لا بد من التمييز بين الطبقة الاجتماعية والفئة الاجتماعية، حيث تقوم الفئة الاجتماعية على الحرفة التي تزاولها كل مجموعة من الأفراد كفئة البنَّائين وفئة صانعي الزجاج وفئة الأساتذة وفئة الضباط، أو تعتمد على وسيلة الحصول على الدخل كفئة المُلّاك وفئة الأُجراء وفئة المحتالين، أو تعتمد على عدم اتخاذ حرفة ما كالمتسكعين، وبالتالي تضم كل طبقة اجتماعية عدة فئات كطبقة الفلاحين التي تضم فئة المُلّاك والمتسأجرين والمزارعين.[1]

فاصطبغ كل مجتمع من المجتمعات بصبغة ميزته عن غيره تبعاً لتوزع الأفراد فيه، على الرغم من صعوبة تحديد معالمه بدقة بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ على المجتمع من حيث حتمية اندماج الأفراد فيما بينهم، حيث يعتمد المجتمع الطبقي في بنائه على عدة عناصر أهمها الثروة، حيث يتوزع الأفراد حسب مستوى دخلهم المادي بين الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة والطبقة الميسورة والطبقة المتوسطة وطبقة الملاك وطبقة المعدَمين، كما يعتمد تحديد معنى الطبقية أيضاً على مهنة هؤلاء الأفراد فمنهم العمال والفلاحين وأصحاب المهن الحرة من تجّار وصنّاع وحرفيين، إضافة إلى نوع الحياة التي يعيشونها فلكل طبقة سلوكها الخاص وطريقتها في طلب الغذاء وتنظيم مصروفاتها وعاداتها الجسمانية والفكرية وألفاظها الخاصة، ولا يمكن تجاهل دور الثقافة والتربية في تحديد معنى الطبقة الاجتماعية أيضاً، فهناك المثقفون وغير المثقفين وهناك مَن تميز بسمو التربية ومنهم مَن تجرد منها.[2]

---

[1] جوسان. (2011م)، ص:31، 33.

[2] جوسان. (2011م)، ص:17-19، 22، 25.

- **المجتمع في الدولة الفارسية الساسانية:**

طغت الطبقية على المجتمع الفارسي الساساني فكثرت فيه طبقاته وفئاته إلى أن أصابه الغموض الشديد إلا أنه يمكن القول أن هناك تقسيم اجتماعي يتعلق بالشعب عامة ويعود ذلك إلى عهد أردشير بن بابك[1] (226– 241م) والذي قسم المجتمع الفارسي إلى أربعة طبقات تنقسم كل منها إلى عدة أقسام أخرى، كما لكل منها رئيس وهي:

1. طبقة رجال الدين (آثرَوان): التي تنقسم إلى (دادور) وهي أعلى طبقة من رجال الدين والمتحكمين بالطبقات الأدنى منهم، والعُبَّاد (المغان) وهي أقل درجة وأكثر عدداً، وهناك الزُّهاد والسدنة (الهربذان)، ويليهم علماء يشتغلون بوظائف خاصة ثم المراقبون (داستوران)، والمعلمون (مغان–اندرزبذ) لكي يعلّم كل فرد حرفة أو عملاً أو علماً منذ الطفولة، وعلى رأسهم (الموبذان موبذ).
2. وطبقة رجال الحرب (إرتشتاران): وتتكون من الفرسان والرَّجالة ولكل قسم رُتبه وموظفوه، وعلى رأسهم (إيران سباهبد).
3. وطبقة كُتَّاب الدواوين (دبيران): وتنقسم إلى كُتَّاب الرسائل وكُتَّاب المحاسبات وكُتَّاب السجلات وينتمي إلى فئتهم الأطباء والشعراء والمنجمون، وعلى رأسهم (إيران دبيران).
4. طبقة الشعب التي تشمل الفلاحين (وستريوشان) والصُّناع (هو تخشان) والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف، وعلى رأسهم (وستريونسالار)، وأخيراً هناك العبيد الذين كثر عددهم في الدولة الفارسية الساسانية، ومن جهة أخرى فقد كان لكل رئيس طبقة اجتماعية موظف يعمل لديه وتحت إشرافه

[1] أردشير بن بابك: هو مؤسس الدولة الفارسية الساسانية بعدما كان عمل كحاكم قلعة داراب في ظل حكم الإشكانيين، ولكنه نصَّب نفسه ملكاً عام 212م ثم خرج عن سلطة أردوان الخامس –آخر ملوك الإشكانيين– وقتله عام 224م، ليرث حكم الفرس ويصبح أول حاكم لهم من الأسرة الساسانية. بيرنيا. (1992م)، ص:303، 327.

ومكلف بإحصاء عدد أهل الطبقة، ثم مفتش مكلف بالتحقق من معرفة دخل كل فرد وأخيراً معلم (اندر زبد) ومهمته تعليم كل فرد حرفة أو عملاً أو علماً منذ الطفولة.[1]

أما التقسيم الاجتماعي الآخر فلا يشمل غير الطبقات النبيلة، ويمكن تصنيفهم ضمن التالي:

- **أمراء الدولة أو الملوك (شهرداران):** مفردها شهردار ومعناها المحافظ ويشكلون أعلى طبقة من طبقات المجتمع الفارسي الساساني كما يعد منصبه أهم مناصبِ الدولة كحاكم أرمينية والحيرة وغيره، ويُلقب بالشاه أو الملك، مما جعل لحاكمهم الأعلى الذين يدينون له بالولاء ويدفعون له ما يفرضه من جزية أن يُلقب بالملك أو ملك الملوك.[2]
- **أهل البيوتات (واسبوهران):** وهم طبقة اجتماعية تألفت من سبع عائلات ذات أنساب عريقة، وقد استلموا مناصبَ مهمةً في البلاد انتقلت بينهم بالوراثة، وامتلكوا أراضٍ وثروات تصرفوا بها كما شاؤوا دون تدخل من الدولة.[3]
- **العظماء (وزركان):** وهم الوزراء الذين أُلقيت على عاتقهم مهمات إدارة شؤون الدولة والشعب ومنهم: كبير الوزراء (وزرك فرمادار)، وكبير رجال الدين (موبذان موبذ)، وقد تمتع رجال الدين الزرادشتيين بمكانة كبيرة في المجتمع الفارسي الساساني آنذاك، وقد استمدوا هذه المكانة من سلطتهم الروحية والقضائية بفصلهم بين الناس في خلافاتهم ومن ثرواتهم الكبيرة وأراضيهم الواسعة التي امتلكوها من خلال الغرامات المالية والهبات وغيرها، مما منحهم استقلال واسع المدى أشبه ما يكون بدولة داخل دولة،[4] وعلى الرغم من ذلك فقد ميزت الطبقية بين رجال الدين أنفسهم،

---

[1] كريستنسن. (1998م)، ص:85، 86.

[2] بيرنيا. (1992م)، ص:395، 396؛ كريستنسن. (1998م)، ص:87؛ نصر. (2021م)، ص:5.

[3] بيرنيا. (1992م)، ص:396؛ كريستنسن. (1998م)، ص:90.

[4] المسعودي. (د.ت)، ص:90؛ خطاب. (1965م)، ص:23.

حيث قُسمت البلاد إلى مراكز دينية فيها رجال الدين الصغار الملقبين بـ (مغان) ويعلوهم رؤساء المعابد المعروفين بـ (مغان مغ) وللطبقة العليا منهم لقب (موبذ)، وللموابذة رئيس يُلقب بـ (موبذان موبذ) والذي تولى السلطة العليا في المسائل الدينية، كما كان لخَدَمَة النار (الهرابذة) مكانة كبيرة ويرأسهم (الهربذان هربذ)[1]، ومن العظماء أيضاً رئيس طبقة الكتّاب (إيران دبير بذ)، والقائد العام (السبهسالار) أو ورئيس المزارعين، ورئيس التجار وأصحاب المهن.[2]

- **الأشراف أو الأحرار (آزاتان):** هم صغار الموظفين في إدارة أقاليم الدولة ممن امتلكوا أراضٍ خاصة بهم وكانوا على أهبة الاستعداد للحرب متى استدعت الحاجة لذلك، ويقف إلى جانبهم الفرسان المعروفين بالأساورة والذين يشكلون عماد الجيش الفارسي الساساني.[3]
- **طبقة النبلاء:** وتتألف هذه الطبقة من رؤساء القرى (الدهاقين) الذين كان لهم دور كبير في المجتمع الفارسي الساساني لكونه مجتمع إقطاعي وراثي، حيث شكل الدهاقون صلة الوصل بين الشعب والشاه إذ عملوا في جمع الضرائب من الأهالي وإيصالها إلى الدولة، كما امتلكوا من الأراضي الكثير واستأثروا بها لأنفسهم.[4]

وقد ترسخ النظام الطبقي في المجتمع الفارسي الساساني من خلال منع أفراد كل طبقة اجتماعية من الانتقال لطبقة أعلى منها، ومنع زواج أهل الطبقات العليا بأحد أفراد الطبقات الدنيا للحفاظ على صفاء نسلهم، وعلى الرغم من ذلك فقد سعى بعض الأفراد للزواج من أفراد الطبقات العليا من أجل الحصول على المال والجاه، وقد تجلَّت الطبقية في أبرز صورها بإصدار الملوك. أوامرهم بتمييز أصحاب الطبقات العليا أنفسهم

---

[1] ابن حزم. (د.ت– ب). ج2 ص:57؛ خطاب. (1965م)، ص:23؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:22.

[2] المسعودي. (د.ت)، ص:90، 91؛ بيرنيا. (1992م)، ص:396؛ كريستنسن. (1998م)، ص:97.

[3] بيرنيا. (1992م)، ص:397؛ كريستنسن. (1998م)، ص:99.

[4] بيرنيا. (1992م)، ص:397؛ كريستنسن. (1998م)، ص:99، 100؛ كريمر. (1947م)، ص:78.

عن عامة الناس في المركب والملبس والمسكن والممتلكات والزوجات وكذلك الخدم أيضاً، وتخصيص معابد خاصة لكل طبقة على حدى، وجعل تعلُّم القراءة والكتابة حق مقصور على أبناء الأعيان ورجال الدين، فرجال الدين الذين ينفقون حياتهم وأموالهم فداءً لإيمانهم ومصلحة الناس لا يتساوون عندهم مع أهل الحرف الذين يعيشون الرفاهية والطمأنينة مع عائلاتهم، وقد فُرض على مَن تجاوز هذا القانون الحرمان من الميراث، وبيع أملاكه لعامة الناس.[1]

يُلاحظ مما سلف تقسيم الشعب الفارسي الساساني لطبقات وفئات متعددة ومتدرجة، وتركز الأموال والثروات بأيدي الطبقة العليا منها بجميع فئاتها من النبلاء، في حين اعتمد الاقتصاد الفارسي الساساني على الثروة الزراعية التي تقوم على جهد المزارعين والضرائب التي تُفرض على عامة الشعب، مما يعكس عدم الإنصاف في توزيع الثروة والظلم الذي عانى منه الناس.

أما عن حال المرأة والأسرة في المجتمع الفارسي الساساني فقد كان تعدد الزوجات دون شرط أو تحديد عدد مباحاً عندهم، كما سُلب من المرأة حق اختيار زوجها ومنحوه لأبيها، وفي حال وفاة أبيها ينتقل هذا الحق إلى أمها ثم إلى أحد أعمامها أو أخوالها، كما أعطوا الزوج حق الوصاية على أموال زوجته فلا تتصرف بأموالها دون إذنه، كما مُنعت الزوجة من مشاركة زوجها بأموره المالية إلا بسند قانوني، وكان للزوج حق إهداء زوجته لرجل آخر دون أن يكون رضاها شرطاً لتحقيق ذلك، ويكون الأبناء المولودون من هذا الإهداء أولاداً للرجل الأول، وقد تعددت حالات الإهداء ففي حال تُوفي الزوج قبل إنجابه للأطفال تُعطى زوجته إلى أقرب رجل من عائلته، وفي حال كانت زوجة الرجل متوفيّة تُمنح ابنته عوضاً عنها لأقرب أنسباء الرجل المُتوفَّى، وفي حالة لم يكن للرجل زوجة أو بنات يتم تزويج أقرب أقربائه من ميراث الرجل الميت، ويعد أبناء

[1] نتسر. (1954م)، ص:41، 42، 48؛ بيرنيا. (1992م)، ص:397؛ مطهري. (1997م)، ص:93، 243.

هذا الزواج أبناءً للرجل المُتوفَّى، وكل ذلك كان يدخل لديهم ضمن نطاق العمل الخيري الذي ينقذون به الفقراء أو الرجل الميت من عدم الإنجاب.[1]

ومن الجدير ذكره هنا أن زواج المحارم كان شائعاً بل مفضلاً عن غيره عندهم، بغية منع امتزاج دم الزوجة بدم أجنبي، وحصر الوارثين للأملاك والأموال ضمن نطاق العائلة الواحدة، وقد حثت الدولة على هذا الزواج بمبررات دينية ووعود بالأجر أو العقاب، وهذا ما ترفضه الفطرة الطبيعية وتتآه النفس الإنسانية السليمة.[2]

تدل طبيعة العلاقات داخل الأسرة الفارسية الساسانية من تبادل الزوجات وإعارتها وزواج المحارم على ما كان يعاني منه المجتمع آنذاك من اختلاط في الأنساب وضياع في المواريث والحقوق وتفشي الأمراض.

ثانياً: أوضاع الامبراطورية البيزنطية ومظاهرها الحضارية:

1. أوضاع الامبراطورية البيزنطية قبيل تسلم الامبراطور هرقل:

دوام الحال من المحال، وهذا ما تتصف به دورة الحياة سواء كانت للفرد أو للمجتمع أو حتى للدول، فمن كان في قمة ضعفه وصل لاحقاً إلى ذروة قوته، ومَن حقق أزهى أمجاده تكالبت عليه الأسباب لاحقاً حتى أوصلته إلى أقصى درجات الهوان، وهذا ما يمكن أن يطلق على حال الامبراطورية البيزنطية حينما عاشت أزهى عصورها في بدايات القرن الرابع الميلادي عندما اعترف الامبراطور قسطنطين الأول الكبير[3] Constantin I the Great (306– 337م) بالديانة المسيحية ديانة رسمية للامبراطورية الرومانية

---

[1] العباداني. (2011م)، ص:109؛ فيزهوفر. (2009م)، ص:216؛ مطهري. (1997م)، ص:251–254.

[2] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:219؛ المسعودي. (1996م)، ص:102؛ العباداني. (2011م)، ص:105؛ فيزهوفر. (2009م)، ص:215؛ مطهري. (1997م)، ص:254، 255.

[3] قسطنطين الأول الكبير: ترعرع على يد الامبراطور دقلديانوس Dcocledianus (284–313م) الذي تنازل عن العرش عام 305م حيث أصبح امبراطوراً ولا سيما بعد هزيمته لامبراطور الشرق ليسينيوس Licinius (308–324م) وهكذا أصبح امبراطوراً للامبراطورية بقسمَيْها

ثم نقله لعاصمتها من روما إلى المدينة الجديدة التي بناها وسُميت باسمه وهي القسطنطينية عام 330م، وقد خلفه العديد من الأباطرة الذين كان لهم الفضل في إيصال الامبراطورية البيزنطية إلى ذروة مجدها واتساع مساحتها، إلا أن بعض الأباطرة لم يحافظوا على ما حققه أسلافهم من إنجازات، فبدأت عجلة العَظمة بالانحدار وكادت أن تودي بالامبراطورية إلى الانهيار، فها هو الامبراطور جستنيان الأول قد استهل عهده بإنجازات كبيرة ارتقى من خلالها بالامبراطورية إلى مصافي الدول، وذلك بعد أن ضمن لها استقرارها الخارجي بعقد صلح عام 532م مع عدوها الفارسي الساساني المتمثل بالملك كسرى أنوشروان، وإعادة تنظيم جيوشه وإرسالها لمحاربة البرابرة[1] في جميع أنحاء أوربا، أما داخلياً فقد قضى على ثورة النصر[2] Nika عام 532م التي كادت

الشرقي والغربي، ومن إنجازاته الاعتراف بالمسيحية وإنشاء مدينة القسطنطينية على موقع المستعمرة الإغريقية المعروفة باسم بيزنطيوم Byzantium وإدخال العملة الذهبية المعروفة باسم الصولد Solidus ومحاربة الفرس الساسانيين. النقيوسي. (د.ت)، ص:69، 70؛ نيكول. (2003م)، ص:130، 131.

Zonaras. (2009). P:192, 194. Kazhdan. (1990), V1 P:498, 499.

[1] البرابرة: هي كلمة أطلقها الإغريق ثم الرومان على الشعوب التي لم تكن تتكلم الإغريقية أو اللاتينية، ثم أُطلقت للدلالة على القوى الأجنبية المعادية التي شكَّلت خطراً على الحضارتَين الإغريقية والرومانية، وهي لفظة لا تدل على الهمجية أو الوحشية على الرغم من كون البرابرة شعوباً لم تنعم بالاستقرار المدني أو بحدود ثابتة لأراضيهم بسبب ما تعرضوا له خلال تاريخهم لضغط شعوب أخرى دفعهم للبحث عن ملجأ لهم، فأحاطوا بالامبراطورية الرومانية ثم البيزنطية واجتاحوا حدودها بغية تحقيق ذلك، ومنهم مثلاً القوط Goths الذين كانوا يقيمون في سهول روسيا الجنوبية الغربية، ولكنهم نزحوا منها بسبب ضغط القبائل الآسيوية القادمة من الشرق، وهناك اللومبارديين Lombards الذين يعود موطنهم الأصلي إلى إقليم نهر الألب في أوربا، ولكنهم وسَّعوا نفوذهم حتى وصلوا إيطاليا عام 568م. عاشور. (1976م)، ج1 ص:55؛ عمران. (2006م). ص:148؛ نوفل، نعمة. (2017م)، ص:45؛ يوسف. (1984م)، ص:69، 72، 77.

[2] ثورة النصر: هي ثورة شعبية اشتعلت نتيجة اتحاد حزبَي الزرق والخضر السياسيَيْن ضد إدارة الامبراطورية التي تشددت في فرض الضرائب، وقد استمرت لثمانية أيام اتسعت فيها دائرة الاحتجاجات إلى أن همَّ الامبراطور جستنيان الأول بالفرار لولا صمود زوجته ثيودورا Theodora وتشجيعها له من أجل الصمود والمقاومة، فبطش بالثوار وكمّ أفواههم وفتك بالآلاف منهم، فانتهت الثورة بالإخفاق. ديورانت. (1988م). ج12 ص:211، 212؛ عوض. (2007م)، ص:158؛

Kazhdan. (1990), V2 P:1473. Shepard. (2008). P:120.

أن تطيح بحكمه بالبطش والعنف، كما أمر بجمع القانون الروماني[1] وترتيبه ضمن أبواب ليسهل استخدامه، إضافة إلى اهتمامه بالتجارة والصناعة ومحاولته توفير كل ما يلزم لازدهارها، وعمله على توحيد كلمة شعبه الدينية ومحو الخلاف بينهم.[2]

ويُستنتج مما سلف أنه على الرغم من إنجازات الامبراطور جستنيان الأول الكثيرة ومحاولاته للنهوض بالامبراطورية إلا أنه إلا أن الأحداث اللاحقة أظهرت أن إصلاحاته وجهوده لم تكن كافية لذلك إذ عانت الامبراطورية من إفلاس الخزينة وتبديد طاقات أبنائها وقوى جيوشها في حروب لا طائل منها، إذ ما لبثت أن ذهبت إنجازاته العسكرية هباءً منثوراً وتحولت إلى مشاكل حاول خلفاؤه من الأباطرة حلها ودرء تبعاتِها.

حيث تسلم خليفته الامبراطور جوستين الثاني عرش امبراطورية عادت لتعاني من اضطراب سياسي ووضع اقتصادي على وشك الانهيار وأعداء يحيطون بها من كافة الجوانب حيث نزل اللومبارديون[3]

---

[1] ضم القانون الروماني مجموعة غير منظمة من المراسيم الامبراطورية وقرارات مجلس الشيوخ وأحكام رجال القانون في مختلف القضايا والتي أصبحت غير صالحة مع مرور الزمن، فأمر الامبراطور جستنيان الأول عام 528م بجمع هذه القوانين لتنظيم قوانين الدولة،فتم إصدار ثلاث مؤلفات قانونية تحت اسم (مجموعة القوانين المدنية) حيث سُمي أول مؤلَّف منها باسم (القانون الدستوري) والذي أعلنه الامبراطور جستنيان القانون الرسمي للامبراطورية، وقد استغرق هذا الإنجاز 14 عاماً من العمل المتواصل. توفيق. (1967م)، ص:55؛ ديورانت. (1988م). ج12 ص:226؛ عمران. (2000م)، ص:53؛ عوض. (2007م)، ص:163، 164.

[2] بروكوبيوس. (2001م)، ص:116، 117؛ توفيق. (1967م)، ص:48، 51، 54، 55؛ الشاعر. (1989م)، ص:82؛ العلان. (2009م)، ص:29؛ عوض. (2007م)، ص:158، 164-167؛

Zonaras. (2009). P: 200. Mango. (2002), P:45,46. Shepard. (2008). P:119.

[3] اللومبارديون: هم قبائل خرجوا من موطنهم الأصلي في إقليم نهر الألب نحو هنغاريا Hungary ليسيطروا عليها في القرن الخامس الميلادي ثم ليتوسعوا وصولاً إلى نهر الدانوب، ليتوجهوا فيما بعد نحو إيطاليا ليستقروا فيها. عمران. (2006م)، ص:148.

Kazhdan. (1990), V2 P:1249.

Lombards في شمال إيطاليا عام 568م وأقاموا عدداً من الولايات التابعة لهم فيها[1]، وهاجم السلاف[2] Slavs والآفار شبه جزيرة البلقان وهددوا العاصمة القسطنطينية[3]، فلم يكن منه إلا أن أنشأ حلفاً مع الأتراك وأرسل جيشاً نحو أرمينية وشمالي بلاد الشام أي ضد عدوهما المشترك ألا وهو الملك كسرى أنوشروان الذي لم يكن عمره المُشارف على السبعين خريفاً ليمنعه من الخروج لقتال أعدائه بل وهزيمتهم، إذ ما لبث الامبراطور جوستين الثاني أن تراجع أمامه جيوش الفرس الساسانيين على مشارف أنطاكيا التي تركها للفرس الذين لم يخلّفوا فيها سوى السلب والنهب والدمار، ولينتقلوا بعدها للسيطرة على مدينتي أفامية ودارا ولم يكن باستطاعة الامبراطور تحمل هذه الهزيمة فأُصيب بالجنون، فقامت زوجته صوفيا[4] Sophia بإخفاء أمر ما أصابه واستلام

---

[1] الشيخ. (1994م)، ص:67؛ هسي (1997م)، ص:100.

Ostrogorsky. (1968), P:79.

[2] السلاف: شعوب كانت مستقرة في أواسط آسيا ثم تعرضت لضغط قبائل أخرى شديدة الوطأة مما أدى بهم إلى الوقوع في الأسر والتحول للعبودية ومن هنا جاءت تسميتهم بالسلاف Slave أي العبد، ولكنهم خلال القرن السادس الميلادي بدؤوا بالنزوح جنوباً نحو الإمبراطورية البيزنطية حتى استقروا شمال نهر الدانوب في منتصف القرن السادس مما دفع بالامبراطور جستنيان الأول لقتالهم، وهم قوم يمتازون بالشعر الأصهب والصولة الشديدة. القزويني. (د.ت)، ص:614. عمران. (2006م)، ص73؛ يوسف. (1984م)، ص:70.

Baynes and Moss. (1948), p:338. Kazhdan. (1990), V3 p:1916.

[3] العريني. (1982م)، ص:105، 106.

[4] صوفيا: زوجة الامبراطور جوستين الثاني، وُلدت قبل عام 530م وتميزت بالجرأة والإصرار والتطلع للسلطة، فأدت دوراً رئيساً خلال عهد زوجها جوستين الثاني فدعمت وصول القائد تيبيريوس إلى العرش من خلال دفع جوستين الثاني لتبنّيه، إلا أن تيبيريوس أبعدها عن ساحة القرار السياسي مما دفعها للتخطيط ضده، فاعتقلها تيبيريوس وصادر ثروتها، وعند وفاته دعمت وصول الامبراطور موريس للعرش، وتُوفيت بعد عام 600م، وهي أول امبراطورة تم نقش صورتها على العملات بجانب الامبراطور. الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:36، 39؛

Kazhdan. (199 m0), V3 P:1927. Shahid. (1995), V1 P:394.

دفة الحكم بمساعدة القائد تيبيريوس Tiberius الذي عقد صلحاً مع كسرى أنوشروان لإنهاء الحرب فور تسلمه للسلطة.[1]

إلا أن الامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور تيبيريوس الأول[2] Tiberius I (578– 582م) قد أصبحت أحسن حالاً ونعمت ببعض الاستقرار، إذ بدأ حكمه أولاً باسم الامبراطور جوستين الثاني إلى حين وفاته، فأخفض الضرائب عن الشعب وأقام علاقات قوية مع بعض قواد اللومبارديين وشجعهم على العمل لمصلحته، وضمن السلام لبلاده بتوقيع هدنة مع الآفار، ثم بتوقيع هدنة أخرى مع الفرس الساسانيين في إقليم الجزيرة الفراتية، ولكنه نقض هذه الهدنة عام 578م حين عيَّن الامبراطور تيبيريوس القائد موريس قائداً للفرق العسكرية في الشرق إذ استطاع إحراز بعض الانتصارات على الفرس الساسانيين، وهو مَن خلفَ الامبراطور تيبيريوس بعد وفاته على عرش الامبراطورية البيزنطية، وقد واجهت الامبراطورية خلال سنوات عهد الامبراطور موريس مشكلة دينية نتجت عن اختلاف آراء الناس حول طبيعة المسيح ﷺ فمنهم من آمن بوجود طبيعتَيْن للمسيح وهو المذهب الأورثوذكسي[3] Orthodox الذي كان المذهب الرسمي للامبراطورية، بينما اعتقد آخرون

---

[1] الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:35؛ خطاب. (1965م)، ص:58؛ داوني. (1967م)، ص:330؛ عوض. (2007م)، ص:181؛ فرج. (1982م)، ص:105.

Simocatta. (1986). P:101.

[2] تيبيريوس: هو أحد ضباط جيش الامبراطور جوستين الثاني الذي تبناه ولقّبه بقيصر عام 574م ثم جلس بعده على عرش الامبراطورية عام 578م فكان له مواجهات عديدة مع السلاف والآفار وتصدى لهجوم الفرس الساسانيين على أرمينية. الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:35؛ نيكول. (2003م)، ص:92.

Kazhdan. (1990), V3 P:2083, 2084. Shepard. (2008). P:125.

[3] المذهب الأورثوذكسي: مذهب اعتقد أصحابه أن للمسيح ﷺ طبيعة بشرية مستقلة ومنفصلة تماماً، وطبيعة إلهية مستقلة ومنفصلة تماماً، فكأن المسيح ﷺ بشر وإله معاً، وساد هذا المذهب في الإمبراطورية البيزنطية باستثناء مصر وبلاد الشام. ابن حزم. (د.ت– ب)، ج1 ص:48؛ الشهرستاني. (1968م)، ج2 ص:27؛ مار ميخائيل. (1996م)، ج1 ص:313– 323؛ عطية. (2005م)، ص:73– 75؛ رستم. (د.ت)، ج1 ص:337– 344؛ العباداني. (1999م)، ص:259، 260.

Haldon. (1990), p:328. Hussy. (1990), p:5. Morgan. (2007). P:73.

بوجود طبيعة واحدة للمسيح وهو المذهب المونوفيزتي[1] Monophysite الذي اعتنقه أهل بلاد الشام ومصر[2]، أما الدولة الساسانية شهدت آنذاك انقلاباً عسكرياً على الملك كسرى أبرويز الذي استعان بنظيره البيزنطي موريس فأمده بالمال والجنود عام 591م.[3]

وبذلك تفرغ الامبراطور موريس لتنظيم الداخل البيزنطي بإنشاء نظام الأكزارخية Exarch (الحاكم العسكري) الذي قام على دمج السلطات العسكرية والمدنية بيد الحاكم العسكري والذي يشرف بدوره على الموظفين الإداريين والمدنيين، وأرسل حملات عسكرية تأديبية لإيقاف هجمات الآفار والسلاف ونجح في إرغامهم على التراجع إلى ما وراء نهر دونفيس (الدانوب)[4] Danube، ولكن ما أصاب الامبراطورية من

---

[1] المذهب المونوفيزتي: مذهب يقول أن للمسيح ﷺ طبيعة واحدة حيث ذابت الطبيعة البشرية في الطبيعة الإلهية وبقيت الطبيعة الإلهية وحدها، أي أن طبيعة المسيح ﷺ هي الإلهية، وساد هذا المذهب في الأقاليم الشرقية التابعة للامبراطورية البيزنطية ولا سيما في مصر وسورية وفلسطين وأرمينية. إيفاجريوس. (2019م)، ج2 ص:205؛ اسماعيل. (2005م)، ص:142؛ بينز. (1950م)، ص:104؛ خياطة. (د.ت)، ص:102؛ زكار. (1997م)، ج2 ص:811؛ علي، (1993م)، ج6 ص:630، 631.

Frend. (1972), p:2. Kazhdan. (1990) v2 p:1398.

[2] إيفاجريوس. (2019م)، ج2 ص:205، 206؛ العبادي. (1999م)، ص:259، 260؛ علي. (1993م)، ج6. ص:630، 631؛ عمران. (2000م)، ص:63.

Unknown. (1989). P:139. Shepard. (2008). P:126.

[3] المسعودي. (2005م)، ج1 ص:208؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:148؛ مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:261؛ بيرنيا. (1992م)، ص:371؛

Theophanes. (1997), P:389. Sebeos. (N.d-B), p:16. Browning (1980), p:8. Bury. (1889), V2 P:112. Ostrogorsky. (1968), P:80.

[4] نهر الدانوب: يعد ثاني أطول أنهار أوربا حيث يصل طوله إلى 2860 كم وينبع من ملتقى نهرَيْن صغيرَيْن في الغابة السوداء في ألمانيا ويمر في النمسا والمجر ويشكل الحد الفاصل بين رومانيا وأوكرانيا، ويتفرع إلى ثلاثة أفرع قبل أن يصب في البحر الأسود. أحمد، عثمان. (2004م)، ج2 ص:15؛

Tockner. (2008), P:61.

اضطراب جعل من نجاحه العسكري هذا نجاحاً مؤقتاً إذ عاود البرابرة هجماتهم وأقاموا لأنفسهم ممالك مستقلة وتمكنوا من احتلال مساحة كبيرة من أراضي الامبراطورية.[1]

وهكذا على الرغم من محاولات الامبراطور موريس للحفاظ على أمن بلاده واستقرارها إلا أن آراء الشعب حول تصرفاته قد انقسمت إلى اتجاهَيْن متناقضَيْن فمنهم مَن رأى فيها عدلاً وحزماً وحرصاً على مصلحة الشعب والدولة والجيش فأحبوه ودعموه[2]، ومنهم مَن رأى أنه لم يعد جديراً بالحكم بسبب عدم إيجاده لحل نهائي للخلاف الديني الذي عصف بأتباع الطوائف الدينية المختلفة آنذاك، ولإعلانه عن العزم لجعل روما عاصمة أخرى كالقسطنطينية تمارس منها السلطة الامبراطورية فيحكم ابنه الكبير ثيودوسيوس[3] Theodosius القسطنطينية والولايات الشرقية للامبراطورية من بعده بينما يحكم ابنه الثاني تيبيريوس في إيطاليا والجزر الغربية وهذا ما ولّد الخوف لدى السكان من استمرار رداءة حالهم أثناء حكم أبنائه[4]، ومما أجج نفوس الناس ضده أكثر هو غضب الجيش من سياسته المالية والعسكرية حيث عجز عن وضع حد نهائي لتجاوزات السلاف والآفار لحدود الامبراطورية كما أمر الجيش بالمبيت شمال نهر الدانوب حيث البرد القارس

---

[1] الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:15؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:169؛ العريني. (1982)، ص:109، 111؛ عوض. (2007م)، ص:182؛ هسي. (1997م)، ص:101.

Browning. (1980), p:8. Kazhdan. (1990), V2 P:767.

[2] مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:250؛ ابن العبري. (1994م)، ص:152؛ عمران. (2006م)، ص:146؛ نيكول. (2003م)، ص:149.

[3] ثيودوسيوس: هو الابن الأكبر للامبراطور موريس، وُلد في القسطنطينية عام 583م، وقد زوّجه الامبراطور موريس من ابنة أحد أهم أعضاء مجلس الشيوخ ويدعى جيرمانوس، وخلال ثورة فوقاس طالب به الجيش ليكون امبراطوراً لهم عوضاً عن موريس، ولكن موريس رفض ذلك ودفعه لطلب المساعدة من كسرى أبرويز ولكنه لم يتمكن من ذلك إذ هرب مع عائلته وأبيه خارج العاصمة، وتُوفي عام 602م.

Sebeos. (N.d-A), p:55. Kazhdan. (1990), V3 P:2050.

[4] داوني. (1997م)، ص:337؛ عاقل. (1997م)، ص:78؛ هسي. (1997م)، ص:102.

Unknown. (1989). P:140.

في فصل الشتاء حتى يحين موعد استئناف القتال مع السلاف والآفار، فاعتقد البعض أنه أراد توفير نفقات عودة الجيش فاتهموه بالبخل[1] ولا سيما أنه قد رفض أيضاً دفع فدية آلاف الأسرى البيزنطيين الذين قد قبعوا في سجون الآفار مما أدى إلى مقتلهم جميعاً عام 599م، وكذلك قام ببيع جميع قمح مصر وبيزنطة وحوّل ثمنه إلى ذهب، إضافة إلى أنه أصدر قراراً بإنقاص المرتبات العسكرية بنسبة 25% مما أوغل صدور الشعب والجيش ضده، فاشتعلت الثورة التي أطاحت بحكمه ونالت من حياته في النهاية عام 602م.[2]

والجدير بالذكر هنا أن الامبراطور موريس لم يأمر جيشه بالبقاء شمال نهر الدانوب توفيراً للنفقات بل ربما أراد مهاجمة السلاف خلال فصل الشتاء لأنه سيصعب على السلاف الاختباء وراء الأشجار العارية، كما أن الثلوج المتراكمة ستكشف آثار أقدامهم فيسهل اللحاق بهم وكذلك فإن الأنهار المتجمدة ستسهل على البيزنطيين التحرك والعبور من منطقة لأخرى، وهذا ما ذكره الامبراطور موريق في كتابه (الاستراتيجية)[3]، كما أنه من المستبعد أن الثورة قد قامت ضده بسبب ما ادّعوه بضغط السلاف وإخفاقه في صدهم، لأن موريس ما لبث أن عاد بحملة ناجحة ضد السلاف عام 602م.[4]

ومهما كانت الأسباب إلا أن الإطاحة به قد أوصلت الامبراطور فوقاس إلى العرش، وهو أحد القادة الذي اختاره الجنود لاستلام العرش من بعد الامبراطور موريس[5]، إلا أن اختيار فوقاس امبراطوراً كان شر اختيار لهم إذ ظلم وتجبر وقسا على الشعب وأسرف في عمليات القتل لكل من المذنب والبريء واضطهد

---

[1] أومان. (1953م)، ص:98؛ اسماعيل. (1985م)، ص:40؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:154؛

[2] الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:84؛ أومان. (1953م)، ص:98؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:169؛

Sebeos. (N.d-B), p:35. Browning. (1980), p:8. Bury. (1996), V2 P:86. Mango. (2002), P:53.

[3] Maurice. (1984), P:121, 122.

[4] Curta. (2004), P:106.

[5] مار ميخائيل. (1996م)، ج2 ص:264، 265؛ ابن العبري. (1994م)، ص:154؛ داوني. (1967م)، ص:334.

Sebeos. (N.d-A), p:55. Sebeos. (N.d-B), p:35. Browning. (1980), p:8. Bury. (1889), V2. P:89, 92. Kaegi. (2003), P:37. Mango. (2002), P:53.

المونوفيزتيين ولاحق اليهود، وسعّر الخلاف بين حزبي الزرق والخضر[1] السياسيَيْن، كما سالمَ الآفار برفع قيمة ما يدفعه لهم من جزية، بينما لم يتمكن من إيقاف زحف السلاف داخل أراضيه، لذلك استنجد الشعب بمن وجدوا فيه منقذاً لما آل إليه حالهم وهو هرقل أرخون[2] إفريقية[3].

2. أوضاع الامبراطورية البيزنطية خلال عهد الامبراطور هرقل (610 -641م):

أ. استلامه للعرش وإصلاحاته الداخلية:

لم يجد الشعب البيزنطي إثر الحالة المتردية التي آلت إليها الامبراطورية نتيجة حكم الامبراطور فوقاس سوى الاستنجاد بمَن اعتقد أنه يستطيع إنقاذ حالهم وبلادهم، وقد تجسد هذا الشخص بأرخون إفريقية هرقل –والد الامبراطور هرقل– الذي استجاب لندائهم وقام أولاً بإيقاف إرسال القمح والضرائب إلى العاصمة البيزنطية لتأجيج الثورة فيها، ثم بعث ابنه هرقل – الذي سيصبح الامبراطور لاحقاً – إلى القسطنطينية بحراً،

---

[1] حزبا الزرق والخضر: انقسم المجتمع الروماني ولا سيما المشجعون لسباقات العجلات التي كانت تقام في ملعب القسطنطينية لأحزاب تبعاً لألوان ملابس المتسابقين كالأزرق والأخضر والأبيض والأحمر، إلا أنها تحولت فيما بعد إلى أحزاب سياسية تباينت مصالحها، حيث مثّل حزب الزرق مصالح الطبقات العليا في المجتمع، بينما مثّل حزب الخضر مصالح الطبقات الدنيا مما أدى إلى اشتعال فتيل الصراع بينهما الذي أدى إلى اشتعال ثورات كادت إحداها أن تطيح بالحكم في عهد الامبراطور جستنيان. العريني. (1982)، ص:79، 80.

[2] الأرخون: هو حاكم عسكري لكل إقليم من أقاليم الامبراطورية البيزنطية، وقد جمع بين يديه السلطات العسكرية والمدنية، ومن مهامه الإشراف على الموظفين الإداريين والمدنيين، وذلك تبعاً لنظام الأكزارخية الذي أنشأه الامبراطور موريس. أبو الجدايل. (1995م)، ص:169؛ العريني. (1982)، ص:109، 111؛ عوض. (2007م)، ص:182؛ هسي. (1997م)، ص:101؛

Kazhdan. (1990), V2, P:767.

[3] إفريقية: إقليم واسع مقابل جزيرة صقلية ويمتد حتى الأرض المقابلة للأندلس (إسبانيا) أي من طرابلس الغرب إلى بجاية ويحده شمالاً البحر المتوسط وجنوباً حدود السودان، وهي أرض تكثر فيها الجبال والرمال المتصلة من الشرق إلى الغرب. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:228 مادة إفريقية؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:100، 101؛ أومان. (1953م)، ص:101، داوني. (1967م)، ص:337، 338؛ عاقل. (1969)، ص:82؛ العريني. (1982)، ص:113.

Browning. (1980), p:8. Gregory. (2005), P:154,155. Ostrogorsky. (1968), P:84.

فأعلن معظم الضباط تأييدهم له على الفور مما دفع بفوقاس للاشتباك معه في معركة بحرية هُزم فيها، فجمع فوقاس أموال الخزانة ورماها في البحر انتقاماً منه، إلا أن جنود القصر الامبراطوري الثائرين شنوا هجوماً على فوقاس عام 610م وألقوا القبض عليه وسلّموه إلى هرقل الذي قتله مع أقاربه منهياً حكمه للامبراطورية، ثم تم تتويج هرقل امبراطوراً على البلاد (20هـ/610- 641م) بمباركة أعضاء مجلس الشيوخ[1] وترحيب الأهالي الذين دانوا له بالولاء والطاعة على الفور[2].

وقد استغل أعداء الامبراطورية الاضطرابات التي عصفت بها لاجتياز حدودها، كالفرس الساسانيين الذين استولوا على سائر بلاد الشام بما فيها دمشق وبيت المقدس وكذلك دخلوا مصر وهددوا العاصمة البيزنطية نفسها عندما وصلوا إلى خلقدونية، كما اجتاح السلاف والآفار مناطق الامبراطورية البيزنطية من جهة الشمال بيسر وسهولة ووصلوا إلى عاصمتها وهددوا وجودها[3]، بينما كان الاضطراب يعصف بالداخل البيزنطي بسبب الخلاف الديني الحاد بين أفراد الشعب، إلى جانب فراغ الخزانة المالية وضعف النظام العسكري،[4] لذلك لم

---

[1] مجلس الشيوخ: هم مجموعة من الرجال الذين تمتعوا بحق شغل الوظائف القنصلية وحكم الولايات الرومانية والوظائف الإدارية والعسكرية العليا، وكانوا يتميزون بارتداء عباءة فضفاضة يزينها خط أرجواني عريض وهو زي لا يحق لأحد ارتداؤه غيرهم وشكلوا أحد أهم الطبقات الاجتماعية التي ورثتها الامبراطورية الرومانية من النظام الاجتماعي في الجمهورية الرومانية السالفة لها، وأورثتها بدورها إلى الامبراطورية البيزنطية ولكن مع اختلاف دورها ومكانتها فيها. الناصري. (1991م)، ص:34، 35.

[2] النقيوسي. (د.ت)، ص:202، 203؛ النقيوسي. (2003م)، ص:186، 187؛ ابراهيم وحسن. (2003م)، ص:134؛ اسماعيل. (1985م)، ص:68، 69، 72؛ بل. (1948م)، ص:164، 165؛ رستم. (1955م)، ج1 ص:221؛ عمران. (2000م)، ص:70؛ النفرواي. (د.ت)، ص:107.

Theophanes. (1997), P:428. Nikephoros. (1990). V13 P:2. Sebeos. (N.d-B), p:39. Browning. (1980), p:9. Bury. (1889), V2. P:210. Kaegi. (2003), P:42, 49. Ostrogorsky. (1968), P:85.

[3] اسماعيل. (1985م)، ص:241-244؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:110؛ العريني. (1982م)، ص:125، 126؛ عمران. (2000م)، ص:72.

[4] غنيم. (1990م)، ص:39؛ يوسف. (2005م)، ص:104؛

Unknown. (1989). P:159. Haldon. (1990), P:42. Reinink, Stolte. (2002), P:2,3.

يطل الوقت كثيراً حتى بدأ الامبراطور هرقل إجراءاته لإنقاذ الامبراطورية فقام بتوحيد اللغة في البلاد جاعلاً من اللغة اليونانية لغة رسمية في جميع الدوائر الإدارية والدواوين والسجلات، كما أقر نظام الثغور من خلال تقسيم الأقاليم التي لم يمسّها سوء من الامبراطورية إلى ثغور أو ثيمات Theme، وهي أقاليم عسكرية كبيرة يرأسها حاكم عسكري يُلقب بـ (ستراتيجوس).[1]

كما وازن بمعاملته بين حزبَي الخضر والزرق فلم يحابِ أحدهما على حساب الآخر فتلاشت مظاهراتهم وتوجه جهدهم للاشتراك بالاحتفالات وتنظيم سباقات الخيول والعربات وجميع الألعاب، ولكي يحافظ على حكمه وحكم مَن بعده من الانقلابات سمح لمن يختاره الامبراطور خليفة له أن يشترك في أمور الحكم أثناء حياته وأن يُنقش اسمه على العملات ويذكر في المراسيم.[2]

إلا أن أكثر إصلاحاته كانت على الصعيد الاقتصادي لما للمال من دور في تمويل الجيوش وكسب الناس التي ستدافع عن البلاد بجهودها ، فألغى الاحتكار الفردي والعائلي في النقابات الحرفية، وراقب المبادلات التجارية بإنشاء مكاتب تجارية دائمة في كل مرفأ أو ميناء، وشجع التجارة الخارجية[3]، كما تمكن من تأمين النقود التي تحتاجها الخزانة الامبراطورية بصهر كنوز الكنائس وذهبها التي قدمها له رجال الدين المسيحيين، إضافة إلى سك دراهم فضية تساوي قيمتها الحقيقة ضعف قيمتها المعلنة لدفع أجور الموظفين، كما سك نقوداً

---

[1] ستراتيجوس: حاكم عسكري له سلطات عسكرية ومدنية، حيث يقوم بتمليك سكان منطقته أراضٍ زراعية لاستثمارها وتوريثها لأبنائهم مقابل الاشتراك في حروب الدولة عندما تدعو الحاجة وذلك بعد تجهيز أنفسهم من مردودها، وبعد نظام الثغور نظاماً متطوراً عن نظام الأكزارخية القديم الذي أنشأه الامبراطور موريس. اسماعيل. (1985م)، ص:109؛ الشيخ. (1994م)، ص:73؛ محمد. (2011م)، ص:65؛ منصور. (2015م)، ص:124، 159؛ المنصوري. (2003م)، ص:43؛

Kazhdan. (1990), V3 P:1963, 2034. Ostrogorsky. (1968), P:95,96,98. Reinink, Stolte. (2002), P:6. Vasiliev. (1952), V1, P:199.

[2] اسماعيل. (1985م)، ص:88، 92–95؛ ربيع. (1995م)، ص:61.

[3] قام بتنشيط التجارة الخارجية من خلال إرسال أنسجة حريرية منقوش عليها اسم الامبراطور هرقل إلى حكام الدول الأخرى كبلجيكا، بعدما انتشرت صناعته على مساحة الامبراطورية وتصدَّرت منتجاته قائمة التصدير. اسماعيل. (1985م)، ص:103– 105.

ذهبية من الصولد [1] Solidus بوزن خفيف لدفع الجزية للآفار لقاء سلامهم، وكذلك شجع زراعة القمح وأوقف توزيعه مجاناً مع اللحم والزيت على سكان العاصمة.[2]

أما من الناحية الدينية فقد كانت الامبراطورية البيزنطية قد اعتمدت مذهب الطبيعتَيْن أو الأورثوذكسي مذهباً رسمياً للبلاد وفقاً لقرارات مجمع خلقدونية[3] الديني عام 451م الذي تقرَّر فيه أن للمسيح ﷺ طبيعتَيْن، بشرية مستقلة ومنفصلة تماماً وإلهية مستقلة ومنفصلة تماماً أي أن المسيح ﷺ إله وبشر معاً، وهي أساس تعاليم الكنيسة الأورثوذكسية بينما انشقت عنها مصر وأقاليم المشرق بما فيها بلاد الشام وفلسطين ووادي نهر الفرات وأرمينية الذين آمنوا بمذهب الطبيعة الواحدة أو المونوفيزتي أي القائل بأن الطبيعة البشرية في المسيح ﷺ امتزجت مع الطبيعة الإلهية حتى تلاشت فيها أي أن للمسيح ﷺ طبيعتَيْن قبل أن يجري تجسيده ثم صار للمسيح ﷺ طبيعة واحدة بعد تجسيد الإله.[4]

---

[1] صولد: هي نقود ذهبية بيزنطية تم سكّها في عهد الامبراطور قسطنطين الأول عام 309م ثم أصبحت العملة الذهبية الرسمية للامبراطورية البيزنطية، وتزن أقل من 24 قيراط والقيراط يساوي 4.53 جرام وقد ضُربت بأوزان خفيفة خلال القرنَيْن السادس والسابع الميلاديَيْن. الجوابرة. (2016م)، ص:71؛ خماش. (1987م)، ص:320.

Kazhdan. (1990), V3 P:1924.

[2] اسماعيل. (1985م)، ص:101–105؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:172، 174؛ غنيم. (1990م)، ص:40؛

Frye. (1975), V3(1), P:169. Gregory. (2005), P:160. Herbert. (2016), P:374.

[3] مجمع خلقدونية: هو المجمع الديني الرابع الذي عُقد بأمر من الامبراطور ماركيان Marcian (450–457م) بحضور ما يزيد عن خمسمائة رجل دين ومندوبين رسميين للامبراطورية من أجل اتخاذ قرار حول طبيعة المسيح. مار ميخائيل. (1996م)، ج1 ص:313–323؛ عطية. (2005م)، ص:73–75؛ خياطة. (د.ت)، ص:95؛

Bury. (1911), v1 p:507. Haldon. (1990), P:328. Hussy and Louth. (1990), P:5. Kazhdan. (1990), V1 P:404. Morgan. (2007), P:73.

[4] إيفاجريوس. (2019م)، ج2 ص:205، 206؛ مار ميخائيل. (1996م)، ج1 ص:313–323؛ عطية. (2005)، ص:73–75؛ العريني. (1982)، ص:54، 119.

ولإنهاء الخلاف الدائر بينهم أوجد بطريرك القسطنطينية سرجيوس الأول[1] Sergios I (16هـ/610-638م) بأمر من الامبراطور هرقل صيغة وسطية بين هذَيْن المذهبَيْن، فقال بوجود طبيعتَيْن للمسيح ﷺ ولكن له إرادة واحدة أو فعلاً واحداً فقط، وفعلاً أصدر الامبراطور مرسوماً بإقراره عام 16هـ/637م- 638م دُعي بمرسوم تفسير الإيمان Ekthesis، ودعا بطاركة أكبر الكنائس في العالم المسيحي إلى اعتناق هذا المذهب الجديد الذي عُرف بمذهب المونوثلستية Monothelism أي الإرادة أو المشيئة الواحدة، فمنهم من أيَّده ومنهم من رفضه.[2]

يتبيَّن مما سلف أن إحاطة الامبراطورية البيزنطية بالمخاطر من جهاتها المختلفة واجتياح الدولة الفارسية الساسانية لحدودها وسيطرتها على مساحة كبيرة من أراضيها وعدد من أهم مدنها، لم يكن مبرراً كافياً لتراجع الامبراطور هرقل أو تهوره في مواجهة هذه المشاكل بل عمل على حلها بحنكة وتؤدة مما يعكس ذكاءه المتقد وبراعته السياسية، وما يبين ثقة الشعب به وبقدرته على تجاوز كل الصعاب للنهوض بالامبراطورية بعد ضعف شديد.

ب. أسباب الصراع بين البيزنطيين والفرس الساسانيين:

أعلن كسرى أبرويز حربه على الامبراطورية البيزنطية عندما تم اغتيال الامبراطور موريس، حيث بعث برسول إلى السلطة البيزنطية يدعوهم بها إلى تعيين ثيودوسيوس بن موريس على العرش عوضاً عن

---

[1] سرجيوس الأول: تولى بطركية القسطنطينية عام 610م وحظي بمكانة مهمة عند الامبراطور هرقل فهو مَن أقنعه بالتخلي عن فكرة نقل العاصمة البيزنطية إلى قرطاجة وهو مَن حلَّ مكانه وصياً على العرش خلال غيابه عن العاصمة في الحرب مع الدولة الفارسية الساسانية، وله جهود كبيرة للتوفيق بين الفِرق الدينية المتناحرة آنذاك. نيكول. (2003م)، ص:36، 37.

Unknown. (1989). P:149. Kazhdan. (1990), V3 P:1878.

[2] عطية. (2005)، ص:94-98؛ خياطة. (د.ت)، ص:103، 104؛ ربيع. (1995م)، ص:73؛ فرح. (1978م)، ص:116؛ النفرواي. (د.ت)، ص:107؛

Frend. (1972), P:344. Gregory. (2005), P:161. Morgan. (2007), P:74. Kazhdan. (1990), V2, P:1400.

فوقاس، ولكنهم قبضوا على الرسول وأرسلوه إلى بلاده مكبلاً بالأغلال، فأعلن كسرى أبرويز الحرب على الفور وأمر قواته بالتحرك لتسيطر فيما بعد على أجزاء كبيرة ومهمة من الامبراطورية ولا سيما بلاد الشام التي تمر بها أهم الطرق التجارية نحو بيزنطة وكذلك مصر التي كانت تعدُّ المورد الأول للقمح بالنسبة للامبراطورية وهذا ما دفع الامبراطور هرقل لاستعادة أراضيه ومصادر الدخل لدولته.[1]

ومن جهة أخرى فإن ما شهدته الامبراطورية البيزنطية من اضطراب في عهد الامبراطور فوقاس على الصعيد الداخلي كانقلابه على سلفه الامبراطور موريس واستمرار الخلافات بين حزبَي الزرق والخضر السياسيَيْن، شجع الملك كسرى أبرويز على التحرك نحو أراضي الامبراطورية والسيطرة على أجزاء منها كما سلف ذكره، أما على الصعيد الخارجي فكان لغارات قبائل السلاف والآفار على أراضي الامبراطورية الشمالية وما أسفر عنها من سلب ونهب وتدمير عظيم الأثر في خروج بعض المناطق عن نطاق السلطة البيزنطية، إضافة إلى أن احتكار الدولة الفارسية الساسانية للمنتجات الشرقية ولا سيما الحرير وفرضهم الضرائب الباهظة عليها قبل وصولها إلى بيزنطة، أثَّر على الاقتصاد البيزنطي لأنها لم تجد بديلاً عن الطريق التجاري الذي كانت تتحكم فيه الدولة الفارسية الساسانية مما أدى إلى نشوب الصراع بينهما، وكان هذا الأمر مؤثر جداً لدرجة أن بيزنطة حاولت بأشكال متعددة الإفلات من هذا الاحتكار.[2]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أهمية العامل الديني في إشعال فتيل الحرب بين الدولتَيْن حيث أراد الامبراطور هرقل أن يعيد الصليب المقدس الذي سلبه الفرس الساسانيون إلى بيت المقدس علَّه يعيد معه الوحدة بين صفوف المسيحيين حيث انقسم المسيحيون في معتقداتهم الدينية بين مؤيد للمذهب الأورثوذكسي

---

[1] اسماعيل. (1985م)، ص:45، 96، 97؛ هالدون. (2011م)، ص:37؛

Shepard. (2008). P:136.

[2] اسماعيل. (1985م)، ص:53، 56؛ رنسيمان. (1997م)، ص:196، 197؛ العدوي. (1951م)، ص:4-6؛ هسي. (1997م)، ص:102.

وهو المذهب الرسمي للامبراطورية البيزنطية وبين مؤيد لمذاهب أخرى كالمذهب النسطوري[1] الذي آمن به مسيحيو فارس والذين تعاملت معهم الدولة الفارسية الساسانية تبعاً للانتصارات العسكرية، فتارة يدعمونهم ويسمحون لهم بحق العبادة والتبشير وتارة أخرى يُنزِلون بهم أشد أنواع الاضطهاد كما فعل الملك كسرى أبرويز، بينما أبدى تسامحاً مع المونوفيزتيين خلال سيطرته على بلاد الشام ومصر لكسب ولائهم إذ أنهم يعارضون بمذهبهم مذهب الامبراطورية البيزنطية الرسمي، كما طرد رجال الدين الأورثوذكس لكونهم على مذهب الامبراطورية الرسمي.[2]

ج. حرب الامبراطور هرقل على الفرس الساسانيين واستعادة أراضيه المسلوبة 1هـ/622م:

أعدَّ الامبراطور هرقل العُدة لحربه على الفرس الساسانيين بإصلاح أوضاع بلاده وتأمين تكلفة الحرب وتهيئة الجنود لتحقيق المهمة، وانطلق لاستعادة أراضيه التي سلبها الفرس الساسانيون، فتوجه أولاً نحو أرمينية عام 1هـ/622م ودبّر خديعة للجيش الفارسي الساساني أجبره فيها على الخروج من مخابئه ليُنزل به الهزيمة الساحقة ويسترجع كل من أرمينية وآسيا الصغرى معاً[3]، ورغم هذا النصر إلا أنه عرض الصلح على كسرى أبرويز الذي أرفق رفضه بالإساءة، فعاد هرقل إلى القسطنطينية لتجديد المعاهدة مع الآفار، بينما أعاد كسرى أبرويز ترميم جيشه ثم عسكر في غنزك حتى يصله المدد العسكري، إلا أن هرقل لم يمهله الوقت الكافي إذ

---

[1] المذهب النسطوري: نسبة إلى أحد بطاركة القسطنطينية وهو نسطور Nestorius (428–431م) الذي قال إن طبيعتَي المسيح ﷺ البشرية والالهية ليستا متَّحدتيْن بل منفصلتيْن غير أنَّ الطبيعة البشرية هي الغالبة على شخصيته، فخالف بآرائه ما كان سائداً آنذاك. ابن حزم. (د.ت–ب)، ج1 ص:48؛ الشهرستاني. (1968م)، ج2 ص:29؛ إيفاجريوس. (2019م)، ج1 ص:97، 98، 114؛ خياطة. (د.ت)، ص:90؛ نيكول. (2003م)، ص:52، 53؛ رستم. (د.ت)، ج1 ص:312؛ زكار. (1997م)، ج2 ص:811؛ العريني. (1982م)، ص:50–53.
Kazhdan. (1990), V2 p:1459.

[2] إيفاجريوس. (2019م)، ج2 ص:97، 98، 114، 205، 206؛ زغلول. (1975م)، ص:98؛ العابد. (1999م)، ص:121، 122؛ العريني. (1982)، ص:43؛ كريستنسن. (1998م)، ص:469، 470.

[3] الطبري. (1967م)، ج2 ص:183؛ فرح. (1978م)، ص:207.

Frye. (1975), V3(1), P:168. Morgan. (2007), P:72.

هجم على معسكر كسرى أبرويز وقتل بعضاً من حاميته وأسر البعض الآخر، مما دفع بكسرى أبرويز للهرب سريعاً تاركاً المدينة والجيش وراءه، فكانت فرصة متاحة للبيزنطيين ليدخلوا المدينة ويدمروا بيت النار الشهير فيها، كما لاحقوا كسرى أبرويز إلى مدينة تبريز[1] Tabriz جنوب أذربيجان وأحرقوها[2]، إلا أن كسرى أبرويز لم يستسلم بل تحالف مع الآفار وأمر قسماً من جيشه بحصار القسطنطينية عام 5هـ/626م إلا أنهم لم ينجحوا في تحقيق مآربهم في دخولها فتحالفوا مع السلاف لخبرتهم في القتال البحري ومع ذلك لم يتمكنوا من الانتصار على الأسطول البيزنطي العريق فلجأ الجميع إلى الانسحاب من أمامهم.[3]

أما القسم الآخر من الجيش والذي جمعه كسرى أبرويز من الأجانب والغرباء فقد وجهه لقتال الامبراطور هرقل الذي علم بهجومهم وترأس أحد أقسام الجيش وتوجه نحو لازيكا وتحالف مع الخزر وتوجه معهم نحو مدينة نينوى، فلحقه الفرس الساسانيون إليها والتحموا معه في معركة حامية نالهم فيها هزيمة نكراء[4]، ليستمر الامبراطور هرقل بعدها في إسقاط المدن والقصور التابعة لكسرى أبرويز حتى قصر داستاغيرد ثم قفل عائداً إلى عاصمته القسطنطينية بعدما عقد معاهدة مع الفرس الساسانيين سنة 7هـ/628م، تاركاً للاضطرابات الداخلية أن تتولى مهمة إسقاطه عن العرش.[5]

---

[1] تبريز: هي أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة منيعة بأسوارها القوية والمبنية من الآجر والجص، وتمر فيها عدة أنهار وتكثر فيها البساتين وتتوفر فيها الثمار والفواكه. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:13، مادة تبريز؛ الحميري. (1984م)، ص:130.

[2] العريني. (1982)، ص:125، 126.

Theophanes. (1997), P:439. Ostrogorsky. (1968), P:102 .

[3] ابراهيم وحسن. (2003م)، ص:137؛ نيكول. (2003م)، ص:166.

Maurice. (1984), P:120, 121. Nikephoros. (1990). V13 P:12. Gregory. (2005), P:161.

[4] ابن الأثير. (2012)، ج1 ص:432؛ اربري. (1959م)، ص:65؛

Theophanes. (1997), P:450. Frye. (1975), V3(1), P:170, 486. Mango. (2002), P:57 .

[5] اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:216؛ الطبري. (1967م)، ج2. ص:183؛ العدوي. (1951م)، ص:26؛ العريني. (1982)، ص:127.

Theophanes. (1997), P:451,452. Frye. (1975), V3(1), P:170.

يتضح مما سلف أنه على الرغم من تعدُّد أسباب الحروب واختلاف أحداثها إلا أن دافعها واحد يتمثل في فرض السيطرة وتوسيع النفوذ أو استعادته من أجل تكديس المكاسب المادية، وعلى الرغم من اختلاف نهايات الحروب بين منتصر ومنهزم إلا أنها تتفق بنتيجة واحدة وهي تبذير الثروات وإزهاق الأرواح وتبديد القوى.

3. المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً واقتصادياً واجتماعياً:

أ. المظاهر الحضارية البيزنطية إدارياً:

اتخذ الجهاز الإداري البيزنطي الشكل الهرمي في ترتيب موظفيه، فتربع **الامبراطور Emperor** على عرش الهرم الإداري البيزنطي فكانت سلطاته مطلقة ونفوذه سارٍ في كل أرجاء الامبراطورية، وقد تم اختياره عن طريق الانتخابات التي مرت بتطورات كثيرة خلال القرنَيْن الخامس والسادس الميلاديَيْن، فبعدما كان اختيار الامبراطور حقاً للجيش البيزنطي فقط أصبح لمجلس الشيوخ دوراً كبيراً في ذلك، فحاول بعض الأباطرة الحد من نفوذه كالامبراطور جستنيان الأول، ولكن على الرغم محاولاته بقي لمجلس الشيوخ دور في إقرار الامبراطور الذي وقع عليه اختيار الجيش، بل وشارك البطريرك في مراسم التتويج، حيث كان البطريرك يضع التاج على رأس الامبراطور خارج الكنيسة، وذلك حتى أواخر القرن السادس الميلادي.[1]

إذ استحدث الامبراطور فوقاس ما لم يكن من قبل إدراكاً منه لتأثير المشاعر الدينية في نفوس الشعب، فدعا مجلس الشيوخ وبابا روما جريجوري العظيم[2] Gregorius I the great (590– 604م) للقائه طالباً

---

[1] أبو الجدايل. (1995م)، ص:220؛ رنسيمان. (1997م)، ص:65، 68، 77، 78؛ اليوسف. (1984م)، ص:191، 192.

[2] جريجوري العظيم: ولد عام 540م في روما، وعمل كمسؤول عن الأمن والشرطة في روما عامَي 572م و573م، وعمل كممثل للبابوية في القسطنطينية منذ عام 579–586م ثم تم تعيينه كبابا روما عام 590م فكرّس جهوده لتقوية أسقفيته من الناحية الاقتصادية والسياسية، فعقد معاهدة مع اللومبارديين الذين هددوا روما عامَي 592م و593م، وأعاد تنظيم استخدام التراث الكنسي، ونظم سلطة الامبراطور في المسائل الكنسية بشرط ألا يخالف الشرائع، بينما لم يتدخل كثيراً في سلطة بطريرك القسطنطينية، كما اعترف بكرسي القسطنطينية بعدّه الأول بين

دعمهم في انتزاع السلطة من الامبراطور موريس، فاشترط عليه البابا أن يعترف بالأورثوذكسية وأن يكفل الحماية للكنيسة، وعند قبوله ذلك تم له ما أراد وحصل التتويج داخل الكنيسة، فكان فوقاس أول امبراطور بيزنطي تُتَوّجه الكنيسة، مما أكسب حكمه صبغة دينية سائًا بذلك سنّة جديدة ستُتَّبع ابتداءً من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، حيث تم تنصيب الامبراطور هرقل فيما بعد من قِبل البطريرك سرجيوس الأول داخل كنيسة القديس اسطفانوس Stephen الملحقة بالقصر الامبراطوري عام 610م، ثم نودي به امبراطوراً للبلاد في حفل تتويج أُقيم له بشكل منظم في كنيسة الحكمة الإلهية[1] (كنيسة آية صوفيا Hagia Sofia).[2]

وقد قُسِّمت الامبراطورية البيزنطية من عدة أقسام، أُطلق على كل منها اسم لواء ويحكمها **أمير لواء امبراطوري أو والٍ بريتوري Praefectus Praetorio** ، وقُسِّم كل لواء إلى مقاطعات عدة يتولى أمورها موظف يُدعى نائب أمير لواء أو مندوب **Vicarius** وهو خاضع لسلطة الوالي البريتوري، وقد قُسِّمت هذه المقاطعات إلى عدد من الولايات يحكمها وال خاص، أما الوالي البريتوري فقد تلا الامبراطور البيزنطي مباشرة في رتبته، لذلك يُعدّ من أهم موظفي الامبراطورية شأناً، وأعلاهم منصباً، وله سلطة مطلقة كنائب الامبراطور من الناحية الإدارية والقضائية والمالية أيضاً، فيحق له وضع بعض القوانين واختيار حكام المقاطعات وعزلهم،

البطركيات الشرقية لكنه رفض ادعاءات نسطور، وكان معارضاً للامبراطور موريس وبلاطه في حين رحّب باعتلاء فوقاس للعرش البيزنطي. أومان. (1953م)، ص:93.

Kazhdan. (1990), V2 P:875, 876.

[1] أبو الجدايل. (1995م)، ص:221؛ الشيخ. (1994م)، ص:69.

Theophanes. (1997), P:428. Unknown. (1989). P:152. Ostrogorsky. (1968), P:85. Haldon. (1990), P:41. Kaegi. (2003), P:51.

[2] كنيسة آية صوفيا: من أقدم كنائس القسطنطينية، بناها الامبراطور قسطنطين ثم جددها وزينها غيره من الأباطرة، وقد تعرضت للحريق عام 532م، ثم أعاد بناءها الامبراطور جستنيان الأول على مساحة أكبر وعلى طراز أفخم بعد أن جمع لها الصناع المهرة من كل أنحاء العالم. النقيوسي. (د.ت)، ص:70؛ الشاعر. (1989م)، ص:99، 100؛ فرج. (1982)، ص:88.

Browning. (1980), p:6. Kazhdan. (1990), V2, P:892. Shepard. (2008). P:111.

وبالتالي لم يكن من اليسير التخلي عن وظيفته عند استحداث نظام الثغور مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي فانتقلت سلطاته إلى قائد الثيم.[1]

كما كانت كل من روما والقسطنطينية تحت إشراف **والٍ للمدينة (الهبارخوس) Ho eparchos te poleos** وهو منصب مدني يلي رتبة الوالي البريتوري، وعُدَّت وظيفة والي المدينة إحدى أهم الوظائف في الامبراطورية حيث يقوم شاغلها مقام الامبراطور كنائب له أثناء غيابه عن العاصمة، ويتولى دائرة الشرطة للمحافظة على الأمن والاستقرار فيها وضبط النظام وتوزيع الخبز المجاني فيهما.[2]

ولوالي المدينة ديوان ينقسم إلى قسمَيْن، يتولى أحدهما موظف يضبط شؤون النقابات التجارية والصناعية ويشرف على تنفيذ مختلف التعليمات واللوائح التجارية والواجبات المدنية الملقاة على عاتق السكان، بينما يتولى القسم الآخر مستشار دار الوالي الذي كان موكلاً بشؤون القضاء والسجون، ويساعد والي المدينة في عمله، **الكويستور Quaestor** الذي يتولى إعداد مشاريع القوانين ويترأس محكمة الاستئناف في القضايا المرفوعة ضد النبلاء حيث يُعدُّ الوكيل العام للشعب إلى جانب غيرها من المهام الأخرى.[3]

والجدير بالذكر أن القضاء الأعلى للامبراطورية كان بيد **القاضي** الذي ترتب عليه صياغة القوانين وتفسيرها، وفي حال اشتكى الإنسان من مظلمة وقعت عليه جراء حكم ظالم يحق له استئناف الأحكام الصادرة

---

[1] بينز. (1950م)، ص:146، 147؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:109، 110، 225؛ رنسيمان. (1997م)، ص:93، 94؛ الشامي. (2002م)، ص:62، 63؛ فرج، (2004م)، ص:41.

Kazhdan. (1990), V3. P:1709.

[2] تم توزيع القمح واللحم والخمر والزيت المجاني على سكان العاصمة البيزنطية منذ أيام الامبراطور قسطنطين الكبير. بينز. (1950م)، ص:149؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:237. اسماعيل. (1985م)، ص:101؛ أومان. (1953م)، ص:104؛ يوسف. (2005م)، ص:104، 105.

[3] أبو الجدايل. (1995م)، ص:271؛ رنسيمان. (1997م)، ص:100؛ الشامي. (2002م)، ص:64؛ منصور. (2015م)، ص:130؛ فرج، (2004م)، ص:41.

بحقه وتقديمها إلى وزارة الالتماس، إلا إن صدرت من أمير اللواء الامبراطوري فإنه ممثل للامبراطور ويعد حكمه نهائياً.[1]

ومن جهة أخرى فقد أحاط بالامبراطور في البلاط نفسه عدد من الموظفين الكبار كالوزير الأعلى للقضاء وكويستور القصر المقدس، ووزيران للمالية يتولى أحدهما إدارة شؤون الأملاك الخاصة بالامبراطور لكثرتها وضخامتها والآخر مسؤول عن الإيرادات والمصروفات العامة للبلاد في حين كان لأمراء الولايات بيوت مال خاصة ينفقون منها على مطالب الجيش[2] إلا أن الوزير الأكبر في البلاط كان **رئيس الدواوين Magister officiorum أو للإدارات كلها** فيشرف من مقره في العاصمة على حراس القصر ويراقب سير العمل في دور الصناعة، ويراقب البريد لأهميته في استمرار التواصل بين البلاط الامبراطوري وحكام الولايات، كما يشرف على المراسلات بين حكام الولايات أنفسهم، ويشرف على الدواوين المسؤولة عن المراسلات الامبراطورية، وله الدور الرئيس في استقبال السفراء مما يعطيه أهمية كبرى في تحديد السياسة الخارجية للامبراطورية كما يزوّد الدولة بالكتبة من دواوينه المختلفة[3]، وإلى جانبهم **السينسيلوس Syncellus** هو موظف مسؤول عن ضبط اتصالات الامبراطور وله أحقية خلافة البطريرك في منصبه، والجدير بالذكر أن مَن يتولى الوظائف المحيطة بشخص الامبراطور والامبراطورة والمتصلة بالخدمة في القصور كانوا من الخصيان[4]، إضافة إلى الموظف المسؤول عن النظام في ولائم واحتفالات القصر الامبراطوري وتوجيه الدعوات

---

[1] بينز. (1950م)، ص:153.

[2] بينز. (1950م)، ص:148؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:109، 110؛ رنسيمان. (1997م)، ص:101؛ الشامي. (2002م)، ص:64؛ فرج، (2004م)، ص:41، 42

[3] بينز. (1950م)، ص:148؛ رنسيمان. (1997م)، ص:102؛ الشامي. (2002م)، ص:64، 65؛ فرج، (2004م)، ص:44.

Kazhdan. (1990), V2, P:1267.

[4] الخصيان: مفردها الخِصِي وهو مقطوع النسل. عمارة. (1993م)، ص:194.

للحضور والذي يُدعى **أتريكلينس Atriklines** وخزانات الملابس[1]، وهناك المراقبين كمراقب حلبة السباق وجابي الضرائب المركزي والمسؤول عن أعطيات الجند.[2]

إلا أن ما طرأ على الامبراطورية البيزنطية من أحداث خلال القرن السادس أدى إلى إحداث تغيير واضح في النظم الإدارية الامبراطورية حيث أدخل الأباطرة بعض التعديلات عليها لتتناسب مع مجريات العصر، إذ اختار الامبراطور جستنيان أهم مشرّعي الامبراطورية وكلفهم بجمع القوانين الرومانية القديمة وترتيبها وتصنيفها ليسهل استخدامها، كما عيّن من مجلس الشيوخ قضاةً في الولايات كي يعيدوا الحقوق إلى أصحابها بعد أن استشرى فيها الفساد، فكان لهم السلطة في إصدار الحكم النهائي في كل القضايا التي يقل فيها الخلاف عن خمسمائة قطعة من العملة الذهبية المعروفة بالصولد ضمن نطاق ولاياتهم وبعض الولايات المجاورة.[3]

ولكن بعد وفاة الامبراطور جستنيان الأول مرت الامبراطورية بمرحلة من الضعف وقلة الحيلة من حكامه بسبب تدهور الوضع السياسي وإحاطة الأعداء بالبلاد من كل حدب وصوب إضافة إلى الاضطراب المتمثل بعودة الصراع بين حزبَي الزرق والخضر، واكتملت الأسباب بخواء الخزانة المالية نتيجةً لما أنفقه الامبراطور جستنيان الأول من الأموال على الحروب والنهضة العمرانية في عهده، فكان لا بد لهذه الأسباب أن تنعكس نتيجتها على الداخل البيزنطي، وعلى الرغم من أن الترتيب الإداري البيزنطي لم يتغير إلا أنه قد ناله من الضعف ما نال، حيث ازدادت تدخلات أعضاء مجلس الشيوخ في الحكم، وتجاوزاتهم للقانون في بعض الأحيان، وعلى الرغم من جهود خليفته الامبراطور جوستين الثاني لإصلاح ما فسد في البلاد إلا أنه

---

[1] رنسيمان. (1997م)، ص:102، 103؛ الشامي. (2002م)، ص:65؛ فرج، (2004م)، ص:36.

[2] بينز. (1950م)، ص:149؛ رنسيمان. (1997م)، ص:102؛ الشامي. (2002م)، ص:64، 65.

Kazhdan. (1990), V3 P:1865.

[3] توفيق. (1967م)، ص:55؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:117، 118؛ الشيخ. (1994م)، ص:56.

لم ينجح في كبح شراء الوظائف وابتزاز الشعب لسرقة أمواله بالسبل المتوارية، كما أن هذا الضعف في السلطة المركزية أدى إلى ظهور قوىً منافسة لها، فتنامت قوة الولايات وتراجع ما يربطها مع العاصمة.[1]

إلا أن أحوال الامبراطورية البيزنطية قد اتسمت بالهدوء النسبي في عهد الامبراطور تيبيريوس، ولكن التغيير الإداري الواضح كان خلال عهد الامبراطور موريس الذي تباينت حوله آراء الناس كما سلف ذكره حيث أبغضه البعض وأحبَّه البعض الآخر ونال احترامه لما تميَّز به من حنكة وخبرة سياسية ومعرفة واسعة بالمجال الإداري والعسكري، حيث عالج كثيراً مما أصابه من مشكلات وأزمات، واستحدث نظاماً جديداً وضع به الإدارة المدنية بيد حاكم عسكري عام وهو الأرخون ومنحه النفوذ المطلق الذي لا حدود وقيود له، وجعله ممثلاً عن الامبراطور في الولاية فلا أمر لأحد عليه سوى الامبراطور، وأغدق عليه بالألقاب والتشاريف الامبراطورية، وذلك لتعزيز مركز وقوة الحكومة المركزية في إيطاليا وحمايتها من اللومبارديين الذين استطاعوا السيطرة على ثلثي شبه الجزيرة الإيطالية بيسر وسهولة، وبالتالي اختفى أمراء الألوية الامبراطورية والوزارات المركزية وحل محلها دواوين كثيرة لكل منها اختصاص محدد وازدادت أهمية والي المدينة واقتصرت إدارة الاقتصاد بيد وزير مالية واحد فقط، كما أصبح أرخون إيطاليا يدير من مقره في رافنا[2] Ravenna كل نواحي

---

[1] أبو الجدايل. (1995م)، ص:119، 120، 122؛ الشاعر. (1989م)، ص:179؛ عوض. (2007م)، ص:181.

[2] رافنا: مدينة تقع شمال إيطاليا، وتعد ميناء ومركز تجاري عالمي، وقد جعلها الامبراطور أونوريوس Honorius (393-423م) عاصمة الجزء الغربي للامبراطورية البيزنطية كما جعلها مقراً للوالي البريتوري بسبب موقعها الحصين وسهولة اتصالها بالبحر الأدرياتيكي ولكن استولى عليها القوط الشرقيون حتى استطاع الامبراطور جستنيان من استعادتها منهم عام 540م، ومع ازدياد الخطر اللومباردي على إيطاليا تم إنشاء أكزارخية رافنا بواسطة الامبراطور موريس لحمايتها. عاقل. (1969م)، ص:78؛

Ostrogorsky. (1968), P80. Kazhdan. (1990), V3 P:1773.

نشاط الموظفين المدنيين، كما أقام فيما بعد أرخونية أخرى في إفريقية أو قرطاجة[1] Carthage على نفس القواعد السالفة ليسيطر على أوضاعها بعدما قام البرابرة بثورة ضارية غطت كل إفريقية في سنة 587م.[2]

مجريات الأحداث لاحقاً بيَّنت أن الامبراطور لم يكن يعي خطورة ما استحدثه من نظام ولا سيما ما منحه لمنصب الأرخون من نفوذ مطلق، ولم يكن يدرك أن هذه السلطة قد تنقلب ضد الامبراطور نفسه يوماً ما، وهو ما حدث مع خليفته الامبراطور فوقاس عندما رفع أرخون إفريقية هرقل الأكبر والد الامبراطور هرقل راية العصيان ضده وأعلن ابنه هرقل نفسه امبراطوراً للبلاد عوضاً عنه، على الرغم من أن الصلاحيات المطلقة تلك كانت سبباً في إنقاذ الامبراطورية من شخص أساء للسلطة والشعب إذ كانت هذه الصلاحيات ضرورة اقتضتها ظروف الامبراطورية نتيجة اتساعها على مساحات واسعة وكثرة أعدائها المحيطة بها وصعوبة القدرة على ضبط بعض الأقاليم ولا سيما أن انقلاب الأرخون هرقل لم يحدث إلا بعدما أثبت فوقاس سوء إدارته وظلمه مما أدى إلى حنق الشعب عليه وبالتالي فإن العصيان لم يأتِ من فراغ بل بسبب ما تقدم من ظلم.

والجدير بالذكر أن التغييرات الإدارية في الامبراطورية البيزنطية لم تتوقف هنا، بل استمرت على يد الامبراطور هرقل الذي طوَّر النظام الإداري العسكري الذي كان سائداً آنذاك وأنشأ نظام الثغور الذي ضمن للامبراطور أن يكون الرجل من سكان الأقاليم مزارعاً وجندياً في آن واحد، فيمتلك من الولاء للامبراطور والحمية للدفاع عنه وطنه ما يلزم، حيث قسَّم الأقاليم الآمنة من الامبراطورية إلى ثغور أو ثيمات ووضعها تحت حكم قائد عسكري (ستراتيجوس) ليقوم بتمليك سكان منطقته أراضٍ زراعية من أجل استثمارها والعناية بها ثم يورثونها

---

[1] قرطاجة: مدينة في إفريقية، ويقال أن اسمها قرطا وأُضيف إليها جنة بسبب طبيعتها وجمالها وروعتها، وهي مدينة عظيمة لها أسوار من رخام أبيض وفيها كثير من أعمدة الرخام متنوعة الألوان، وكانت قرطاجة عاصمة ولاية إفريقية البيزنطية وتحظى بحكم قوي بيد والد الامبراطور هرقل الأرخون هرقل. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:323، مادة قرطاجنّة؛ اسماعيل. (1985م)، ص:59، 73؛

Kaegi. (2003), P:21, 25.

[2] بينز. (1950م)، ص:150، 151؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:123، 126؛ العريني. (1982)، ص:110، 111؛ عمران. (2000م)، ص:63.

لأولادهم، وذلك مقابل الاشتراك في حروب الدولة بعد تجهيز أنفسهم من مردودها سواء بالأسلحة أو الخيول، وتم تطبيق هذا النظام بادئ الأمر في أرمينية وآسيا الصغرى والأناضول ثم تمَّ توسيع تطبيقه على باقي مناطق الامبراطورية.[1]

ب. المظاهر الحضارية البيزنطية اقتصادياً:

يعد الأمن والاستقرار السياسي أساس الازدهار الاقتصادي، فقد شكلّت الحروب شبه المتواصلة بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية الساسانية عبر التاريخ عائقاً في سبيل ذلك، وعلى الرغم مما أصاب حركة التجارة من فتور خلال الحروب إلا أن عجلتها لم تقف بلا حراك، ففي الجنوب لطالما عُدَّت صحراء العرب حاجزاً بين أملاك الدولتَيْن ولم تطلْها الاشتباكات الحربية إلا قليلاً بل ساد بين الطرفين الفارسي الساساني والبيزنطي ودٌّ مشترك، وخاصة أن التوابل والأحجار الكريمة والعاج وغيرها من بضائع الترف لم تكن تُستحضر من بلاد العرب عن طريق سورية فحسب، إنما انتقلت أيضاً عبر الطرق التجارية الكبيرة بالقارة الآسيوية التي كانت تمر بفارس وتنتهي في أرض بيزنطة (طريق بلاد الصغد أي سمرقند[2] وبخارى[3])، بل إن الطريق الجنوبي الذي يمر بالبحر الأحمر عُدّ في تلك الأيام أقل صلاحية من الطريق البري، فكادت أن تتركز تجارة المشرق

---

[1] ساليفان. (1985م)، ص:58؛ فرح. (1978م)، ص:102

Ostrogorsky. (1968), P:95,96,98. Reinink, Stolte. (2002), P:6.

[2] سمرقند: مدينة مشهورة في خراسان جنوبي وادي الصغد، عُرفت بخصوبة أراضيها وكثرة مياهها ووفرة ثمارها ورُصفت فيها الشوارع وبُنيت فيها القصور والحمامات ويحيط بها سور منيع له أربعة أبواب. البكري. (د.ت)، ج3 ص:754، 755؛ الحموي. (د.ت)، ج3 ص:246، 247، مادة سمرقند؛ الحميري. (1984م)، ص:322.

[3] بخارى: أهم مناطق خراسان يحيط بها سور يجمع داخله القصور والمساكن والبساتين الكثيرة وفيها مدينة لها قلعة ومسكن وقصور تمتع الأبصار بمنظرها، ويمر فيها نهر الصغد الذي يخترق معظم مناطقها وشوارعها وأسواقها، افتتح بخارى عثمان بن عثمان بن عفان خلال خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وجُعل منها مركز ولاية خراسان كلها. البكري. (د.ت)، ج1 ص:229؛ الحموي. (د.ت)، ج1 ص:353 مادة بخارى؛ الحميري. (1984م)، ص:82، 83.

في الطريق الذي كان يمر بوسط فارس فقط، مما مكّن الفرس الساسانيين من التحكم بالتجارة ورفع قيمة الضرائب المفروضة عليها[1].

وبالتالي لم يعد من اليسير على البيزنطيين القيام بالعمليات التجارية مع المشرق وخاصة الصين والهند، بل أصبحت رهناً للعلاقات بينها وبين الدولة الفارسية الساسانية، سلماً أو حرباً، ففي أوقات السلم احتكر الفرس الساسانيون المنتجات الشرقية وفرضوا ضرائب باهظة على مرور القوافل التجارية عبر أراضيها وخاصة الحرير لإدراكهم ضرورته عند البيزنطيين –وهذا يعني تدفق الذهب من بيزنطة إلى فارس– أما في حالة الحرب فكانت تتعطل تجارة الحرير.[2]

وقد طبَّقت الامبراطورية البيزنطية سياسية الاحتكار على معظم السلع عدا متاجر بيع الملابس ولكن ما قام به تجار الملابس الحريرية من المبالغة في رفع أسعارها خلال عهد الامبراطور جستنيان الأول بحجة ارتفاع المبلغ الذي يدفعونه للفرس الساسانيين وتعدد مراكز المكوس[3] في الأراضي البيزنطية، أغضب الامبراطور نفسه ودفعه لإصدار قانون حدد به سعر الرطل[4] الواحد من الحرير بخمسة عشر صولداً ذهبياً وهو أقل مما كان التجار يدفعونه لشرائه، ومَن يخالف القانون تتم مصادرة أمواله، لذلك ضعف اهتمام التجار بالاستيراد وعانى كثير منهم من الفقر والإفلاس حتى لجأ بعضهم إلى أرض فارس بحثاً عن مخرج لضائقتهم[5]،

---

[1] اربري. (1959م)، ص:66، 67؛ بينز. (1950م)، ص:270؛ العريني. (1982)، ص:87، 88.

[2] أبو الجدايل. (1995م)، ص:147؛ الخرابشة والنعيمات. (2011م)، ص:6، 7؛ فرج. (1982)، ص:81.

[3] المكوس: ضريبة تفرض على التجارة الواردة في البر والبحر، يجمعها موظفون من الأسواق ومن مواضع مرور التجار على الحدود. أبو خليل. (1994م)، ص:334؛ علي. (1993م)، ج7 ص:474.

[4] الرَّطل: وحدة قياس للأوزان، اختلف مقداره باختلاف الزمان والمكان والمادة الموزونة به، ولكنه يُقدَّر في الوقت الحاضر بـ اثني عشر أوقية وتزن كل أوقية 12 درهماً، وتساوي الأوقية اثني عشر درهماً. عمارة. (1993م)، ص:250.

[5] بينز. (1950م)، ص:272؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:143، 144؛ رنسيمان. (1997م)، ص:194–197؛ الشامي. (2002م)، ص:76–78.

فاضطرت الامبراطورية جراء ذلك أن تخضع لمطالب وسطاء الفرس الساسانيين، ولكنها احتكرت الصناعة جميعها، واستمر ذلك إلى أن استطاع اثنان من الرهبان البيزنطيين بين عامي 552م و 554م تهريب دودة القز[1] من الصين إلى القسطنطينية – والتي كانت سراً من أسرار الصين– فتحولت الامبراطورية نفسها إلى منتجة لمادة الحرير والتي أضحت فيما بعد من أنجح الصناعات فيها، مما دفعها لاحتكار تلك الصناعة وجعلها مورداً لدخلها.[2]

وقد استمر الوضع الاقتصادي البيزنطي بالتردي خلال نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديَيْن بسبب سياسة الاحتكار سالفة الذكر التي اتبعها الامبراطور جستنيان الأول، وتبذير الأموال على مظاهر العظمة في أبنية الامبراطورية، وبسبب شنّه لحروب كثيرة في شمال إفريقية وإيطاليا وإسبانيا لاسترداد ما سُلب من أراضي الامبراطورية، ولكن على الرغم مما حققه من انتصارات عسكرية إلا أن عائدات هذه الحروب لم تكن كافية لرد تكاليف الحرب أو حتى تفي بمستلزمات حماية هذه الأراضي والحفاظ عليها، وهكذا ترك الامبراطور جستنيان الأول لخلفائه من الأباطرة خزانة مالية خاوية عاجزة عن رد الديون للمرابين الذين يلحّون للحصول على ديونهم المستحقة، أو عن تعويض ما كانت تنفقه الامبراطورية من إعانات لا يستهان بمقدارها للعاطلين عن العمل في البلاد، إلى أن أصبح توزيع الطعام المجاني للفقراء عبئاً ثقيلاً ناءت به الخزانة العامة، وهذا إلى جانب ضرائب باهظة لا يتمكن الناس من سدادها.[3]

---

[1] دودة القز: هي نوع من الحشرات تنتج شرنقات حريرية وتُربّى على ورق التوت أو ورق البلوط، وتنسج حريراً جيداً في الهند. عمر. (2008م). ج3 ص:1809.

[2] بينز. (1950م)، ص:272؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:148؛ الخرابشة والنعيمات. (2011م)، ص:6، 7؛ رنسيمان. (1997م)، ص:197؛ العريني. (1982)، ص:89؛ فرج. (1982)، ص:81، 82.

[3] توفيق. (1967م)، ص:48، 51؛ 53؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص: 132، 149؛ العلان. (2009م)، ص:29؛ عمران. (2000م)، ص:53؛ عوض. (2007م)، 163، 164. الشيخ. (1994م)، ص:68؛

فلم يكن أمام خلفاء جستنيان الأول إلا العمل جاهدين لتدبير الأموال اللازمة من أجل النهوض بالاقتصاد البيزنطي، لذلك فرض الامبراطور جوستين الثاني ضريبة جديدة تساوي أربعة صولدات تدفع لمرة واحدة مقابل امتياز الحصول على الخبز المجاني من الدولة، كما فرض ضريبة على كل مواطن يتمتع بامتياز الخبز المجاني من الدولة، إلى جانب ما فرضه من ضريبة على كل سفينة تحمل النبيذ، وعلى الرغم من اتباع الامبراطور جوستين الثاني سياسة التقشف إلا أن عجز المواطنين عن دفع ضرائب جديدة ووقوع البلاد في كوارث طبيعية أعاق عملية الإصلاح الاقتصادي، ولا سيما بعدما أخفق الامبراطور جوستين الثاني في حربه ضد الملك كسرى أنوشروان والتي أسفر عنها سيطرة الفرس الساسانيين على مدن في غاية الأهمية بالنسبة للامبراطورية البيزنطية كأنطاكيا ودارا وأفامية.[1]

أما خليفته الامبراطور تيبيريوس فقد كان عادلاً رحيماً بالمواطنين حيث وزع الكثير من الأموال على الفقراء، وألغى معظم الضرائب المفروضة من قبل بمرسوم عام 575م، كما ألغى عملية شراء الوظائف التي أدرَّت على الخزانة المالية دخلاً جيداً، فكسب ود الشعب ومحبته، ومما ساعده على ذلك أيضاً استقرار البلاد بعد مهادنة الفرس الساسانيين مؤقتاً وتوقيع هدنة مع الآفار مقابل إعادة دفع الجزية لهم.[2]

ولكن لم يستمر الاستقرار طويلاً إذ طلب الآفار من خلَفه الامبراطور موريس رفع قيمة الجزية التي يقدمونها لهم، كما طالبهم الفرنجة[3] بجزية لهم أيضاً، في حين ظلت الامبراطورية البيزنطية تعاني من اضطراب شديد في اقتصادها مما أوصلها إلى حالة يرثى لها، فاتَّبع الامبراطور موريس سياسة شديدة الحرص من الجانب المالي لإصلاح ذلك، وأمر جيشه بالبقاء شمال نهر الدانوب خلال فصل الشتاء حتى يحين وقت

Mango. (2002), P:45.

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:365؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:150، 151؛ الشيخ. (1994م)، ص:66؛ العريني. (1982)، ص:105.

[2] أبو الجدايل. (1995م)، ص:153؛ عمران. (2000م)، ص:63.

[3] الفرنجة: هم أحد قبائل الجرمان الغربيين الذين هاجروا من شمال أوربا عبر بحر البلطيق وعبروا حدود الامبراطورية الرومانية ثم استقروا في غربي أوربا. محمود. (1999م)، ص:10.

معاودة القتال مع السلاف والآفار من أجل توفير نفقات عودتهم[1]، كما رفض أن يدفع فدية آلاف من الأسرى البيزنطيين عند الآفار مما أدى إلى مقتلهم جميعاً عام 599م، وكذلك أمر ببيع جميع قمح مصر وبيزنطة وتحويل ثمنه إلى ذهب، وأصدر قراراً بإنقاص رواتب الجنود بنسبة 25% مما أوغل صدور الشعب والجيش ضده والإطاحة بعرشه فيما بعد كما سلف ذكره.[2]

ومع مطلع القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي استلم الامبراطور هرقل عرش الامبراطورية البيزنطية واتّبع خطة اقتصادية لينهض بالاقتصاد البيزنطي مجدداً، فكانت أولى خطواته أن جعلَ الانضمام للنقابات الحرفية قائماً على اجتياز امتحان يعقده موظفون من قِبل الامبراطور مع وضع رقابة شديدة على عمل الحرفيين، كما تم طرد مَن لم يثبت جدارته في حرفته، فمنع بذلك وراثة الحرف، كما فرض رقابة على المبادلات الدولية بإقامة مكاتب تجارية محلية في كل مرفأ أو ميناء مهم، وروّج للبضاعة البيزنطية المحلية ولا سيما الحريرية منها عن طريق إرسال أنسجة حريرية منقوش عليها اسم الامبراطور هرقل إلى حكام الدول الأخرى، إضافة إلى أنه أمر بصهر ذهب الكنائس وكنوزها لجعلها نقوداً ذهبية، وعلى الرغم مما كانت تتميز به العملة الذهبية في عهده والتي تُعرف بالصولد إلا أنه قام بضربها بوزن خفيف لتُدفع كجزية للآفار مقابل السلام معهم.[3]

وبالتالي فإن الاقتصاد البيزنطي قد اعتمد في الدرجة الأولى على الضرائب، كالضريبة التي فُرضت على الأراضي، وعلى المكوس المترتبة على التجارة، إضافة إلى أرباح احتكار بيع بعض المنتجات ولا سيما

---

[1] أبو الجدايل. (1995م)، ص:154؛ اسماعيل. (1985م)، ص:40؛ أومان. (1953م)، ص:98، 99.

[2] أومان. (1953م)، ص:98؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:169، 170؛

Bury. (1889), V2, P:86. Mango. (2002), P:53 . Shepard. (2008). P:127, 128.

[3] اسماعيل. (1985م)، ص:98، 103–105؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:174؛ الشامي. (2002م)، ص:83؛

Baynes and Moss. (1948), P:62, 63. Herbert. (2016), P:374.

الحرير، كما درَّت الأموال التي تُدفع لشراء الوظائف والهدايا التي يقدمها الشعب لأصحاب النفوذ كثيراً من الأرباح إلى جانب العقارات والأراضي التي تنتقل مباشرة للخزانة المالية إن لم يترك صاحبها وصية أو وريث.[1]

أما عن أوجه النفقات فقد كان جلها متركزاً على مستلزمات الجيش والأسطول وبناء وترميم الحصون والموانئ، وتأمين العتاد اللازم للحروب ومرتبات الجنود، إضافة إلى نفقات البلاط من أجل توفير الأبهة للأباطرة، وبالتالي فقد أُنفق على الأعياد الدينية وغير الدينية ومواكب الأباطرة ومراسم استقبال السفراء ورحلات رجال البلاط وإقامة الأبنية الفخمة ما أرهق الخزانة المالية للامبراطورية.[2]

ويستنتج مما سلف أنه على الرغم من حسن سياسة الامبراطور تيبيريوس المطبوعة على العطاء والتوسعة على الشعب إلا أنه بهذه السياسة نفسها قد أثقلت عاتق الامبراطور موريس من بعده إذ اضطر للتقشف من أجل تأمين احتياجات الامبراطورية وتعويض خسائرها، فبدا بمظهر البخيل الشحيح مما أطاح بحكمه لاحقاً.

ومن الواضح أن الاقتصاد من أهم دعائم قيام الدول ومؤشر مهم عن حالها، فازدهار الاقتصاد دليل على قوة الدولة وسعة نفوذها، وتراجعه نبأٌ عن ضعفها وقرب تقهقرها، لذلك تعمل الدول وحكامها دائماً على زيادة موارد الدخل وتأمين سُبله وتوفير الحماية له.

كما أن حاجة الطبقة المترفة البيزنطية وإصرارها للحصول على منتجات طريق الحرير سواء منها البخور أو التوابل أو الحرير وغيرها دفعها لاتّباع سياسة الاحتكار لتبقى هذه المنتجات ضمن نطاق سيطرتهم دون غيرهم، فارتفعت أسعار هذه السلع إلى درجة عجزت عنها الخزينة الامبراطورية مما دفعها للخضوع لشروط الفرس الساسانيين وتحكمهم في منافذ التجارة، فلم يكن أمام بيزنطة إلا البحث عن طرق بديلة للوصول إلى منابع السلع سالفة الذكر وذلك قبل تهريب دودة القز إليها، وبالتالي فإن الصراع الذي شهدته شبه الجزيرة

---

[1] بينز. (1950م)، ص:159، 160، 162، 163. يوسف. (2005م)، ص:31، 32.

[2] بينز. (1950م)، ص:156، 157؛ توفيق. (1967م)، ص:48، 51؛ 53؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:132.

العربية بين القوتَين الفارسية الساسانية والبيزنطية لم يكن سياسياً فقط بل اقتصادياً يهدف لربط شمالها بجنوبها إلا أن بيزنطة لم تنجح في بغيتها بسبب سياستها الدينية وموقف قريش الرافض للتبعية لأي منهما.

ج. المظاهر الحضارية البيزنطية اجتماعياً:

- **الطبقات الاجتماعية البيزنطية:**

تجلى النظام الطبقي في المجتمع البيزنطي وانقسم أفراده تبعاً لمستوى دخلهم ونفوذهم، ويمكن إجمالهم ضمن التالي:

1. الطبقة العليا:

ظهر الهرم الطبقي الاجتماعي بوضوح في مجتمع القسطنطينية كونها عاصمة الامبراطورية ومركز الحكم ومقر الامبراطور، حيث تربعت الطبقة الارستقراطية على قمته خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي والتي تتألف من عدة فئات **كالارستقراطيين العسكريين** ولا سيما في أقاليم آسيا الصغرى نتيجة لنظام الثغور الذي فرضه الامبراطور هرقل كإصلاح إداري عسكري للامبراطورية، وبالتالي تمكن أبناء هذه الطبقة من تكوين ثروات طائلة في الثغور التي تولوا قيادتها وأصبح لهم عدد كبير من الأتباع فيها، مما أعطى لعائلاتهم مكانة اجتماعية متميزة فأصبح أبناء هذه الطبقة نبلاء بالوراثة.[1]

على ما يبدو أن نظام الثغور قد أدى مرور الوقت إلى استفحال نفوذ أمراء الجيش وخلق هوّة بين صغار المُلَّاك وكبار الإقطاعيين، فبعد أن كانت السلطات المدنية تعمل تحت إشراف الحاكم العسكري للثغر أصبحت الإدارة كلها ذات طابع عسكري خالص تملك ثروات كبيرة وتقود أتباع كثر.

وإلى جانبهم هناك فئة **النبلاء** التي تضم أعضاء مجلس الشيوخ الذين وصل عددهم إلى الآلاف في القرن السادس الميلادي ولا سيما في عصر الامبراطور جستنيان الأول، وقد امتلك هؤلاء النبلاء أراضٍ واسعة

---

[1] زيدان. (د.ت)، ج1 ص:144؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:413.

وحصلوا على ثروة طائلة وامتازوا بثرائهم الكبير وسكنوا القصور وتفننوا في مظاهر اللهو والترف وقام على خدمتهم آلاف العبيد.[1]

إضافة إلى فئة الكوريال أو **رجال الحاشية** Curiales الذين حملوا ألقاباً ومناصبَ شرف من الحكومة الامبراطورية وامتلكوا مكانة اجتماعية مرموقة وثرواتٍ وأراضٍ كبيرة إلى أن اختلطت أملاكهم بأملاك **كبار ملاك الأراضي** في الأقاليم والذين انتشرت أملاكهم في قرى ومدن عديدة، وحملوا ألقاباً عظيمة أيضاً كلقب المجيد Glorios وكونوا معاً الطبقة العليا من النبلاء الارستقراطيين السناتوريين في كل المؤسسات المدنية والعسكرية ومُنحوا الحق في إعطاء رتبهم لأبنائهم ولكن بعد موافقة الامبراطور، إذ أن مناصبهم لم تكن وراثية عموماً، والجدير بالذكر هنا أن تكتل عائلات الطبقة العليا على المناصب المهمة واتساع نفوذهم جعلهم عرضة للمشاكل فإذا ما تعرضت البلاد أو نظام الحكم لأي طارئ تنتكس هذه الأسر جميعها.[2]

يتضح مما سلف أن الارستقراطية تمثل الثروة في بيزنطة فمن أراد أن يكون ارستقراطياً عليه أن يملك الأراضي ويجمع الألقاب فيرتفع بمكانته طبقة تلو أخرى.

2. الطبقة الوسطى:

وهي الطبقة التي عاش أهلها بعيداً عن المناصب العليا والألقاب الرسمية والشرفية ولم يملكوا سوى وظائفهم التي درَّت عليهم أموالاً طائلة وأرباحاً مغرية جذبت بعض أبناء الطبقة العليا وبعضاً من رجال الدين لمزاولتها، ويتألفون من عدة فئات، منهم فئة **مُلاك الارض** Ktetores الذين عاش بعض رجالها في العاصمة البيزنطية، إما لقرب أراضيهم منها وما تدره عليهم من أرباح جيدة، أو لامتلاكهم حقول الفاكهة في المناطق التي لم تتحول إلى مناطق سكنية في القسطنطينية، وهؤلاء المُلَّاك مختلفون عما يُعرف بطبقة كبار مُلّاك

[1] أبو الجدايل. (1995م)، ص:414؛ الشامي. (2002م)، ص:18؛ يوسف. (2005م)، ص:88.

[2] أبو الجدايل. (1995م)، ص:415؛ الشامي. (2002م)، ص:18، 19.

الأراضي الزراعية والرعوية في الأقاليم، ويتميزون عن فئة صغار المزارعين أو الفلاحين الأحرار، وهناك أيضاً فئة **أصحاب السفن** وقد صُنّف أصحابها ضمن الطبقة الوسطى لما تحققه مهنتهم من أرباح كثيرة حيث يظهر أحدهم في صورة التاجر الكبير الذي يعمل في تجارة الاستيراد، فيشتري السلع التجارية الموجودة في الأسواق المهمة ويوصلها إلى مراكز الحدود عن طريق وكلائه المقيمين هناك ثم ينقل هذه السلع إلى سوق القسطنطينية، كما ينتمي إلى هذه الطبقة فئة **المثقفين** أي أولئك الذين درسوا الأدب وفقه اللغة والبلاغة والفلسفة وأحبوا العلم وامتهنوا ما يتعلق به من وظائف كالتدريس في مدارس القسطنطينية، كما عملوا في الوظائف الحكومية وداخل القصر الامبراطوري، ولكن رواتبهم القليلة دفعتهم دوماً إلى تحسين دخلهم المادي بتأليف القصائد الشعرية لمحبيها وغير ذلك من أمور.[1]

وإلى جانبهم يوجد فئة **رجال الدين** التي تتكون من هرم خاص بها يترأسه **البطريرك**، وهو ذو مكانة شديدة الأهمية حيث يتولى رئاسة الكنيسة البيزنطية ولكن ثباته متعلق برضا الامبراطور عنه، أما عن اختيار البطريرك فكان يتم بشكل منظم منذ نهاية القرن السادس الميلادي إلى مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي من بين رجال البطركية في القسطنطينية وبالتالي لا يعتمد في الوصول إلى منصبه على دعم أية عائلة أو طبقة اجتماعية.[2]

ويلي البطريرك **القساوسة** الذين تمتعوا بتوقير الناس لهم ولكن لم يكن لهم دور اجتماعي كبير في المجتمع البيزنطي، إذ لم يتولَّ القساوسة الرعاية الروحية لسكان مناطقهم بل كان ذلك من اختصاص غيرهم، وبالتالي اقتصر دخلهم على الرسوم الضئيلة التي يدفعها الناس لهم مقابل أداء بعض الخدمات، ولكن ازدياد عدد الكنائس والقساوسة أدى إلى قلة عائدات الخدمات التي تقدمها كل كنيسة على حدى، لذلك سعى عدد لا

---

[1] فرج. (1984م)، ص:84، 86، 89، 90.

[2] فرج. (1984م)، ص:92؛ منصور. (2015م)، ص:136.

يستهان به من رجال الدين وراء تحصيل أرزاقهم من التجارة والأشغال اليدوية والحرف، وهناك أيضاً **القدّيسين** و**النُّساك** والناسكات و**الرهبان** الذين التحقوا بالأديرة وكان لهم أثر ديني قيّم لما لدى الكثير منهم القدرة على التنجيم والتنبؤ بالمستقبل، على الرغم من عدم معرفة معظمهم للقراءة والكتابة إلا لأسمائهم فقط.[1]

وفي حال رغبة أحد أفراد الطبقة الوسطى أو حتى الطبقة العليا في النجاح والتقدم والارتقاء إلى طبقة أعلى يمكنه اللجوء إلى الإخصاء، فقد كان **الخصيان** يشكلون طبقة كبيرة لها رتبها ومكانتها في المجتمع البيزنطي، حيث اعتمد الامبراطور على الخصيان في العمل داخل قصره في الأقسام المخصصة للحريم ولا سيما الأقسام المخصصة للامبراطورة وحاشيتها إذ لا يجوز على الرجال دخولها نهائياً، كما عملوا في الخدمة المدنية وعُقدت لهم ألوية في الجيش والأسطول، كما كان خصيان الطبقة الدنيا يساعدون الأطباء بالدخول إلى الأديرة ومستشفيات النساء، ولكن لا يحق لهم الوصول إلى العرش أو توريث ممتلكاتهم لأهلهم كما لا يحق لهم العمل كولاة للمدينة، والجدير بالذكر أن الإخصاء آنذاك لم يكن مدعاة للعار ولا فيه مساس بالشرف أو الكرامة.[2]

3. الطبقة الدنيا:

وهي الطبقة التي تحتل قاعدة الهرم الاجتماعي البيزنطي وأكثرها اتساعاً، وتتألف من عدة فئات أهمها **العبيد** من أسرى العرب وسكان السهوب أو الوثنيين وقد كَثُرَ الفقراء في هذه الفئة وقد كانوا يُعاملون كسلع تُباع وتُشترى، وإلى جانبهم فئة **صغار الحرفيين** العاملين في الصناعات والمتاجر المملوكة لغيرهم سواء للدولة أو للقطاع الخاص، وكذلك **صغار التجار** الذين قلّ رأس مالهم وعملوا في كل المجالات.[3]

---

[1] الشامي. (2002م)، ص:21، 23؛ فرج. (1984م)، ص:95، 98.

[2] ديورانت. (1947م)، ص:26؛ رنسيمان. (1997م)، ص:100؛ الشامي. (2002م)، ص:23، 29.

[3] أومان. (1953م)، ص:104؛ فرج. (1984م)، ص:101، 104، 106؛ الشامي. (2002م)، ص:26، 27.

وعلى جميع الأحوال لم تصل حالة الطبقة الدنيا إلى درجة كبيرة من السوء إذ عاشوا على ما توزعه الحكومة البيزنطية من معونات وخبز مجاني، وبالتالي كان إيقاف توزيعها بسبب الاضطرابات السياسية والاقتصادية بمثابة تجويع حقيقي لهم، مما يسبب رفضهم الانصياع للحكومة واحتجاجاتهم عليها، كما كان أفراد هذه الطبقة تحت عناية الكنيسة ومسؤولي الامبراطورية، فأقيمت الملاجئ والمستشفيات لخدمتهم بالمجان، كما عملت الكنيسة على تحرير العبيد منهم.[1]

ولا بد من التنويه على وجود تقسيم اجتماعي آخر للمجتمع البيزنطي، وذلك وفقاً لميولهم السياسية، فقد انقسم المجتمع آنذاك إلى أحزاب مؤيدة لسباقات العجلات التي كانت تُقام في الملعب وسط القسطنطينية، واتخذت من ألوان ثياب المتسابقين فيها لقباً لها كالأزرق والأخضر والأبيض والأحمر، ثم تحولت إلى أحزاب سياسية ذات نفوذ وثروة، ليبرز منها في القرن السادس حزب الزرق الذي ارتبط بمصالح الطبقات العليا، وحزب الخضر الذي مثَّل مصالح الطبقات الدنيا، ولاختلاف مصالحهم وأهدافهم استمرت الصراعات الطبقية الشديدة بينهما والتي أسفرت عن قيام ثورة النصر عام 532م في عهد جستنيان الأول والتي كادت أن تطيح بحكمه.[2]

وقد حاول الأباطرة البيزنطيون جاهدين لحصر الشعب ضمن طبقات اجتماعية محددة إلا أن هناك ما يدل على استمرار انتقال الأفراد فيما بينها، كوصول بعض الأباطرة إلى سدة العرش البيزنطي وهم من أصل اجتماعي متواضع أو غير معروف، ومنها أسرة الامبراطور جستنيان الأول التي جاءت من أصل ريفي بسيط وكذلك الامبراطور فوقاس الذي كان ضابطاً من أصل غير معروف أيضاً، إضافة إلى الأثرياء الذين

---

[1] الشامي. (2002م)، ص:26، 27؛ يوسف. (2005م)، ص:88.

[2] عبد الحميد. (1997م)، ص:204، 205؛ العريني. (1982)، ص:79، 80.

تمكنوا من شراء الوظائف التي أرادوها فأصبحوا من كبار رجال الدولة وتمتعوا بما يمنحه لهم المنصب الجديد من نفوذ وقوة ومكانة اجتماعية مرموقة.[1]

يُلاحظ مما سلف اتّباع الأباطرة البيزنطيون لسياسة (فرّق تسد) في الداخل البيزنطي حيث صنفوا الشعب ضمن طبقات وفئات محددة، وحصروهم ضمنها بما يكاد يمنع انتقال الفرد من أحدها إلى أخرى، حتى لجؤوا إلى تصنيف الناس ضمن الفئة الواحدة إلى فئات أصغر منها وكذلك تصنيف الناس في أحزاب السياسية، كي يتثنى لهم السيطرة على الجميع بيسر وسهولة والحيلولة دون اتحادهم ضد السلطة الحاكمة وعلى الرغم من هذه القيود إلا أن البعض تمكن من الانتقال من طبقة دنيا إلى طبقة أعلى منها واستملوا مناصب عالية في الدولة.

- **النساء في المجتمع البيزنطي:**

أما عن وضع النساء في المجتمع البيزنطي فقد اختلف حالهن قبل الزواج عن ما بعده، حيث حُرمت العزباء منهن حقها في التعليم وخُصص لها مكاناً خاصاً بها في البيوت لتؤدي فيه واجباتها المنزلية وتمضية وقتها، كما لم يُسمح لها برؤية مَن تقدّم لخطبتها حتى تُقرَّر كل شؤون الزواج من قِبل والدها، وقد كان سن الزواج المناسب لديهم يتراوح ما بين الأربعة عشر والخامسة عشر سنة،[2] أما بعد الزواج فقد مُنحت المرأة البيزنطية مطلق الحرية، إذ شاركتِ النساء في حياة الرجال وتسلمت إدارة العائلة بأكملها وحظيت الأمهات باحترام تام، إلا أنه عند اختيار زوجة للامبراطور تُبعث الرُّسل إلى كافة أنحاء الامبراطورية للبحث عن أجمل النساء وأفضلهن تعليماً ليختار الامبراطور منهن زوجة له[3].

---

[1] الآسيوي. (2000م)، ج3 ص:12؛ أبو الجدايل. (1995م)، ص:411؛ 412. الشيخ. (1994م)، ص:41، 68؛ العريني. (1982)، ص:65.

[2] بينز. (1950م)، ص: ص33، 34؛ يوسف. (2005م)، ص:87، 88.

[3] الشامي. (2002م)، ص:24، 25؛ ضية. (2016)، ص:7.

الفصل الثاني: احتكاك العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين والبيزنطيين وعوامل انتقال مؤثراتهم الحضارية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" إلى الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أولاً: أوضاع الدولة العربية الإسلامية ومظاهرها الحضارية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

1. أوضاع الدولة العربية الإسلامية.
2. أسس ومظاهر الحضارة العربية والإسلامية:

أ- ملامح من حضارة العرب قبل الإسلام.

ب- أسس الحضارة العربية الإسلامية.

ج- المظاهر الحضارية في الدولة العربية الإسلامية.

ثانياً: عوامل انتقال المؤثرات الحضارية الفارسية الساسانية والبيزنطية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" إلى الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

1. الفتوحات العربية الإسلامية.
2. الرقيق والسبي والموالي.
3. اللغة العربية.
4. الحج.
5. العوامل الاقتصادية.
6. السفارات والمراسلات بين الدولة العربية الإسلامية والامبراطورية البيزنطية.

7. الأسواق.
8. الترجمة.
9. الاعتماد على الموظفين الأجانب.

ثالثاً: اندماج العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين ومظاهره.

أولاً: أوضاع الدولة العربية الإسلامية ومظاهرها الحضارية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

1. أوضاع الدولة العربية الإسلامية:

لطالما دار الصراع بين الشرق والغرب على اختلاف دوله وأسره الحاكمة، حيث مرَّ على كل منهما أسرٌ حكمت البلاد والعباد لقرون طوال، عاشت خلالها المجد والازدهار ثم الضعف والانحدار حتى سقطت لصالح أسرة أخرى كانت قد بدأت بالظهور، وقد شهد القرن الأول الهجري/السابع الميلادي بداية النهاية لأعظم الدول التي حكمت العالم آنذاك، فالدولة الفارسية الساسانية في الشرق تنافس الامبراطورية البيزنطية في الغرب على السيادة والحكم والثروة، وعلى الرغم من سطوة كل منهما إلا أنهما عانتا من بعض المشاكل التي زعزت أمن بلادهما وحدودهما، كحركات القبائل العربية المنتشرة على حدود أرض بلاد الشام والعراق التي سعت لإثبات وجودها، ولا سيما أن هذه القبائل قد احترفت الفروسية ومارست الغزو على أملاك فارس وبيزنطة، وهاجمت كلاً من الجيوش الفارسية الساسانية والبيزنطية على حد سواء أثناء تنقّلها إما ذهاباً لساحات القتال أو عند العودة منها دون ولاء لأحد منهما آخذين منهم المغانم والأسلاب، وفي حالة الهجوم المضاد كانت هذه القبائل تدافع عن نفسها من خلال التراجع إلى الصحراء التي يستحيل خوض غمارها إلا على مَن ترعرع فيها، ولهذا سعت كل من الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية لتأسيس دول عربية في منطقة الحدود تدين لها بالولاء وتؤمّن لها حدودها الخارجية، فدعمت بيزنطة تأسيس مملكة للغساسنة في بلاد الشام، بينما ساند الفرس الساسانيون المناذرة في الحيرة وأقاموا لهم مملكة خاصة بهم.[1]

[1] بروي. (1986م)، ج3 ص:111؛ الرحيم. (1995م)، ص57؛ الشاعر. (1989م)، ص:165، 166. عبد الحميد. (1975م)، ص:201؛ علي. (1993م)، ج2 ص:627، 652.

وعلى الرغم من ولاء الغساسنة والمناذرة للبيزنطيين والفرس الساسانيين إلا أنهم ظهروا بمظهر الملوك، وتمكنوا من إثبات وجودهم والدفاع عن أنفسهم ضد كل مَن يحاول التعدي عليهم، مستغلين أهمية موقع موطنهم المتوسط بين الشرق والغرب ودوره في حركة التجارة العالمية، فها هو المنذر بن الحارث[1] (569– 582م) أحد أهم ملوك الغساسنة قد أعلن انشقاقه عن الامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور جوستين الثاني بسبب علمه بنيّة البيزنطيين لقتله جرّاء تعصبه للمذهب المونوفيزتي المخالف لمذهب الامبراطورية الرسمي، ولكن ما تعرضت له الامبراطورية البيزنطية من هجوم مباغت للمناذرة على أراضيهم في بلاد الشام مستغلين غياب المنذر بن الحارث دفع البيزنطيين لاسترضائه، واستمر الأمر كذلك حتى قبض عليه الامبراطور تيبيريوس عام 582م من خلال الحيلة ثم حكم عليه بالنفي حتى وفاته، فثار أبناؤه الأربعة وقرروا الثأر لوالدهم، فعاودوا الخروج على طاعة الامبراطورية البيزنطية وشنَّوا الغارات على أراضيها وحامياتها، وقد استمرت العلاقة بينهما ما بين مد وجزر إلى أن دبَّ الضعف في مملكة الغساسنة واضطرارهم للفرار أمام جحافل الجيش الفارسي الساساني أثناء هجوم كسرى أبرويز على أراضي الامبراطورية البيزنطية واحتلاله أهم مدنها والتي هي انطاكيا عام 611م.[2]

---

[1] المنذر بن الحارث: هو ابن الحارث بن جبلة الغساني (528– 569م) وعُرف عنه تعصبه للمذهب المونوفيزتي المخالف لمذهب الامبراطورية البيزنطية، مما دفع الامبراطورية إلى معاداته والشروع في قتله، فهرب وترك أراضيه للمناذرة الذين هاجموها وتوغلوا في الأراضي البيزنطية، مما أجبر الامبراطور جوستين الثاني إلى مصالحته، فعاد وتمكن من الدفاع عن بلاد الشام، فكرَّمه الامبراطور تيبيريوس وألبسه تاجاً في حين لم يلبس غيره إلا الإكليل، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه اتُّهم فيما بعد بالتواطؤ مع الفرس الساسانيين فسيق إلى القسطنطينية ثم نفي إلى جزيرة صقلية. زيدان. (1922م)، ج1 ص:194؛ مهران. (د.ت)، ص:572؛ نولدكه. (1933م)، ص:25، 30، 31.

[2] بيغوليفسكيا (1983م)، ص:244، 245، 248، 250، 252؛ زيدان. (1922م)، ج1 ص:194؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:417، 418؛ عبد الحميد. (1975م)، ص:201، 202، 210–212؛ مهران. (د.ت)، ص:572؛ نولدكه. (1933م)، ص:25، 30، 31.

أما المناذرة فقد حكموا الحيرة وما حولها من أراضي العراق ودانوا بالولاء للفرس الساسانيين كما سلف ذكره إلا أن علاقتهم بهم كانت متأرجحة ما بين وِدّ وحقد، فالملك كسرى أبرويز الذي عيّن النعمان بن المنذر[1] (583- 605م) على عرش الحيرة وألبسه التاج المرصع بالذهب واللآلئ، هو نفسه مَن أمر بالقبض عليه وسجنه ثم قتله تحت أقدام الفيلة فيما بعد، وتعيين إياس بن قبيصة[2] (605- 611م) من قبيلة طيء خلفاً له على مُلك الحيرة منهياً حكم اللخميين أي المناذرة عليها، وهذا ما أوغر صدور حلفاء النعمان بن المنذر من قبائل بني شيبان وبكر وأشعل الحرب بينهم وبين الفرس الساسانيين وأتباعهم، فكانت معركة ذي قار[3] الشهيرة

---

[1] النعمان بن المنذر: هو ابن المنذر بن المنذر بن ماء السماء، عينّه كسرى أبرويز على عرش الحيرة بعد أبيه، ولُقب بالصعب لكثرة غضبه وإصغائه للوشايات، وعلى الرغم مما تميز به عهده من توسع لمملكة الحيرة ومن ترف ونمو اقتصادي وبلاط يضاهي بلاط الملوك، إلا أنه دخل بصراعات مع القبائل العربية في الجنوب، كما ساءت علاقته مع كسرى أبرويز وهو الأمر الذي دفعه إلى التحالف مع بني شيبان حيث أودع عندهم أمانته ثم ذهب إلى كسرى بنفسه فقبض عليه وسجنه. اليعقوبي. (2010م). ج1 ص:259- 262؛ ابن الأثير. (2012م). ج1 ص:444؛ برو. (1996م)، ص:135، 136، 137؛ طقوش (2009م-ب)، ص:402، 403؛ مغنية. (1994م)، ص:86، 87.

[2] إياس بن قبيصة: خلف النعمان بن المنذر الذي كان آخر ملوك اللخميين في حكم الحيرة، ولكنه لم يكن بقوته إذ ضعفت البلاد في عهده ولم يتمكن من حماية الفرس الساسانيين من غارات القبائل العربية التي تحالفت مع بعضها وخاضوا معهم معركة حرب ذي قار الشهيرة والتي انتهت بهزيمة الفرس الساسانيين. ابن حزم. (د.ت- أ). ص:377؛ ابن الأثير. (2012م). ج1 ص:444؛ برو. (1996م)، ص:140؛ طقوش (2009م-ب)، ص:404، 405؛ مهران. (د.ت)، ص:591، 592.

[3] ذو قار: اسم لنبع ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة وتقع بينها وبين واسط، وقد جرت فيها معركة شهيرة اختلف الروايات في تحديد تاريخ وقوعها فمنها من رجّح أنها تزامنت مع مولد رسول الله ﷺ أو بعد بعثته الشريفة بسنوات قليلة أو بعد هجرته من مكة إلى المدينة ولكن يمكن القول أنها قدر جرت بين عامي 602م و611م اعتماداً على انتهاء حكم النعمان بن المنذر (583- 605م) وموعد انتهاء حكم إياس بن قبيصة (605- 611م) حكّام الحيرة من المناذرة الموالين للفرس. الحموي: (د.ت)، ج4 ص:293، مادة ذي قار؛ مهران. (د.ت)، ص:595؛ Frye. (1975), V4, P:3, 4.

التي انتهت بهزيمة الفرس الساسانيين وتقهقرهم إلى بلادهم خاسرين، وكان هذا النصر أول نصر للعرب على الفرس الساسانيين مما رفع معنوياتهم ورسخ لديهم الشعور القومي.[1]

وقد تلت هذه الأحداث الحروب التي جرت بين الفرس الساسانيين والبيزنطيين (611 –628م) في عهد الامبراطور هرقل، تلك الحرب التي أغفلت أعين الطرفَيْن عن أهمية ما كانت تشهده شبه الجزيرة العربية من أحداث، حيث ظهر في مكة المكرمة نبي آخر الزمان محمد ﷺ مُبلغاً رسالة ربه للناس بتوحيد الخالق والتسليم إليه، إلا أن ما تعرض له رسول الله ﷺ ومَن آمن برسالته من اضطهاد وظلم دفعهم للهجرة إلى المدينة المنورة (يثرب) سنة 1هـ/622م، فوضع هناك اللَّبِنة الأساسية لقيام الدولة العربية الإسلامية من خلال خطوات مهمة وهي تأسيس المسجد الجامع[2] والمؤاخاة[3] بين المهاجرين والأنصار[4] وكتابة الدستور بين المسلمين وغيرهم من سكان المدينة المنورة[5]، تاركاً لخلفائه بعد وفاته سنة 11هـ/632م مهمة رفع قواعدها بما لا يتناقض مع أسس الدين الإسلامي.[6]

---

[1] الأصفهاني. (1928م)، ص:125، 126؛ ابن البلخي. (2001م)، ص:95؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:159، 160–162؛ سبط ابن الجوزي. (2013)، ج3 ص:91؛ بيرنيا. (1992م)، ص:382؛ طقوش (2009م–ب)، ص:403؛ عبد الحميد. (1975م)، 230، 231؛ محمد. (2011م)، ص:124؛ مغنية. (1994م)، ص:87؛ مهران. (د.ت)، ص:593؛

Frye. (1975), V3(1), P3.

[2] سيتم التطرق إلى أحداث بناء المسجد الجامع بالتفصيل لاحقاً في فقرة المظاهر الاجتماعية للدولة العربية الإسلامية.

[3] سيتم التطرق إلى أحداث المؤاخاة وأثرها بالتفصيل لاحقاً في فقرة المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للدولة العربية الإسلامية.

[4] الأنصار: هم المسلمون من أهل المدينة المنورة وقد دُعوا بالأنصار لأنهم عاهدوا رسول الله ﷺ وبايعوه على الانتصار له. المقريزي. (1999م)، ج8 ص:172، 173؛ برو. (1996م). ص:186؛ حمد. (1982م)، ص:62؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:251.

[5] سيتم التفصيل عن كتابة الوثيقة أو الدستور لاحقاً في فقرة المظاهر الاجتماعية للدولة العربية الإسلامية.

[6] ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:192، 193؛ البلاذري. (1987م)، ص:131–133؛ الطبري. (1967م)، ج3 ص:225؛ الذهبي. (1990م)، ج2 ص:319.

إلا أن وفاة رسول الله ﷺ أسفرت عن نقض الكثير من قبائل شبه الجزيرة العربية عهدهم مع رسول الله ﷺ، لأسباب مختلفة اجتماعية واقتصادية ودينية فخرج عدد ممن ادَّعو النبوة لأنفسهم من أجل الحصول على مزاياها كالزعامة، وساعدهم على ذلك عودة روح العصبية القبلية من جديد – وهي التي حاربها رسول الله ﷺ ودعا لتكون العصبية للإسلام– واتّباع كثير من القبائل لمدّعي النبوة عصبيةً لقبائلهم لا تصديقهم لنبوتهم،[1] ومنهم مَن امتنع عن أداء الزكاة لأسباب مادية وللتخلص من سلطة المدينة المنورة عليهم،[2] ومنهم من لم يقتنع بالإسلام حق القناعة ولم يرسخ في عقولهم وقلوبهم بل كان إسلامهم نفاقاً ومجرد رداء خارجي ليس إلا.[3]

وبالتالي فإن مجمل أسباب ردة هذه القبائل كان رفضها لفكرة الطاعة للدولة والسلطة إضافة إلى عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية ودينية ولا سيما أن فكرة أن فرض وجود الدولة العربية الإسلامية تمت في مكان ووسط قبائل لم تعتد على الحكم المنظم ولا السلطة العليا.

والردة هي ما يُعدُّ في الوقت الحاضر بمثابة الخيانة العظمى للدولة وإعلان العصيان عليها، فكان لا بدَّ للخليفة الأول أبي بكر الصّدّيق ﷺ (11– 13هـ/632– 634م) أن يحبط مساعي هؤلاء المرتدّين المهددة لوجود هذه الدولة الجديدة الناشئة ومحاربتهم، فأطلق الجيوش العربية الإسلامية في كافة أرجاء شبه الجزيرة

---

[1] الكوفي. (1991م)، ج1 ص:14؛ الكلاعي. (1979م)، ص:11؛ أحمد. (1986م)، ص:187؛ شلبي. (1987م)، ج1 ص:577.

[2] الطبري. (1967م)، ج3 ص:241؛ الكلاعي. (1979م)، ص:12؛ أحمد. (1986م)، ص:188؛ شلبي. (1987م)، ج1 ص:577؛ الفقي. (د.ت)، ص:89.

[3] الطبري. (1967م)، ج3 ص:246؛ الكلاعي. (1979م)، ص:11؛ أحمد. (1986م)، ص:186؛ شلبي. (1987م)، ج1 ص:576.

العربية لتحقيق هذه الغاية، كما بعث سرية أسامة بن زيد ﷺ [1] سنة 11هـ/632م والتي هيأها رسول الله ﷺ لقتال الغساسنة عمّال البيزنطيين في بلاد الشام وتأديبهم على تجاوزاتهم.[2]

وبعد أن عاد الاستقرار للدولة العربية الإسلامية أطلق الخليفة أبو بكر الصّدّيق ﷺ جيوش الفتح الإسلامي نحو بلاد الشام والعراق لنشر الدعوة الإسلامية ومحاربة كل من الفرس الساسانيين والبيزنطيين الذين أمعنوا في ظلمهم واضطهادهم للناس، ومنع اتحادهما معاً ضد الدولة العربية الإسلامية الجديدة، فأرسل جيشاً نحو العراق وأربعة آخرين نحو بلاد الشام حيث اتَّجه كل واحد منها إلى منطقة محددة فيها[3]، لتتحد هذه الجيوش الأربعة فيما بعد تحت راية خالد بن الوليد ﷺ وتخوض تحت لوائه معركة اليرموك سنة 13هـ/634م ضد جيش البيزنطيين الذي فاقهم عدداً بستة أضعاف، وعلى الرغم من ذلك فقد كان النصر حليف المسلمين[4]،

---

[1] أسامة بن زيد: مولى رسول الله ﷺ وهو صحابي جليل ابن الصحابي زيد بن حارثة ﷺ، وُلد في مكة المكرمة ونشأ فيها ثم هاجر إلى المدينة المنورة بعمر ثماني سنوات، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى لُقب بحِبِّ رسول الله ﷺ، وقد أخرجه أبو بكر الصّدّيق ﷺ مطلع خلافته بسرية إلى بلاد الشام، وتُوفي سنة 59هـ/678م. ابن سعد. (2001م)، ج4 ص:57؛ ابن حبان. (1973م)، ج3 ص:3؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج1 ص:194، 195؛ سبط ابن الجوزي. (2013)، ج7 ص:446؛ المزي. (1983م)، ج2 ص:338.

[2] ابن سعد. (2001م)، ج2 ص:171؛ البلاذري. (1987م)، ص:31-133؛ الطبري. (1967م)، ج3 ص:225؛ ابن بطريق. (1905م)، ج2 ص:9؛ ابن الأثير. (2012)، ج2 ص:145، 201؛ سبط ابن الجوزي. (2013)، ج4 ص:226، 227؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:440، 441.

Browning. (1980), p:11.

[3] البسوي. (1989م)، ج3 ص:369؛ البلاذري. (1987م)، ص:149، 337؛ الطبري. (1967م)، ج3 ص:394؛ ابن الأثير. (2012)، ج2 ص:249، 250؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:542.

[4] الذهبي. (1990م). ج3 ص:139، 140.

لتمهد هذه المعركة الطريق لتحرير باقي بلاد الشام وطرد البيزنطيين منها إلى أن شارفوا على دخول عاصمتهم القسطنطينية خلال مطلع العصر الأموي.[1]

أما على جبهة العراق فقد سار الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-644م) على خطى سلفه أبي بكر الصّدّيق ﷺ، وتابع بإرسال الجيوش العربية الإسلامية نحو العراق وفارس منتدباً المسلمين من كل حدب وصوب للانضمام إليها حتى أنه سمح لمن سبق له الردة بالمشاركة -إذ كان الخليفة أبي بكر الصّدّيق ﷺ قد منعهم من الانضمام في جيوش الفتح-[2] وذلك من أجل نشر الدعوة الإسلامية فيهما وتخليصهما من حكم الفرس الساسانيين والبيزنطيين الظالم، فكانت معركة القادسية 14هـ/635م التي استمرت ثلاثة أيام بلياليها وكان النصر حليف المسلمين فيها رغم التفاوت الكبير في تعداد الجيوش،[3] ففتحت هذه المعركة أبواب فارس أمام المسلمين إذ تقدموا في أراضيها محرزين الانتصارات المتتالية على الفرس الساسانيين حتى قضوا عليهم تماماً إثر معركة نهاوند[4] التي جرت بينهما سنة 21هـ/642م.[5]

---

[1] الواقدي. (د.ت)، ج1 ص:195، 196؛ البلاذري. (1987م)، ص:184؛ ابن عساكر. (1995م). ج16 ص:216؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:574.

[2] الكوفي. (1991م)، ج1 ص:138؛ ابن الجوزي. (1924م)، ص:91؛ الفقي. (د.ت)، ص:85.

[3] البلاذري. (1987م)، ص:360، 361، ابن الأثير. (2012)، ج2 ص:302، 311؛ الذهبي. (1990م)، ج3 ص:142- 144؛ شاكر. (1975م)، ص:38.

[4] نهاوند: مدينة من أهم المدن في فارس وتقع قرب همذان، تمتاز بعمارتها الجميلة وحصنها الذي يتوسطها، فيها قبور كثير من الفاتحين العرب المسلمين الذي استُشهدوا على أرضها حيث فتحها العرب المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وهذا فضلاً عن طبيعتها الخلابة ومائها العذب. الحمودي. (د.ت)، ج5 ص:313، 314.

[5] البلاذري. (1987م)، ص:424، 425؛ ابن بطريق. (1905م)، ج2 ص:20؛ ابن الأثير. (2012)، ج2 ص:390-396؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:304-307؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:630، 631؛ العسلي. (1988م)، ج1 ص:331.

يُستنتج مما سلف أن مشاركة القبائل التي سبق لها الردة في الفتوحات العربية الإسلامية تؤكد أن ردّتها السالفة لم تكن إنكاراً للدعوة الإسلامية أو تكذيباً لها، بل كانت رغبة في التخلص من أي قيود سياسية وتبعية لم تعتد عليها سالفاً، وبالتالي فإن محاربة أبي بكر الصديق ﷺ للقبائل المرتدة قد رسخت فكرة الدولة لديهم وعززت سلطتها وأثبتت قوتها وهيبتها بينهم، كما أنه بإرسال سرية أسامة بن زيد ﷺ لمواجهة قوى تابعة لبيزنطة أكد على قوة الدولة أمام بيزنطة وعمالها وأمام هذه القبائل مرة أخرى، فخضعت وعادت إلى طاعة الدولة ولم تخرج لاحقاً أبداً بل وشاركت في جيوش الفتح.

يُستدل مما سلف أنه لا انتصار ولا استمرارية لأي دولة دون تحقيق استقرارها الداخلي أولاً وضمان تماسك أفراد شعبها ثانياً والذي سيصد بدوره المخاطر التي ستحدق بها من الخارج وتهدد وجودها، بدليل أن الفتوحات العربية الإسلامية لم تبدأ إلى بعد القضاء على حركة الردة وضمان عودة الاستقرار الداخلي للدولة العربية الإسلامية.

2. أسس ومظاهر الحضارة العربية والإسلامية:

أ. ملامح من حضارة العرب قبل الاسلام:

إن نشوء الدولة العربية الإسلامية وتوسعها خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي حتّم عليها الاحتكاك والتأُّثر بدول أخرى والاستفادة منها ما تحتاجه من مقومات لنهوضها، ولكنَّها بلورت ما استقته منهم بما يتناسب مع قيمها ومبادئها، إلا أن تأثُّر العرب المسلمين بحضارات الأمم المجاورة لهم لا يعني جهلهم وتخلّفهم، فقد كان للعرب قبل ظهور الإسلام دول كثيرة وحضارات مزدهرة، حيث شيَّدوا المدن والقلاع والحصون والمراكز التجارية، وعرفوا النظام السياسي والوظائف الدينية والمدنية مما يدل على ما كان لديهم من حياة الاستقرار والمجتمع المنظم، كما أنشؤوا المعابد وفرضوا القوانين فيها كمنع قطع الأشجار والقتل والصيد في

حُرُمها، بالإضافة إلى إتقانهم للفنون كفن النحت إذ نحتوا التماثيل لآلهتهم من الحجارة أو الرخام أو المعادن الثمينة.[1]

وذلك إلى جانب تطورهم الثقافي المتمثل في تمكنهم من الكتابة، فقد زُخرفت أختامهم ونقودهم بنقوش وكتابات بالخط المسند وقد حُفرت بعناية ودقة، وكذلك اهتمامهم بالعلوم والعمران الذي بدا جلياً في تشييد القصور[2] والمعابد[3] وإقامة السدود[4] وكذلك حفر القنوات لجر المياه إلى الحقول[5]، وحفر الآبار لاستخراج مياه الشرب.[6]

وعلى الصعيد الاقتصادي فقد كان لموقع شبه الجزيرة العربية أهمية كبيرة في جعلها ملتقىً للطرق العالمية البرية والبحرية بين الشرق والغرب، فقد ازدهرت في شمالها وجنوبها ووسطها الغربي مراكز للتجارة

---

[1] برو. (1996م)، ص:93؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:38؛ معروف. (1969م): ص:137، 142، 144، 147؛ مهران، (د.ت). ص:12، 13.

[2] بنى العرب قبل الإسلام القصور وبرعوا في هندستها كقصور اليمن كقصر غمدان وقصور الغساسنة في بصرى وقصور المناذرة في الحيرة ومنها قصر الخورنق والسدير. معروف. (1969م)، ص:143.

[3] منها معبد بعل في تدمر الذي بُني في أوائل القرن الأول الميلادي. طقوش. (2009م–ب). ص:382.

[4] ومن أهم السدود تلك التي بناها الأنباط في وادي خرنوب ووادي رمليا ووادي أبيض في إقليم صحراء النقب، وسدود خيبر والطائف في شمال الحجاز وسد مأرب في اليمن. معروف. (1969م)، ص: 147؛ معطي. (2003م)، ص:75، 76.

[5] وُجد هذا النظام في عُمان جنوب شرق شبه الجزيرة العربية في بادئ الأمر، ثم انتشر في جميع أنحائها. طقوش. (2009م–ب). ص:44.

[6] حظيت الآبار بالقدسية عند العرب لأنها تواجدت بندرة في الصحراء لتزويد الناس بالماء. معروف. (1969م)، ص: 146.

الداخلية والدولية كمكة والطائف[1] ومأرب[2] وصنعاء ونجران[3] وصِرْواح[4] وظَفار[5]، كما تميزت بعض مناطقها بالازدهار التجاري الكبير لمرور طريقَيْن من طرق التجارة العالمية عبر أراضيها، فتتم فيها مبادلات تجارية مهمة ما بين عرب شبه الجزيرة العربية ولا سيما اليمنيين وسكان الدول المجاورة لهم في الشمال والجنوب كدولة الغساسنة ودولة المناذرة والحبشة واليمن وفارس، وما بينهم أيضاً وبين شمالي إفريقية والهند عن طريق اليمن، وذلك باستخدام العملة الفارسية الساسانية أو البيزنطية، أما من الناحية البحرية فقد جابت سفن العرب ولا سيما سفن اليمنيين التجارية البحار بين الهند وشبه الجزيرة العربية ومصر والشواطئ الشامية، محملة بالأبنوس[6] والبخور والعود والعنبر[7] والعطور والبهارات والجلود والزبيب والصمغ والزيت وغيرها من المنتجات المختلفة،[8] وذلك إلى جانب براعتهم في بعض الصناعات كصناعة السيوف والدروع والأقمشة والأختام والخزف

---

[1] الطائف: مدينة صغيرة تقع بالقرب من مكة المكرمة جنوبي غربي شبه الجزيرة العربية، وسكنتها قبيلة ثقيف، وتمتاز بطقسها الجميل وثمارها ومياهها العذبة. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:8، 9، مادة الطائف؛ الحميري. (1984م)، ص:379؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:119.

[2] مأرب: مدينة في اليمن بالقرب من صنعاء، وهي موطن سبأ وبها عرش الملكة بلقيس. الحموي. (د.ت)، ج5 ص:34، 35، مادة مأرب؛ الحميري. (1984م)، ص:515.

[3] نجران: إحدى مدن اليمن جنوبي غربي شبه الجزيرة العربية. الحموي. (د.ت)، ج5 ص: 266، مادة نجران؛ الحميري. (1984م)، ص:573.

[4] صِرْواح: مدينة باليمن قريبة من صنعاء وعُرفت بفخامة بنائها، وكان ملكها صاحب سد مأرب عمرو بن عامر الأزدي. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:402، مادة صرواح؛ الحميري. (1984م)، ص:357؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:189.

[5] ظَفار: مدينة في اليمن وكانت مركز مملكة حِمير. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:60، مادة ظفار؛ الحميري. (1984م)، ص:403.

[6] الأبنوس: خشب أسود صلب جداً تُصنع منه القِصاع والأواني. معلوف. (1969م)، ص:411.

[7] العنبر: كلمة فارسية تدل على عطر شهير، وهو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة إلا إذا سُحقت أو أُحرقت. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:393.

[8] الألوسي. (2009م)، ج3 ص:387؛ بطاينة. (1987م)، ج2 ص:29، 30؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:83، 86؛ العدوي. (1994م)، ص:26؛ معروف. (1969م)، ص:153، 154؛ معطي. (2003م)، ص:187.

والحُلي المصنوع من المعادن الثمينة كالذهب والفضة، وكذلك البرود[1] اليمانية والبسط وبعض الحرف اليدوية كالغزل والحياكة والصباغة والحدادة والنجارة، وقد برعوا في الزراعة كزراعة النخيل في الحجاز والقمح في اليمن على الرغم من ندرة الموارد المائية في شبه الجزيرة العربية فاعتمدت في المقام الأول على مياه الري إلا في المناطق التي تغزر فيها الأمطار، كما استخدموا المحراث الخشبي التي تجرُّه الحيوانات في حراثة الأرض وزراعتها، واستعملوا المعول[2] والفأس[3] والمِنجل[4] في الزراعة والحصاد، وقد ازدهرت لديهم زراعة النخيل والكروم والفواكه والحبوب والخضراوات.[5]

أما من الناحية الاجتماعية فقد شكلتِ القبيلةُ الوحدةَ الاجتماعيةَ التي تكوَّن منها النظام الاجتماعي العربي، حيث انحدر العرب من عدة قبائل، وترأس كل واحدة منها الجد الأعلى لها أو ما دُعي آنذاك بشيخ القبيلة ويرتبط أفرادها برابطة القرابة والدم، وتميزوا بأخلاقهم الحميدة التي لطالما كانت مدعاة للفخر والتفاخر عند العرب وفيما بينهم وبين غيرهم من الأقوام، كالمروءة والشجاعة والكرم والتَّوق إلى الحرية وحماية الجوار والدفاع عن العِرض وغيرها كثير، إلا أنه قد أُخذت عليهم بعض المثالب التي تأصلت بهم وباتت من طباعهم

---

[1] البُرد: جمع بُرْدَة قماش صوفي له شكل طولي يلبسه الناس في النهار ويستعملونه كغطاء لهم في الليل. دوزي. (2012م)، ص:58، عمارة. (1993م)، ص:87.

[2] المِعول: جمعها معاوِل وهي أداة لحفر الأرض. الأزهري. (1975م) ج3 ص:198؛ الرازي. (1986م)، ص:194؛ معلوف. (1969م)، ص:539.

[3] الفأس: آلة لقطع الخشب وغيره. الفيروز أبادي. (2005م)، ص:1216؛ الزبيدي. (1998م)، ج16 ص:317؛ معلوف. (1969م)، ص:566.

[4] المِنجل: آلة حديدية عكفاء يقص بها الزرع. الرازي. (1986م)، ص:270؛ الزبيدي. (1998م)، ج30 ص:460؛ معلوف. (1969م)، ص:792.

[5] بطاينة. (1987م)، ج2 ص:40؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:57؛ العدوي. (1994م)، ص:30؛ معروف. (1969م)، ص:153، 154؛ معطي. (2003م)، ص:73، 109، 146، 150؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:58.

وأساءت إليهم، كسعيهم للأخذ بالثأر وتعصبهم لقبيلتهم وسرعة غضبهم[1]، فسرعان ما كانت تشتعل الحروب بينهم لسنين طوال نتيجة خلافاتهم حول مسائل بسيطة، فتُزهق الأرواح وتُرهق الدماء ويقع الكثير من الناس في الأسر، وتلك الوقائع هي ما سُميت فيما بعد (بأيام العرب)، وهذا ما أسفر عن ظهور نظام الأحلاف حيث لجأ البعض سواء كقبيلة أو كأفراد إلى قبائل أخرى أو لأفراد منها كي تحميه وتدافع عنه، وقد يكون الحلف مؤقتاً أو دائماً، وكان له صبغة قدسية بعدما يتم القسَم على الالتزام به، وقد اختلف الحلفاء عن العبيد الذين تم شراؤهم أو كانوا من أسرى الحروب والذين استُخدموا في الأعمال اليدوية والمنزلية ومُنعوا من الاشتراك في الحروب.[2]

أما عن نساء العرب فقد كان لهن مكانة رفيعة ودور مؤثر في المجتمع وتمتعْنَ بحقوق لطالما حُرمت منها النساء في مجتمعات أخرى كحرية إبداء الرأي وحرية اختيار الزوج، وحق العمل في كافة الميادين السياسية والتجارية والأدبية، فضلاً عن اشتراكها في المعارك وميادين القتال بما يناسب قدراتها، كما كان لها حق في إجارة مَن يستجير بها، وتكريماً للمرأة جُعلت حمايتها وتأمين احتياجاتها والدفاع عنها من مهمات الرجال عند العرب، إلا أن بعض قبائلهم لجأت إلى وأد الإناث لأسباب مختلفة.[3]

---

[1] بطاينة. (1987م)، ج2 ص:24، 25؛ طقوش. (2009–ب)، ص:160؛ سيديو. (2017م)، ص:23، 24؛ العدوي. (1994م)، ص:23؛ العلي. (2000م)، ص:169؛ فروخ. (1966م)، ص:66، 68.

[2] الآغا. (2014م)، ص:94؛ برو. (1996م)، ص:266؛ طقوش. (2009–ب)، ص:160؛ العلي. (2000م)، ص:169–172، 174؛ العدوي. (1994م)، ص:24، 30؛ فروخ. (1966م)، ص:71.

[3] كره بعض العرب قبل الإسلام الإناث فلجأوا إلى دفنها حية على اختلاف أسباب ذلك ما بين الغيرة عليهن والخوف من الفضيحة في حال كبرن وتعرضن للسبي على يد الغزاة، أو بسبب الفقر ومخافة حدوثه، أو بسبب التشاؤم منها في حال وُلدت بعاهة غير مألوفة لديهم أو إيفاءً لنذر وإرضاء لإحدى آلهتهم، ولم تكن هذه العادة شائعة بين جميع العرب بل انتشرت بين بعض قبائلهم كقبيلة تميم وقيس وبكر وقريش وغيرها. الآغا. (2014م)، ص:94؛ داغر. (1919م)، ص:105؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:64، 65؛ طقوش. (2009)، ص:175، 188، 189؛ العلي. (2000م)، ص:171، 172، 175.

ويُستدل مما سلف أن العرب قبل مجيء الإسلام لم يكونوا أقواماً متوحشةً جاهلة لا تعرف عن الأخلاق سوى قشورها بل كانوا قوماً منظمين ضمن وحدات اجتماعية لها عاداتها وتقاليدها وأخلاقها الرفيعة فضلاً عن علومهم وثقافتهم.

ب. أسس الحضارة العربية الإسلامية:

تشكلت نواة الدولة العربية الإسلامية وحضارتها على يد رسول الإسلام محمد ﷺ وقويت دعائمها وثبتت أركانها في عهود خلفائه الكرام ﷺ، وعلى الرغم مما اقتبسته الدولة العربية الإسلامية من الأمم الأخرى من عناصر حضارية لتطويرها إلا أنها حافظت على أسسها الثابتة والمتمثلة أولاً في القرآن الكريم، بما تضمنه من أحكام وشرائع نظمت المجتمع وحققت فيه الأمن والعدل والمساواة وضمنت لأفراده حرية الرأي والعقيدة وأكدت على حقوق المرأة وأنصفتها، وقد ظلت هذه الأحكام تتدرج حتى اكتملت في نهاية عصر الرسولﷺ 11هـ/632م، وبالتالي فإن القرآن الكريم لم يكن يوماً كتاباً دينياً عقائدياً فقط بل هو دستور الإسلام والمسلمين والمصدر الأول لأحكامهم والمورد الأساسي لحضارتهم.[1]

أما ما لم ينزل به قرآن من قضايا فقد كانت سيرة رسول الله ﷺ هي المرجع فيه، فكان قوله ﷺ وفعله وصمته سنّة لمن بعده، وفي اتّباعه طاعة لله ﷻ إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقاب﴾[2] وهكذا ينال مَن مشى على خطاه الأجر والثواب وحقق ما هو أصلح لدنياه وآخرته، حيث عمل رسول الله ﷺ خلال المدة التي قضاها في المدينة المنورة على التأكيد على ضرورة اتباع القوانين التي تنم المجتمع وتحقق الأمن والعدالة وفق ما ورد بآيات وسور القرآن الكريم، وبالتالي فإن تنظيم الدولة في عصر الرسول ﷺ كان مختلفاً عما سلفه وتلاه فجزء كبير من هذا التنظيم كان يتم بإلهام

---

[1] أبو خليل. (1994م)، ص:207؛ الرحيم. (1995م)، ص:65؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:26؛ معروف. (1969م)، ص:244؛ ضية. (2016)، ص:12.

[2] [الحشر، الآية: 7].

ووحي لرسول الله ﷺ والجزء المتبقي صادر عن شخصيته الاستثنائية، أما الأساس الثالث للحضارة العربية الإسلامية هو العروبة فالقرآن عربي ورسول الله ﷺ عربي وأمته عربية وعلى يدهم دخل كثير من الأقوام في الإسلام وبالتالي فإن الاختلاط الكبير الذي حصل بينهم وبين العرب ولّد حضارة خصبة وثرية.[1]

وانطلاقاً من كون رسول الله ﷺ رسولاً للأمّة كلها فقد وقع على عاتقه وضع القوانين وتنفيذ الأحكام اعتماداً على التشريع القرآني وما يتلقاه من وحي إلهي، كما استعان بمشورة أصحابه ﷺ في اتخاذ قراراته السياسية والعسكرية وغيرها وطرق تنفيذها كاستشارته إياهم حول مصير أسرى غزوة بدر[2] سنة 2هـ/624م، وهكذا وضع رسول الله ﷺ الهيكل العام للدولة العربية الإسلامية عقب وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، فأسس بادئ ذي بدء مسجد قباء[3] ثم بنى مسجده الشريف في المدينة المنورة مع صحابته الكرام ﷺ متخذاً إياه مركزاً للدولة الناشئة، فأخرج منه السرايا وأرسل الرسل إلى الولاة والملوك والأمراء، واستقبل فيه الوفود القادمة من أصقاع الأرض إليه، كما فصل من داخله في قضايا الناس ليفقّههم ويعلّمهم أمور دينهم، كما نظم

---

[1] أبو خليل. (1994م)، ص:211؛ الرحيم. (1995م)، ص:66؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:49؛ ضية. (2016)، ص:12.

[2] غزوة بدر: هي أول التحام عسكري جدي بين المسلمين وقريش، إذ سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان صخر بن حرب قادم من بلاد الشام على رأس قافلة تجارية ضخمة لقريش فعقد لواءً لاعتراضها، ولما علم أبو سفيان بنيّة المسلمين بعث إلى قريش أن المسلمين قد اعترضوا تجارتهم، بينما غيّر هو طريقه ووصل إلى مكة دون أن يمسس القافلة أي سوء، إلا أن قريش كانت قد خرجت بتسعمائة وخمسين رجلاً والتقت مع المسلمين الذين بلغ عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فقط عند عين ماء يقال لها بدر بين مكة والمدينة المنورة، وعلى الرغم من عدم توازن القوى إلا أن النصر كان حليف المسلمين، وقد كان لهذه الغزوة أهمية كبرى إذ أكد فيها المسلمون درجة تمسكهم بعقيدتهم. المقدسي. (1899م)، ج4 ص:187، 188؛ الحموي. (د.ت)، ج1 ص:357، 358، مادة بدر. ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:72، 73؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:91، 92.

[3] قُباء: اسم لبئر ماء في قرية قريبة من المدينة المنورة، بنى فيها أوائل المهاجرين من المسلمين بمساعدة الأنصار مسجداً يصلون فيه صلاتهم، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة صلى بالمسلمين فيه. الحموي. (د.ت)، ج4 ص302، مادة قُبا.

العلاقات الاجتماعية والتعاملات الاقتصادية ووضع التنظيم الإداري وغير ذلك من سائر مجالات الحياة الإنسانية.[1]

ج. المظاهر الحضارية في الدولة العربية الإسلامية:

1. المظاهر الإدارية:

غرس رسول الله ﷺ نواة الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، مشكلاً لها حكومة صالحة ومناسبة للمجتمع العربي الإسلامي مهما اتسع نطاقه وكثرت وتنوعت عناصره، وقد ترأس بنفسه السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية فيها انطلاقاً من كونه رسولاً لله ومبشراً بالدين الإسلامي وواضعاً لشرائعه، واتخذ إلى جانبه وزيران وهما أبو بكر الصّدّيق ﷺ وعمر بن الخطاب[2]ﷺ، ومع اتساع الدولة العربية الإسلامية وتشعب أمورها استعان رسول الله ﷺ بعدد من الرجال وأطلق عليهم لقب العرفاء أو النقباء[3] ليستشيرهم في قضايا الدولة التي لم ينزل بها وحي ويرى رأيهم فيها، فكانوا بمثابة مجلساً للشورى، وذلك امتثالاً لقوله ﷻ:

---

[1] الطبري. (1967م)، ج2 ص:474؛ المسعودي. (د.ت)، ص:225؛ حركات. (1989م)، ص:242؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:22؛ الهاشمي. (2002م)، ص:29.

[2] الخزاعي. (1985م)، ص:52.

[3] والنقباء هم: أسيد بن خضير، مالك بن مالك بن التيهان، سعد بن خيثمة، أسعد بن زُرارة، عبد الله بن رواحة، سعد بن الربيع، خارجة بن زيد، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، عبد الله بن عمرو، البراء بن معرور، رافع بن مالك، عبادة بن زيد، وسُموا بالنقباء لأنهم ضمنوا إسلام قومهم والنقيب هو الضامن. ابن حبيب. (د.ت)، ص:268، 269؛ ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:71؛ الخزاعي. (1985م)، ص:259؛ علي. (2017م)، ص:411، 412

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1]، فها هو رسول الله ﷺ يستشير أصحابه ﷺ حول قريش[2] الذين نزلوا بالقرب من بدر فأشاروا عليه بقتالهم داعمين له بالمال والأرواح.[3]

بالإضافة إلى حافظ السر وهو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان[4]ﷺ الذي ائتمنه رسول الله ﷺ على أسراره، وهذا إلى جانب القائم الخاص الذي وكَّله بحماية خاتَمه الشريف، كما وظَّف بعضاً من الصحابة ﷺ في كتابة الرسائل بينه وبين الملوك ومنهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن الأرقم[5] ومعاوية

---

[1] [آل عمران، الآية: 159].

[2] قريش: مجموعة من القبائل التي تُنسب إما إلى النُضر بن كنانة والذي سُمي بالقرشيّ لتقرّشه أي ارتفاع همته وقيل لكرمه، أو تُنسب لحفيده فِهر بن مالك بن النضر، فمن لم يكن من أولاده لا يعدُّ قرشياً، ومن نسله قصي الذي جمع شمل قبائل قريش وترأسها وبنى أول دار في مكة وهي دار الندوة، ومن أبنائه هاشم واسمه عمرو ولكن سُمي هاشماً لكرمه إذ كان يهشّم الخبز ويضعه على المرق واللحم ويوزعه على فقراء مكة، وهو أول مَن خرج في رحلتَي الصيف والشتاء إلى بلاد الشام والحبشة بعدما كانت تجارة قريش لا تخرج عن مكة، ومن أولاده عبد المطلب وهو شيبة الذي حفر بئر زمزم وساد مكة وقريش وهو جد رسول الله ﷺ. اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:290، 292، 297، 303. علي. (1993م)، ج1 ص:400-402.

[3] ابن حبيب. (د.ت)، ص:268؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:16؛ ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:71؛ السيوطي، (2003م)، ص:38؛ الآغا. (2014م)، ص:15؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:22؛ العمري. (د.ت)، ص:97؛ فروخ. (1966م)، ص:128، 157؛ علي. (2017م)، ص:411، 412.

[4] حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حُسيل وحُسيل هو اليمان وسُمي بذلك لأنه حالف اليمانية، وهو صحابي جليل أسرَّ إليه رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الاثني عشر في ليلة العقبة بتبوك، وكان يُلقب بصاحب سرِّ رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً سنة 2هـ/624م بل شهد غزوة أحد سنة 3هـ/624م والخندق 5هـ/626م وباقي الغزوات مع رسول الله ﷺ وعمل والياً على المدائن في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وتُوفي سنة 36هـ/656م. ابن سعد. (2001م)، ج4 ص:250؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:263؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:138؛ المزي. (1983م)، ج5 ص:496، 497.

[5] عبد الله بن الأرقم: صحابي أسلم يوم فتح مكة سنة 8هـ/629م، عمل كاتباً لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصّدّيق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﷺ وعمل على بيت المال في عهد عمر بن الخطاب ﷺ. ابن سعد. (2001م)، ج6 ص:73؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:381؛ المزي. (1983م)، ج14 ص:301.

بن أبي سفيانﷺ، ومنهم من عملوا كُتّاباً ومترجمين كالصحابي زيد بن ثابت[1]ﷺ، وقد اختص نائباً ينوب عنه في حال غيابه عن المدينة لتسيير شؤونها.[2]

وأرسل رسول الله ﷺ إلى المناطق التي اعتنق أهلها الإسلام عمالاً عُرفوا بالتقوى والعدل والسيرة الحسنة والعلم والصلاح وعيَّنهم كولاة عليها ووكَّلهم بإدارة شؤونها وتعليم الناس أمور دينهم والقضاء فيما شكل بينهم وقد خصص لهم رواتباً تكفيهم عن أي عمل آخر ومنهم أبو موسى الأشعري[3] ﷺ الذي أرسله إلى مأرب، وعدي بن حاتم[4] ﷺ على طيء، فشكَّلوا ما يمكن عدُّه إدارة مركزية وجهازاً تنفيذياً للدولة، إلا أن هذه الدولة لم تأخذ شكلها النهائي على عهد رسول الله ﷺ بل تبلورت تدريجياً على عهود خلفائه من الصحابة الكرام ﷺ.[5]

---

[1] زيد بن ثابت: صحابي جليل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم تعلم اللغة السريانية بأمر منه كي لا يطَّلع أحد على فحوى رسائلهم إليه فتعلمها في سبع عشرة ليلة، وقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعلم الأمة بالفرائض وتُوفي سنة 48هـ/668م. ابن سعد، (2001م)، ج2 ص:309. ابن قتيبة. (1969)، ص:260؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:46؛ المزي. (1983م)، ج10 ص:25.

[2] ابن الجوزي. (1992م)، ج5 ص:105؛ ابن كثير. (1997م)، ج7 ص:184؛ الخزاعي. (1985م)، ص:61، 181، 191، 218؛ الآغا. (2014م)، ص:16؛ أبو خليل. (1994م)، ص:222؛ الضحيان. (1991م)، ص:104؛ الهاشمي. (2002م)، ص:21.

[3] أبو موسى الأشعري: صحابي جليل اسمه عبد الله بن قيس، أتى من اليمن إلى مكة المكرمة ليسلم بين يدي رسول الله ﷺ ثم عاد إلى بلاده يدعو قومه للإسلام حتى جاء بهم إلى رسول الله ﷺ، وأرسله رسول الله ﷺ عاملاً له على اليمن وعدن وعينه عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفة والبصرة، وولي الكوفة في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وكان ممن عُرف بصوته الحسن في تلاوة القرآن الكريم، تُوفي سنة 53هـ/672م. ابن سعد. (2001م)، ج4 ص:98، 100؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:266، 267؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:979؛ المزي. (1983م)، ج15 ص:447، 449؛ ابن العماد. (1986م)، ج1 ص:235.

[4] عدي بن حاتم: صحابي كريم وهو ابن حاتم الطائي، ويُعرف بالجواد ابن الجواد، وكان قد هرب مع عائلته بعد علمه بقدوم أصحاب رسول الله ﷺ إلى جبل طيء إذ كانوا على المسيحية ولكنه أسلم سنة 7هـ/628م. ابن سعد. (2001م)، ج6 ص:214؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:313، 314 ابن عبد البر. (2002م)، ص:577؛ المزي. (1983م)، ج19 ص:525.

[5] الماوردي. (1989م)، ص:95؛ الذهبي. (1990م)، ج1 ص:691؛ اليافعي. (1993م)، ج1 ص:98؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:428؛ السيوطي، (2003م)، ص:38؛ ابن العماد. (1986م)، ج1 ص:235؛ الآغا. (2014م)، ص:17، حركات. (1989م)، ص:241، 245، 250؛ أبو خليل. (1994م)، ص:222؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:22؛ الهاشمي. (2002م)، ص:29، 30.

أما عن القضاء على وجه الخصوص فلم يشهد المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام نظاماً قضائياً متكاملاً، لذلك تولاه رسول الله ﷺ بنفسه بادئ الأمر وجعل الفصل فيما شكل عليهم أو بينهم يعود إليه ﷺ، وكان لزاماً على المسلمين أن يقرّوا بحكمه امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[1]، فقضى بما نزل عليه من الوحي واجتهد بما لم ينزل به قرآن، على أن تكون طرق الإثبات عند المتَّهَم الدليل واليمين وشهادة الشهود، فقد قال رسول الله ﷺ: "**البَيّنة على المُدَّعي واليمين على المُدَّعى عليه**"[2]، وتكون إقامة الحد تبعاً لذلك، كما نظم العلاقات بين سكان المدينة من المسلمين من مهاجرين وأنصار وبين اليهود من خلال كتابة وثيقة عُدَّت دستوراً نظمت جميع نواحي الحياة للدولة العربية الإسلامية الجديدة بجميع طوائفها وضبطت الخلافات التي كانت تؤدي إلى حروب وصراعات بين سكان المدينة فيما بينهم، فأصبح رسول الله ﷺ هو المرجع والقاضي في جميع ما قد يطرأ من مشاكل كما غدت أحكامه مع ما يُوحى إليه أساساً لأحكام مَن بعثهم من قضاة إلى الأقاليم، إذ أن اتساع نطاق الدولة العربية الإسلامية دفعت رسول الله ﷺ إلى إرسال قضاة إلى البلدان الأخرى مثل معاذ بن جبل[3] ﷺ الذي أرسله إلى اليمن للفصل بين الناس

---

[1] [النساء، الآية: 65].

[2] الترمذي، (2000م)، ج2 ص:71، رقم الحديث:1341.

[3] معاذ بن جبل: شهد بدراً سنة 2هـ/624م وجميع الوقائع مع رسول الله ﷺ، وهو مَن قال فيه رسول الله ﷺ أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، ومات في طاعون عمواس في بلاد الشام سنة 18هـ/639م خلال خلافة عمر بن الخطاب ﷺ عن عمر يناهز ثمانية وثلاثين عاماً. ابن سعد. (2001م)، ج3 ص:540، 542، 546؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:254؛ المزي. (1983م)، ج28 ص: 106، 107؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:651.

في خلافاتهم بما نزل من القرآن وورد في السنّة الشريفة كما منحهم حق اجتهاد رأيهم فيما لم يرِد به قرآن أو سنّة.[1]

وضمن نطاق القضاء تدخل الحسبة التي تولاها أيضاً رسول الله ﷺ بنفسه أولاً وهي الفصل بين الناس في القضايا التي تحتاج إلى السرعة والشدة ولا تتطلب حلف اليمين أو شهادة الشهود، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المشاكل اليومية، كالتجاوزات التي تتم في الأسواق وبين التجار وأرباب الحِرف من غش وغيره، فالرأي فيها لا خلاف عليه وعقوبتها التوبيخ والتشهير، ومَن يتولى هذه المهمة يدعى بالمحتسِب ويجب عند اختياره مراعاة بعض الشروط كأن يكون مسلماً حراً، وتقياً عادلاً، وذا رأي وصرامة، وخشونة في الدين وعارف بأحكام الشريعة، وبعيد عن الرياء وغيرها من الأخلاق الدنيا[2]، ولم تقتصر مزاولة الحسبة على الرجال فقط إذ شاركت النساء أيضاً بهذا العمل خلال عهد رسول الله ﷺ ومنهم سمراءَ بنتَ نُهَيْكٍ الأسَدِيَّة[3] التي كانت تمر بالأسواق وتأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر بسوط معها،[4] ولحفظ الأمن عيّن رسول

---

[1] البسوي. (1989م)، ج2 ص:637، 833؛ أبو زرعة. (1996م)، ص:50؛ الخزاعي. (1985م)، ص:270، 272؛ حركات. (1989م)، ص:242؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:23؛ خماش. (1987م)، ص:249؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:20؛ الطريفي. (1994م)، ص:71؛ فروخ. (1966م)، ص: 128؛ الهاشمي. (2002م)، ص:56.

[2] الماوردي. (1989م)، ص:315؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج4 ص:365؛ الخزاعي. (1985م)، ص:304؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:52، 53؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:36؛ الهاشمي. (2002م)، ص:67.

[3] سمراء بنت نُهَيْكٍ الأسَدِيَّة: صحابية أدركت رسول الله ﷺ الذي كلّفها بالحسبة فكانت تجول الأسواق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعاقب المخطئ بسوط كانت تحمله. ابن منده. (د.ت)، ج2 ص:517؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:914؛ المقريزي. (1999م)، ج8 ص:394.

[4] المقريزي. (1999م)، ج8 ص:394؛ الرحيم. (1995م)، ص:373؛ الطريفي. (1994م)، ص:544؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:36، 37، 38.

الله ﷺ رجالاً يعسّون[1] في طرق المدينة ويحرسون الناس من السرقات والاعتداءات التي كانت تحصل من الأعراب من خارج المدينة ويلاحقون أهل الفساد وكان الصحابي عمر بن الخطاب ﷺ وعبد الله بن مسعود[2] ﷺ ممن عينهم الخليفة أبي بكر الصّدّيق ﷺ لهذه المهمة بينما تولى عمر بن الخطاب بنفسه مسألة العسس في الليل خلال عهده.[3]

وقد حافظ الخلفاء الراشدون ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ على اتباع نهجه النبوي في إدارة الدولة العربية الإسلامية وتثبيت دعائمها ولا سيما في عهد الخليفة أبي بكر الصّدّيق ﷺ الذي اتسم عهده بالاتباع المطلق له بسبب انشغاله في تحقيق الأمن الداخلي والخارجي للدولة وسعيه للدفاع عنها وإعادة الاستقرار إليها، بالإضافة إلى قِصَر عهده الذي منعه من إجراء أي تغيير إداري في هيكلية الدولة العربية الإسلامية، ومع ذلك فقد حدد أبو بكر الصّدّيق ﷺ من خلال أحد خطاباته للمسلمين أُسس الخلافة وصلاحيات الخليفة بقوله ﷺ: "**أما بعدُ فإنّي قد وُلِيتُ أمركم ولستُ بخيركم فأعينوني، وإن زغتُ فقوّموني ..... فأطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه فإذا عصيتُ الله ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم**"[4] مما يعني أن الخليفة عند المسلمين يجب أن يكون رجلٌ يختاره المسلمون ممن يثقون بدينه وعدالته لإدارة أمورهم تبعاً لدين الله وشريعته، وعلى الرغم من ذلك

---

[1] العسس: الطواف في الليل لتتبع اللصوص وطلب أهل الفساد ومن يُخشى شرُّهم، وكان نظام العسس أساساً لنظام الشرطة الذي تطور وتبلور في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ. ابن سعد. (2001م)، ج2 ص:310؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:264؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:435؛ الصلابي. (2005م)، ص:159؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:165؛ معلوف. (1969م)، ص:537؛ الهاشمي. (2002م)، ص:77، 78.

[2] عبد الله بن مسعود: من كبار الصحابة ومن أسبقهم إلى الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة المكرمة، وشهد بدراً وصلح الحديبية، وهاجر الهجرتَيْن الأولى إلى أرض الحبشة والثانية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. ابن عبد البر. (2002م)، ص:407؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج3 ص:382؛ العسقلاني. (1995م)، ج4 ص:199.

[3] الخزاعي. (1985م)، ص:311- 313؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:165؛ الهاشمي. (2002م)، ص:77، 78.

[4] المقدسي. (1899م)، ج5 ص:67؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:415.

فهو عندهم لا يتمتع بالعصمة أو القداسة فمن الممكن أن يخطأ ويصيب، وللناس منه العدل والشورى وله منهم الطاعة والانضباط.[1]

وقد استمر مَن بعده من الخلفاء الراشدين ﷺ على استشارة أصحاب الرأي والمشورة كما كان الأمر على عهد رسول الله ﷺ دون أن يشكلوا لذلك مجلساً خاصاً[2]، وكذلك حافظوا في تولية قادة الفتح على البلاد التي فتحوها كعمرو بن العاص ﷺ الذي عُين على فلسطين، وشرحبيل بن حسنة[3] ﷺ الذي تولى إمرة الأردن ويزيد بن أبي سفيان[4] ﷺ الذي تولى أمر دمشق بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ، كما أعطى لهم صلاحيات مطلقة كولاة، إلا أن عمر بن الخطاب ﷺ وعلى الرغم من سيره على النهج النبوي إلا أنه قام ببعض التجديدات تبعاً لما اقتضته الحاجة حيث قسَّم الأقاليم المفتوحة إلى أقسام ليسهل حكمها، فأما بلاد الشام فقد قسمها بعد فتحها إلى عدة ولايات وعين على كل ولاية والٍ تنحصر صلاحياته ضمن ما ورد في كتاب التعيين الخاص به سواء كانت في الصلاة أو الحرب أو جمع الخراج أو ثلاثتهم معاً، كما أخضع كل والٍ للإشراف المباشر منه إذ لا يقوم بعمل قبل العودة إليه، كما أخضعه للمحاسبة المستمرة عن أعماله وهو

---

[1] مسكويه. (2002م)، ج1 ص:180؛ الذهبي. (1990م)، ج3 ص:19، 20؛ ابن الوردي. (1996م)، ج1 ص:136؛ حركات. (1989م)، ص:241؛ خماش. (1987م)، ص:219–220؛ الطريفي. (1994م)، ص:91؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:134، 136.

[2] الصلابي. (2005م)، ص:84؛ الطريفي. (1994م)، ص:146؛ العمري. (د.ت)، ص:103؛ الهاشمي. (2002م)، ص:18.

[3] شرحبيل بن حسنة: هو شرحبيل بن عبد الله ولكنه نسب إلى أمّه حسنة، وهو صاحب رسول الله ﷺ ممن هاجروا الهجرة الثانية إلى الحبشة، وعمل والياً على بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وتُوفي خلال خلافته في طاعون عمواس في بلاد الشام سنة 18هـ/639م. ابن سعد. (2001م)، ج4 ص:119؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:325؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:330؛ المزي. (1983م)، ج12 ص:426.

[4] يزيد بن أبي سفيان: يزيد بن صخر بن حرب وهو أخو معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ويقال له يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وكان ممن بعثهم أبو بكر الصّدّيق ﷺ على رأس جيوش الفتح نحو بلاد الشام، ثم تولى أمر فلسطين، وتُوفي سنة 19هـ/640م. ابن حبان. (1973م)، ج3 ص:443، 444؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:759، 760؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج5 ص:456، 457؛ الذهبي. (2004م)، ص:4223.

ما يُعرف بمركزية الحكم، ويُستثنى من ذلك فقط توليته لأبي عبيدة بن الجراح[1] ﷺ على جيوش الشام وإعطائه صلاحيات واسعة عسكرياً ومدنياً لعظم مكانته وثقته به، فحُقَّ له توجيه قادة الجيوش حسب رؤيته، وتعيين العمال على المناطق وإبرام عقود الصلح وتولي القضاء، كما شكل عند وفاته بحادثة الطعن مجلساً يتألف من ستة من كبار الصحابة ﷺ للتشاور من أجل اختيار الخليفة من بعده[2].

أما الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (23– 35هـ/634– 646م) فقد عيّن عماله على الأقاليم وأعطاهم صلاحيات واسعة تضمن الإمامة في الصلاة وقيادة الحرب وجمع الخراج وكذلك الإدارة المالية أي كان الوالي في عهده مطلق التصرف في ولايته، ولكنه مسؤول أمام الخليفة، كمعاوية بن أبي سفيان عندما جمع بأمر من الخليفة عثمان بن عفان ولايتي الشام والجزيرة مع هذه الصلاحيات الواسعة جداً.[3]

وقضائياً ونظراً لما شهدته الدولة العربية الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ﷺ من ازدياد رقعتها واتساع نطاقها بعدما فُتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان، فقد اتخذ عمر بن الخطاب ﷺ بعض التدابير التي ضمنت انضباطها تحت راية الإسلام، ومنها أن جعل للقضاء موظفاً خاصاً في كل الولايات يخضع لإشرافه مباشرة بعدما كان ذلك من مهام الوالي، كما اتبع أسلوب التحقيق العلني وتفقد أحوال الرعية بنفسه ليلاً نهاراً فكان أول من عسَّ في عمله بالمدينة المنورة وجال في الأسواق وراقب حركتها وقضى بين المتخاصمين فيها، كما أبقى على نظام

---

[1] أبو عبيدة بن الجراح: عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، يُكنى بأبي عبيدة حتى غلبت عليه كنيته، ولّقب بالقوي الأمين وأمين الأمة، عيَّنه عمر بن الخطاب ﷺ على بلاد الشام بعدما عزل خالد بن الوليد ﷺ، تُوفي في طاعون عمواس سنة 18هـ/639م. ابن سعد. (2001م)، ج3 ص:379، 380؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:247؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:511، 512؛ الذهبي. (د.ت)، ج1 ص:285.

[2] وهؤلاء الصحابة الستة هم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام ﷺ، ويحضر عبد الله بن عمر ﷺ دون أن يحق له الترشيح. ابن سعد. (2001م)، ج3 ص:319؛ العمري. (د.ت)، ص:103.

[3] سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج1 ص:71، 72؛ خماش. (1987م)، ص:230–232، 233؛ الصلابي. (2005م)، ص:314، 330؛ العمري. (د.ت)، ص:103؛ أبو النصر. (1948م)، ص:207، 208، 214، 215.

الحسبة حتى أنه عيّن إحدى النساء وهي الشفاء بنت عبد الله العدويَّة[1] على سوق المدينة لمراقبتها وتقويم ما اعوجَّ فيها.[2]

وقد أدى دخول عدد كبير من الأجناس المختلفة تحت لواء هذه الدولة الجديدة إلى ازدياد عدد الأسواق والمدن فيها، فكثُر وجود مَن جاهر بالفساد والمنكر ليلاً ونهاراً مما دفع بالخلفاء إلى تطوير نظام العسس وإنشاء نظام أمني محكم لضبط شؤون المدن بشكل دائم وهو نظام الشرطة وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ (35- 40هـ/646- 651م) تنظمت الشرطة وأُطلق على رئيسها لقب صاحب الشرطة.[3]

والجدير بالذكر أن ابتداء استخدام لقب أمير المؤمنين تم خلال العصر الراشدي في عهد عمر بن الخطاب ﷺ لاستثقال المسلمين نداء الخليفة بقول: **(يا خليفةَ خليفةِ رسول الله)** فكان هذا اللقب أيسر لهم، وفي سنة 17هـ/638م أو سنة 18هـ/639م اتخذ عمر بن الخطاب ﷺ التأريخ العربي الإسلامي انطلاقاً من موعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة سنة 13 للبعثة/622م بعد أن أخبره أبو موسى الأشعري ﷺ بأن الكُتب التي تأتيهم منه غير مؤرّخة، فشاور عمر بن الخطاب ﷺ الناس فأجابه البعض أن يؤرّخ ببعثة رسول الله ﷺ بينما أشار عليه البعض الآخر أن يبتدأ التأريخ من هجرته ﷺ فإنها الفاصل ما بين الحق والباطل،

---

[1] الشفاء بن عبد الله: بنت عبد الله بنت عبد شمس، وهي قرشية من بني عَدي، أسلمت قبل الهجرة وبايعت رسول الله ﷺ وتمتاز بفضلها وبعقلها الراجح واستعملها عمر بن الخطاب ﷺ على السوق. ابن سعد. (2001م)، ج10 ص:254؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:915؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج7 ص:162، 163؛ العسقلاني. (1995م)، ج8 ص:201، 202.

[2] ابن سعد. (2001م)، ج2 ص:310؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:264؛ الخزاعي. (1985م)، ص:308 313؛ المقريزي. (1999م)، ج8 ص:394؛ السيوطي. (2003م)، ص:111؛ الآغا. (2014م)، ص:25؛ خماش. (1987م)، ص:250؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:36، 37، 38؛ الصلابي. (2005م)، ص:159؛ الهاشمي. (2002م)، ص:31، 32، 57، 103.

[3] عاشور، زغلول. (1996م)، ص:165؛ الهاشمي. (2002م)، ص:77، 78.

فابتدؤوا التأريخ من أول السنة في شهر مُحرم[1]، وهذا بعدما كان العرب يؤرخون تبعاً للأحداث المشهورة والوقائع الكبيرة، فكان ذلك أدعى لضبط الحقوق والعهود والمواثيق، كما يعود إلى عهده إنشاء أول الدواوين في الدولة العربية الإسلامية.[2]

أما الخلفاء الأمويون فلم يكن الحكم لديهم متمركزاً بشخص الخليفة بل عينوا ولاة ثقاة وأطلقوا أيديهم في ولاياتهم وأحاطوا أنفسهم بالحكماء وأصحاب الرأي والخبرة، كما استعانوا بأفضل الرجال لمساعدتهم في تحمل أعباء الدولة وتسيير شؤونها نظراً لتعدد مصالحها واتساع مساحتها ونطاق أعمالها، فأنشأوا المزيد من الدواوين وعينوا لها كُتّاباً فأصبح هناك كاتب للرسائل وكاتب للخراج وكاتب للجند وكاتب للشرطة وغيرهم، وإلى جانبهم القاضي الذي حكم وفقاً للشريعة الإسلامية وتميز بابتعاده عن المؤثرات السياسية ونفوذ أحكامه على الجميع سواء كانوا ولاةً أو عمالاً أو من كبار رجال الدولة.[3]

وقد شهد عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (41- 60هـ/661- 680م) على وجه الخصوص كثيراً من التطورات الإدارية واستحداث ما لم يكن موجوداً قبله، كاتخاذ حاجب شخصي يلازمه باستمرار ويتكفل بحمايته، وكذلك اتخاذ الخدم والحرس والسماح لهم بحمل السلاح، وإبداء بعض مظاهر الترف والثراء، وتخصيص مقصورة خاصة به للصلاة وإدخال نظام البريد إلى الدولة العربية الإسلامية، وتعيين كاتب خاص للقاضي كي يسجل ما يصدره من أحكام في سجل خاص، وتخصيص مكان له من أجل الفصل بين

---

[1] تمت الهجرة النبوية الشريفة في شهر ربيع الأول ولكنهم لم يجعلوا من هذا الشهر بداية للتأريخ الهجري بل أخروه إلى شهر محرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في شهر محرم. الصلابي. (2005م)، ص:109.

[2] الجهشياري. (1938م)، ص:20؛ المسعودي. (د.ت)، ص:253؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:263؛ ابن الوردي. (1996م)، ج1 ص:142، 143؛ ابن كثير. (1997م)، ج10 ص:69؛ السيوطي، (2003م)، ص:111؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:210؛ الطريفي. (1994م)، ص: 141، 142؛ الهاشمي. (2002م)، ص:39.

[3] الخربوطلي. (1994م)، ص:30؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:151؛ ضية. (2016)، ص:16؛ العش. (1992م)، ص:138، 139؛ فروخ. (1966م)، ص:163، 164؛ كرد علي. (1934م)، ص:66، 69؛ الهاشمي. (2002م)، ص:19، 22، 35، 58.

المتخاصمين، بالإضافة إلى التسامح مع المسيحيين من خلال السماح لهم بالسير بين الناس وهم متقلدون الصليب الذهبي، ومنحهم الحرية في الدخول إلى المساجد وعلى بلاط الخليفة، وإعطائهم بعض المناصب في الدولة بعد أن كان إسلامهم شرطاً لتوظيفهم في عهد عمر بن الخطاب ﷺ[1]، وذلك إلى جانب استحداثه لمنصب ولي العهد عندما أعلن ابنه يزيد ولياً للعهد من بعده، مما جعل اختيار الخليفة من بعده يتم بالوراثة لا بالشورى.[2]

وإن كان معاوية بن أبي سفيان ﷺ هو مؤسس الحكم الأموي وواضع سياسته فإن الخليفة الخامس للدولة الأموية عبد الملك بن مروان[3] (65- 86هـ/685- 705م) هو منظم الحكم الأموي وضابطه، فكان الخليفة بالنسبة إليه صاحب الأمر كله وهو فقط مَن يصدر الأحكام والأوامر فلا يُرد ولا يخالف وإلا كان السيف جزاؤه، فالحكم لديه قائم على الشدة والسطوة لا على المسايسة والمداهنة كما فعل معاوية ﷺ من قبل، ولتحقيق مبتغاه عمل عبد الملك بن مروان على تنظيم أربعة أمور تنظيماً محكماً، فقام أولاً بتعريب الدواوين والنقود في الدولة العربية الإسلامية وجعل ضربها بإشراف الخليفة وحده، كما حدد صلاحيات الولاة وحجم من سلطاتهم، وأخيراً نظم البريد وأقام له محطات تضمن له السرعة والأمان.[4]

---

[1] الطبري. (1967م)، ج5 ص:330؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:124؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:62؛ ابن كثير. (1997م)، ج11 ص:465؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:42؛ فروخ. (1966م)، ص:164؛ كرد علي. (1934م)، ص:69، 78.

[2] الطبري. (1967م)، ج5 ص:322؛ مسكويه. (2002م)، ج2 ص:22؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:97؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:5؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:30، 37؛ فروخ. (1966م)، ص:160، 168.

[3] عبد الملك بن مروان: هو ابن الحكم بن أبي العاص ﷺ، وُلد في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، بُويع بالخلافة في منطقة الجابية في بلاد الشام سنة 65هـ/685م بعد أبيه مروان بن الحكم، وكان عابداً ناسكاً قبل توليه الخلافة وتُوفي سنة 86هـ/685م. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص:221؛ 223؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:355، 356؛ المسعودي. (د.ت)، ص:270؛ المزي. (1983م)، ج18، ص:408، 413. Kazhdan. (1990), v1 p:3.

[4] الجهشياري. (1938م)، ص:23؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:192؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:303؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:105؛ ربيع. (1995م)، ص:95؛ العتابي. (2013م)، ص:263. العش. (1992م)، ص:232، 234- 236.

يُستنتج مما سلف اختلاف طبيعة الدولة في العصر الأموي إذ أصبحت دولة مؤسسات منحت صلاحيات واسعة لبعض الولاة وبأماكن محددة على الرغم من احتفاظها بمركزية السلطة بيد الخليفة.

كما أن مظاهر الترف والثراء على نظام الحكم في الدولة العربية الإسلامية لم يظهر إلا خلال العصر الأموي والذي ربما يعود سببه لوقوع عاصمة الدولة الأموية دمشق داخل بلاد الشام حيث اعتاد السكان المحليون فيها على حياة الرفاهية والترف نتيجة خضوعها للحكم البيزنطي لسنين طوال، كما أن المعاملة المباشرة مع الأباطرة البيزنطيين دعت الخلفاء الأمويين إلى عدم إظهار التقشف والتواضع كي لا ينعكس لهم فقراً أو ضعفاً، وكذلك بُعد الزمان والمكان عن مهد الدعوة الإسلامية من أهم ما ساهم في ذلك.

2. المظاهر الاقتصادية:

نظمت الشريعة الإسلامية جميع النواحي الحياتية للإنسان فلم تقتصر فقط على الأمور العقائدية، ووضعت أحكاماً لا يمكن تجاوزها إلا في حالات خاصة ولأسباب محددة، كما تركت البت في القضايا الفرعية للعقل والاجتهاد بما تقتضيه متغيرات العصر، وبالتالي فقد استند النظام المالي الإسلامي في تكوينه على الشريعة الإسلامية واستمد أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فانتظم شأن المال في موارد الدولة العربية الإسلامية ونفقاتها وكذلك اتضحت حدوده وسُبل التعامل به، لتجنب إتلافه تبعاً لأهواء الناس ورغباتهم.[1]

وقد وضع رسول الله ﷺ اللبنات الأساسية للاقتصاد العربي الإسلامي والذي سيحتذي به الخلفاء من بعده انطلاقاً من نبوته أولاً ثم من خبرته التي اكتسبها من عمله في التجارة قبل البعثة النبوية إلى الشام وغيرها، مما منحه معرفة واسعة في التعامل التجاري والطرق التجارية وعلماً في طبائع الناس وسُبل التعامل معهم[2]،

---

[1] الآغا. (2014م)، ص:31، 32؛ أبو خليل. (1994م)، ص:329.

[2] ابن قتيبة. (1969)، ص:150؛ العماد الأصفهاني. (2002م)، ص:86؛ ابن الوردي. (1996م)، ج1 ص:97؛ الألوسي. (2009م)، ج3 ص:385؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2006م)، ص:133.

Liu. (2010), P: 93.

فهاجر أولاً مع أصحابه ﷺ إلى المدينة المنورة التي مثلت المكان الآمن الذي سيحميهم من اضطهاد أهلهم في مكة المكرمة، ثم آخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار فكان لمبدأ المؤاخاة أثراً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً في المجتمع العربي الإسلامي الجديد حيث جعل المهاجر منهم يرث الأنصاري، مما يعني تفضيل الأخوُّة الإسلامية على رابطة القرابة والرحم، إلى أن نزل قوله ﷻ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[1] عقب غزوة بدر سنة 2هـ/624م فرجع كل إنسان إلى أنسبائه وذوي رحمه في الميراث، وأصبح المؤمنون كلهم أخوة.[2]

يُستدل مما سلف أن الأمان والاتحاد بين أفراد الشعب هو أول بذور تأسيس الدولة وأول خطوات انتصارها، ولتحقيق ذلك لا يُكتفى بالشعارات التي تدعو إلى التكاتف واللحمة بين الناس فقط، بل يجب أن يكون لها تطبيقاً عملياً على أرض الواقع تنعكس آثاره مباشرةً على الجميع.

ثم بعث رسول الله ﷺ في سنة 9هـ/630م من صحابته ﷺ إلى الأقاليم مَن يجمع مستحقات الدولة من أموال اتّباعاً لأمر الله ﷻ ومنهم الصحابي معاذ بن جبل ﷺ الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن كما سلف ذكره، وكذلك الصحابي أبي عبيدة بن الجراح ﷺ الذي أرسله إلى البحرين، وعلي بن أبي طالب ﷺ الذي أرسله إلى نجران.[3]

---

[1] [الأنفال، الآية: 75].

[2] ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:192، 193، 205؛ ابن حبيب. (د.ت)، ص:71؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج3 ص:71؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج3 ص:182؛ ابن كثير. (1997م)، ج4 ص:560؛ البوطي. (1991م)، ص:162، 163، 164؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2006م)، ص:142، 143؛ الحاج حسن. (1987م)، ص:29.

[3] الماوردي. (1989م)، ص:95؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:651؛ الذهبي. (1990م)، ج1 ص:691؛ اليافعي. (1993م)، ج1 ص:98؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:428؛ السيوطي، (2003م)، ص:38؛ ابن العماد. (1986م)، ج1 ص:235؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2006م)، ص:196؛ حركات. (1989م)، ص:241، 245، 250؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:22؛ أبو خليل. (1994م)، ص:222؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:14؛ كرد علي. (2017م)، ص:413؛ الهاشمي. (2002م)، ص:29، 30.

ولعل أهم واردات الدولة العربية الإسلامية هي الضرائب ومنها الزكاة التي فرضها الله ﷻ في قرآنه على مَن استطاع إلى ذلك سبيلاً من المسلمين سنة 2هـ/623م، حيث يجتزئ المسلم الغني ما يعادل 2.5% من مجمل أمواله لتُعطى إلى الفقراء والمساكين، وأما أهل الكتاب من المسيحيين واليهود ولاحقاً المجوس أي مَن دخلوا في حماية الدولة العربية الإسلامية واستوطنوا فيها من غير المسلمين، فقد فُرضت عليهم الجزية مقابل حمايتهم من قبل المسلمين والمحافظة على أرواحهم وأموالهم ودياناتهم بينما يُعفون هم من الخدمة العسكرية، وقد أُسقطت الجزية عن النساء والشيوخ والأطفال إذ يُنفق عليهم من بيت المال طيلة مكوثهم في بلاد المسلمين.[1]

وقد فُرضت الضرائب أيضاً على الأراضي الزراعية والأراضي التي فتحها المسلمون عنوة كضريبة الخراج التي يدفعها السكان الأصليون من خلال مقدار من محاصيلهم الزراعية أو مبلغاً من المال نقداً لقاء كونهم تحت حماية المسلمين، وقد كان ذلك اجتهاد رأي من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي ارتأى إبقاء الأراضي المفتوحة عنوة في أيدي أصحابها بدلاً من توزيعها على الجنود الفاتحين كما هو في الأصل، لأن توزيع الأرض على الجنود العرب سيصرفهم عن الجهاد والفتوح فتُحرم الدولة من خدماتهم في هذا المجال، كما أن انصراف العرب للزراعة سيولّد منافسة بغيضة بينهم وبين الفلاحين العاملين في الأرض، ثم أن توزيع الأراضي على الجنود المشاركين في التحرير فقط دون غيرهم سيحرم باقي المسلمين ومَن تلاهم من أجيال من مردود هذه الأراضي، وهكذا كان إبقاء الأرض بأيدي أصحابها وأخذ الخراج منها تأليفاً لقلوب غير المسلمين يصب في مصلحة الدولة وعموم المسلمين حاضراً ومستقبلاً إذ يعود خراج الأراضي لبيت المال الذي بدوره

[1] القرشي. (1987م)، ص:108، 109؛ ابن زنجويه. (1986م)، ج1 ص:152؛ الماوردي. (1989م)، ص:181، 183؛ ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:312؛ الآغا. (2014م)، ص:35؛ فروخ. (1966م)، ص:131؛ كرد علي. (2017م)، ص:410.

يوزع على المسلمين جميعاً، وبالتالي لم تقدّر قيمة ضريبة الخراج إلا في عهد عمر بن الخطاب ﷺ بعدما سأل عن النظم التي كانت متبعة قبل الفتح الإسلامي وجعلها قابلة للزيادة والنقصان تبعاً للظروف الإنتاجية.[1]

بالإضافة إلى ضريبة العُشُور (الجمارك) وهي ما فرضه عمر بن الخطاب ﷺ على التجار الأجانب من غير العرب بعدما عرض بعضهم على عمر بن الخطاب ﷺ عُشر بضاعتهم مقابل السماح لهم في التجارة داخل أرض المسلمين، فوافق بعد مشاورته للصحابة الكرام ﷺ، والجدير بالذكر أن العُشر في العصر الراشدي كان يؤخذ من التجار مرة واحدة في العام فقط بينما أُخذ منهم في العصر الأموي وما تلاه من عصور كلما اتجروا في بلاد المسلمين ولو تكرر ذلك مرات عدة في العام الواحد عدا عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[2] (99- 101هـ/717- 720م).[3]

بينما ما يحصل عليه المسلمون نتيجة الحروب من أسلاب القتلى مثل الملابس والخيل والأسلحة فتسمى الغنائم والتي يُعطى خُمسها لرسول الله ﷺ وأهل بيته والفقراء والمساكين واليتامى بينما يُوزع الباقي على

---

[1] أبو يوسف. (1979م)، ص:24؛ ابن زنجويه. (1986م)، ج1 ص:209؛ البلاذري. (1987م)، ص:627؛ المقدسي. (1899م)، ج4 ص:75؛ أبو الفرج. (1985م)، ص:16؛ الآغا. (2014م)، ص:35؛ 219، 220؛ خطاب. (1965م)، ص:348؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:64؛ الصلابي. (2005م)، ص:246.

[2] عمر بن عبد العزيز: ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ، وهو ثامن الخلفاء الأمويين حيث بُويع بالخلافة سنة 99هـ/717م وعُرف بفضله وتدينه، وتُوفي سنة 101هـ/720م. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص:324؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:362، 363؛ ابن عساكر. (1995م)، ج45 ص:126؛ الذهبي. (2004م)، ص:2906.

[3] ابن زنجويه. (1986م)، ج1 ص:209؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج9 ص:249، 457؛ أبو خليل. (1994م)، ص:334؛ خماش. (1987م)، ص:308، 309؛ الصلابي. (2005م)، ص:255؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:312؛ فايدة. (1997م)، ص:54.

الجنود، وقد انتهت ضريبة الخُمس بعد وفاة رسول الله ﷺ،[1] أما الأموال التي يجمعها المسلمون من خصومهم دون قتال فتدعى الفيء ويُعطى خمسها لرسول الله ﷺ وأهل بيته وللفقراء والمساكين واليتامى والباقي يُوزع على الجنود وينفق منها على مستلزمات الحرب.[2]

ويتبين مما تقدَّم أن أساس واردات الدولة العربية الإسلامية وهي الزكاة والصدقة والجزية والغنيمة والفيء فُرضت بتشريع ورد في القرآن الكريم من الله ﷻ، إلا أن توسع الدولة فيما بعد منحتها تفصيلات أكثر فيما يخص جبايتها وتوزيعها وفقاً للشريعة أيضاً وما تقتضيه مصلحة الدولة.

الضرائب الإسلامية لم يكن دافعها جمع الأموال بلا هدى بل هو تنظيم اقتصادي متكامل محكم للدولة والمجتمع، ولا يجدر الحكم عليه دون النظر في تفاصيله ورؤيته نظرة عامة وتفصيلية متكاملة، فما يُؤخذ من الناس يُوزع عليهم أو يُستعاض عنه بحماية أو دفاع.

ولم تقتصر موارد بيت المال على الضرائب بل تدفقت الأموال إليه أيضاً من خلال النشاط الاقتصادي للدولة والذي تمثل بالزراعة والصناعة والتجارة، حيث اهتم المسلمون بالزراعة بعد أن كان الرعي حرفتهم الأولى وذلك لتشجيع رسول الله ﷺ على ممارستها أولاً كقوله فـ: "**ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان، أو طير، أو بهيمة، إلا كانت له صدقة**"[3]، ولما امتازت به الأراضي التي فتحها المسلمون من خصوبة ووفرة المياه ثانياً، بالإضافة إلى أن اهتمام الدولة العربية الإسلامية بأحوال الفلاحين زاد من إقبال المسلمين على الزراعة، حيث أعادت الدولة الأراضي إلى أصحابها الفلاحين بعدما عانوا لمدة طويلة من

---

[1] القرشي. (1987م)، ص:58؛ ابن زنجويه. (1986م)، ج2 ص:718؛ الماوردي. (1989م)، ص:161، 162؛ ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:181؛ الآغا. (2014م)، ص: 35؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:213، 214؛ العمري. (د.ت)، ص:202؛ خطاب. (1965م)، ص:348؛ فروخ. (1966م)، ص:131.

[2] القرشي. (1987م)، ص:58؛ الماوردي. (1989م)، ص:161؛ الآغا. (2014م)، ص: 33، 35؛ العمري. (د.ت)، ص:223؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:215؛ فروخ. (1966م)، ص:131.

[3] الترمذي، (2000م)، ج2 ص:97. رقم الحديث 1382.

سيطرة الدهاقين والارستقراطيين الفرس الساسانيين والبيزنطيين عليها، كما جُففت المستنقعات واستصلحت بعض الأراضي وأحيت الميت منها وعنيت بإيصال المياه إليها بشتى الوسائل كبناء السدود وحفر الآبار ومد القنوات من الأنهار، وإقامة الجسور والقناطر عليها، وتقنين قيمة الخراج من الفلاحين الذين لا يحتملون دفع الجزية كاملة كما رفعوها كلياً عن الأراضي التي لا تصلها الماء.[1]

ونظراً لاتساع الدولة العربية الإسلامية على مساحة واسعة فقد اختلفت أقاليمها من حيث المناخ وتوفر المياه وبالتالي اختلفت منتجات هذه الأقاليم وتنوعت ولكن اشتهرت بعض الأقاليم بوفرة إنتاجها لصنف محدد دون غيره كالكتان في مصر والقطن في خراسان والزيتون والكروم في بلاد الشام وأشجار الفواكه في أرمينية وقد كان التمر في عهد رسول الله ﷺ ولمدة طويلة أهم منتجات شبه الجزيرة العربية، والذي تعد اليمامة[2] والمدينة المنورة والطائف من أهم مراكز إنتاجه، والجدير بالذكر أن المسلمين قد عُرفوا أيضاً بزراعة القمح والذرة والسمسم والأرز والتفاح والرمان إضافة إلى المواشي والجلود والمنسوجات والأسلحة.[3]

أما عن الصناعة فقد تركزت أولاً في المجال الحربي حيث حضَّ رسول الله ﷺ على تصنيع السلاح بأيد وطنية ولا سيما القوس العربية ورفض ما تم استيراده، كما تم في عهد رسول الله ﷺ تصنيع أول منجنيق[4]

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:189، 190؛ أبو خليل. (1994م)، ص:376؛ الكروي. (2008م)، ص:135، 136.

[2] اليمامة: مدينة في شمال غرب عُمان، خرج منها مسيلمة الكذاب –الذي ادَّعى النبوة– وقُتل فيها بإحدى معارك حروب الردة على يد خالد بن الوليد ﷺ خلال عهد الخليفة أبي بكر الصّدّيق ﷺ. الحموي. (د.ت)، ج5 ص:442، مادة اليمامة؛ الحميري. (1984م)، ص:620، 621.

[3] حركات. (1989م)، ص:270، 271؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:316، 317؛ الكروي. (2008م)، ص:141–143.

[4] المنجنيق: آلة حربية يُرمى بها الحجارة لهدم الحصون أو لإحداث ثقب فيها، وكلمة المنجنيق انتقلت إلى اللغة العربية من جذر فارسي وهو (منجك) ومعناها الارتفاع. ابن أرنبغا الزردكاش. (2013م)، ص:12؛ الزبيدي. (1998م)، ج26 ص:377؛ كريمر. (1947م)، ص:61.

في الإسلام أثناء حصار الطائف سنة 8هـ/629م بمشورة من الصحابي سلمان الفارسي[1]ﷺ، ثم تطورت الصناعات فيما بعد بشتى المجالات كالصناعات النسيجية الحريرية والتي ازدهرت في فارس والعراق وبلاد الشام.[2]

وقد اهتم العرب المسلمون بالتجارة أيضاً وبرعوا بها ولا سيما أن خبرتهم في التجارة والتبادل التجاري تمتد إلى ما قبل الإسلام بسنين طويلة حيث خرج العرب بقوافلهم التجارية من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق واسعة يروّجون لبضائعهم ويبيعونها، إلا أن الشريعة الإسلامية قد ساهمت في تنظيم المعاملات التجارية وتحديد شروطها العامة، أما تفاصيلها فيحددها الفقهاء كجعل العَقد التجاري يقوم على اتفاق البائع والمشتري سواء كان شفهياً أو كتابياً، وأن يكون مضمونه حلالاً نافعاً، كما سمحت الشريعة الإسلامية بالرهون والودائع ونظام المقايضة[3] والمشاركة بين المسلمين وأهل الذمة، وأعطت المسلمين حرية التجارة فلم تحتكر منتجاً أو منعت مبادلته أو قيدت النقل بين مختلف ولايات الدولة الإسلامية، كما سمحت بالتجارة البحرية واعتنت بالموانئ كميناء جدة على بحر القلزم (البحر الأحمر) الذي ظل مركزاً تجارياً مهماً عبر القرون إضافة إلى ميناء عدن جنوب اليمن والذي عُرف بنشاطه التجاري.[4]

---

[1] سلمان الفارسي: صحابي جليل من أصل فارسي من مدينة أصبهان، وُلد على المجوسية وتقديس النار حتى سمع بالمسيحية وأعتنقها ثم انتقل إلى المدينة المنورة وأسلم بين يدي رسول الله ﷺ، ولكنه عانى من الرقّ مدة من الزمن ففاته المشاركة في غزوتي بدر سنة 2هـ/624م وأُحُد سنة 3هـ/624م وذلك حتى أُعتق، فشهد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق 5هـ/626م وهو صاحب فكرة حفر الخندق حول المدينة المنورة وتُوفي خلال أواخر عهد عثمان بن عفان ﷺ سنة 35هـ/655م. ابن سعد. (2001م)، ج4 ص:69، 70، 74. ابن قتيبة. (1969)، ص:270؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:291؛ المزي. (1983م)، ج11 ص:245، 246.

[2] بطاينة. (1987م)، ج2 ص:40، 41؛ أبو خليل. (1994م)، ص:380، 381؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:330.

[3] نظام المقايضة: أي المِثل والعَوض، بمعنى بيع سلعة بسلعة، دون استخدام النقد. عمارة. (1993م)، ص:553، 554.

[4] الألوسي. (2009م)، ج3 ص:385؛ بطاينة. (1987م)، ج2 ص:31، 32؛ حركات. (1989م)، ص:270؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:192، الكروي. (2008م)، ص:192؛ 193.

ولعل أهم ما ساهم في نشاط التجارة العربية الإسلامية هو وجود الأسواق التي كانت مراكزَ للبيع والشراء وعقد الصفقات، مما حتم وضعها تحت رقابة شديدة ليلاً نهاراً، وتعيين مراقبين وحراس عليها حتى بعدما تخلو من تجّارها ونقلهم البضاعة إلى المخازن، كما اهتم الولاة أنفسهم بمراقبة الأسواق لمنع الغش في الكَيل والميزان والأسعار اقتداءً برسول الله ﷺ إلا أن انشغال الولاة في كثير من الأمور دفعهم إلى استحداث منصب المحتسب الذي تتجلى مهمته في مراقبة عمليات البيع ومنع الغش فيها.[1]

أما نفقات بيت المال في مطلع العصر الراشدي فقد وُزعت الأموال على المسلمين كما تم في عصر الرسول ﷺ، كلٌ حسب نسبة قربه من النسب النبوي حيث خُصص سهم من خمس الغنائم لهم، فكان لكل مسلم راتب له ولأهله وأولاده، إلا أن عمر بن الخطاب قد منع توزيع سهم ذوي القربى على عمومهم بل خصصه لفقرائهم ومحتاجيهم فقط، كما تم الإنفاق من بيت المال مرتبات موظفي الدولة ومنهم أمير المؤمنين أو الخليفة نفسه وكذلك رواتب القضاة والجند، إضافة إلى نفقات الحرب من ملابس وسلاح وعتاد، وإلى جانب ذلك هناك نفقات إقامة المشاريع العامة كالسدود والجسور وإنشاء المباني العامة وفتح الطرق وتمهيدها، كما وُزعت الأموال والأرزاق لكل من لا عائل له من الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى.[2]

وفيما يخص المعاملات الاقتصادية فإلى جانب نظام المقايضة الذي شاع اتّباعه في البوادي، فقد استخدم العرب المسلمون العملة التي عرفها العرب قبل الإسلام وهي النقود الفارسية الساسانية والبيزنطية إذ لم يثبت عن رسول الله ﷺ وأبي بكر الصّدَيق ﷺ أنه سك عملة عربية إسلامية خالصة للتعامل المالي في الدولة العربية الإسلامية على الرغم من قيام بعض الخلفاء بضرب النقود للدولة العربية الإسلامية إلا أنها كانت على النمط الفارسي الساساني أو البيزنطي –كما سيتم تفصيله في الفصل الرابع– واستمر الأمر كذلك

---

[1] حركات. (1989م)، ص:270؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:101، 102.

[2] الآغا. (2014م)، ص:36؛ بلتاجي. (د.ت)، ص:208؛ شلبي. (2012م)، ص:276، 277؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:315.؛ أبو النصر. (1948م)، ص:237.

حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ضرب السكة[1] العربية لأول مرة في الدولة العربية الإسلامية سنة 76هـ/695م[2].

وقد بقيت أسس النظام المالي الذي وضعه رسول الله ﷺ وفقاً لمبادئ التشريع الإسلامي منطلَقاً ومنهاجاً سار عليه الخلفاء من بعده، إلا أن اتساع مساحة الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أدى إلى دخول عدد كبير من الناس في الإسلام سواء من العرب أو غيرهم وإلى ازدياد تدفق الأموال إلى مركز الدولة مما دفع بالخليفة إلى إحداث بعض التغييرات كإنشاء بيت مال للمسلمين وديوان بيت المال لضبط موارد الدولة ونفقاتها[3]، بعدما كان يُوزع العطاء في عهد رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر الصّدّيق ﷺ دون وقت معين ومن غير مقدار محدد، كما اتَّبع قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[4] فلم يساوِ في توزيع العطاء من الأموال بين الناس بل رتَّبهم حسب أفضليتهم، فبدأ أولاً ببني هاشم[5] عائلة رسول الله ﷺ ثم أقرب المسلمين

---

[1] السكة: هي قطعة حديدة منقوشة مكتوب عليها عبارات محددة، يُضرب عليها الدنانير والدراهم. الماوردي. (1989م)، ص:199؛ علي. (1993م)، ج7 ص:489.

[2] حركات. (1989م)، ص:271، 272؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:233؛ خماش. (1987م)، ص:321؛ الضحيان. (1991م)، ص:112؛ علي. (2017م)، ص:58.

[3] المقريزي. (1999م)، ج8 ص:340؛ الآغا. (2014م)، ص:37، 40؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:210، 211، 228؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:117، 180؛ الطريفي. (1994م)، ص: 143.

[4] [الحديد، الآية: 10].

[5] بنو هاشم: هم قوم هاشم بن عبد مناف أكابر رجال قريش وساداتهم، وهو جد رسول الله ﷺ والذي إليه انتهت سيادة قومه وأُوكلت إليه الرفادة والسقاية، وهو أول من قام برحلتَي قريش في الشتاء والصيف وكان اسمه عمرو إلا أنه سُمي هاشماً لهشمه الثريد بمكة، وقبره في غزَّة في فلسطين في بلاد الشام. ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:57؛ الزبيري. (د.ت)، ص: 14؛ ابن قتيبة. (1969م)، ص:71؛ العمري. (1996م)، ج4 ص:293، 293؛ الألوسي. (2009)، ج1 ص:321، 322.

نسباً إليهم، فإذا تساووا في درجة القرابة قدّم أهل السابقة إلى الإسلام على غيرهم، ثم انتهى إلى الأنصار،[1] وحرص على بقاء الأراضي المفتوحة حقاً لعموم المسلمين حتى تكون مواردها وخراجها مصدراً لتمويل بيت المال من أجل تأمين مستلزمات ونفقات الدولة، كما منع سهم المؤلفة قلوبهم[2] من نفقات الدولة لعدم استمرار دوافع تخصيصه لهم ولا سيما بعد أن انتشر الإسلام وقويت شوكته.[3]

وقد شهد عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ولا سيما في سنواته الأولى كثرة الفتوحات والعدل والرخاء وتدفق سيل الأموال إلى بيت مال المسلمين وذلك إلى أن عصفت الفتن الداخلية بالدولة وأدت في النهاية إلى اغتياله[4]، أما الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ فقد عمد إلى تقسيم أموال بيت المال كل يوم جمعة، وساوى في العطايا،[5] وقد تمثلت المظاهر الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية مطلع العصر الأموي ولا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ بزيادة أُعطيات بعض الناس دوناً عن غيرهم كالجنود الذين ضاعف لهم عطاءهم

---

[1] أبو يوسف. (1979م)، ص:42؛ ابن زنجويه. (1986م)، ج2 ص:499، 500؛ البلاذري. (1987م)، ص:630؛ الطبري. (1967م)، ج3 ص:614؛ الماوردي. (1989م)، ص:261؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج4 ص:194؛ الآغا. (2014م)، ص:40، 41؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:228؛ شلبي. (2012م)، ص:277.

[2] المؤلفة قلوبهم: هم واحد وثلاثون رجلاً من المسلمين أعطاهم رسول الله ﷺ من المال أكثر مما أعطى غيرهم من المسلمين وهم على فئتَيْن، فمنهم الفقراء والضعفاء ممن أرادوا الاغتناء في الإسلام، ومنهم بعض أشراف وأغنياء مكة الذين خافوا على مكانتهم وثرواتهم إذا أسلموا، وبهذا المال تألَّف ﷺ قلوبهم وقلوب أقوامهم وقد بدأ هذا العطاء بعد غزوة حُنين سنة 8هـ/629م. ابن حبيب. (د.ت)، ص:163، 164؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:342؛ السهيلي. (1967م): ج7 ص:246؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج4 ص:134؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2006م)، ص:150؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:56؛ فروخ. (1966م)، ص: 125؛ كرد علي. (2017م)، ص:412.

[3] البلاذري. (1987م)، ص:627؛ المقدسي. (1899م)، ج4 ص:75؛ الماوردي. (1989م)، ص:188؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:216، 350؛ المقريزي. (1999م)، ج8 ص:339؛ الآغا. (2014م)، ص:35؛ حركات. (1989م)، ص:268؛ العش. (1992م)، ص:27.

[4] ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:543؛ الذهبي. (1990م)، ج3 ص:455.

[5] ابن الوردي. (1996م)، ج1 ص:157؛ الآغا. (2014م)، ص:48.

أضعافاً كثيرة عما كانت عليه في عهد عمر بن الخطاب ﷺ لكسب تأييدهم وضمان ولائهم له، كما زاد من أعطيات أنصاره وأنقص من نصيب أعدائه.[1]

يُستدل مما سلف أن نظم الدولة العربية الإسلامية سواءً إدارياً أو اقتصادياً قد اتَّسمت بالمرونة، فعلى الرغم من حرص الخلفاء الراشدين ﷺ على التمسك بنهج رسول الله ﷺ إلا أنهم أدخلوا عليه من التعديلات ما يلزم ويناسب دولتهم لتسير مع ركب الحياة المتغير دون أن يخالفوا أسسه الثابتة.

3. المظاهر الاجتماعية:

تميز العرب بما جُبلوا عليه من الأخلاق الحميدة والتي تفاضلوا بها على غيرهم من الأقوام، إلا أنهم تطبَّعوا بطباع أساءت لهم ولغيرهم وعادت عليهم بالأذى فكان لا بد لها من مُصلح ومُقوّم، والذي تمثل بالشريعة الإسلامية التي كان هدفها الأول هو إتمام مكارم الأخلاق إذ قال رسول الله ﷺ: "**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**"[2]، وقد حقق رسول الله ﷺ هدف دعوته تدريجياً مبتدئاً بترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية في صدور العرب المسلمين خلال المدة التي أمضاها في مكة المكرمة، ثم شرع بوضع اللَّبِنات الأساسية للمجتمع الإسلامي فور هجرته إلى المدينة المنورة، والمتمثلة أولاً في بناء المسجد ثم بالمؤاخاة بين المسلمين عامة والمهاجرين والأنصار خاصة، ثم كتابة الوثيقة أي الدستور التي حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم وأوضحت طبيعة العلاقات بينهم وبين غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة، ولاسيما أن المدينة المنورة قد ضمَّت بين جنباتها طوائف اجتماعية عديدة يصعب التوفيق بينها، ففيها المشركين من أهل المدينة نفسها وأهم قبائلهم هي الأوس والخزرج[3]، وإلى جانبهم اليهود بقبائلهم الثلاثة وهم بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة

---

[1] الآغا. (2014م)، ص:47، 48؛ أبو النصر. (1948م)، ص:245، 246.

[2] البخاري. (1375م)، ص:78. رقم الحديث:273.

[3] الأوس والخزرج: قبائل عربية ترجع إلى أوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو الأزدي، فقبائل الأوس والخزرج هي إحدى قبائل الأزد العربية التي هاجرت من اليمن إثر توقع قرب موعد انهيار سد مأرب فيها وما سيُحدثه ذلك من سيل ضخم يدمر البلاد والعباد، فهاجروا بحثاً

والذين تحكَّموا باقتصاد المدينة المنورة، إضافة إلى المنافقين الذين آمنت أفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وكذلك المسلمين من أهل المدينة المنورة والذين دُعوا بالأنصار لأنهم عاهدوا رسول الله ﷺ وبايعوه على نصرتهم له، وأخيراً هناك جماعة المهاجرين من مكة المكرمة الذين تركوا المال والولد حاملين معهم إيمانهم في قلوبهم هاربين من أذى قريش في مكة.[1]

فابتدأ رسول الله ﷺ ببناء المسجد في المدينة المنورة عند الموضع الذي بركت فيه ناقته والذي كان آنذاك أرضاً لغلامَيْن يتيمَيْن من الأنصار فاشتراه منهما ثم بدأ وأصحابه الكرام ﷺ بتجهيزه حتى تقام فيه الصلاة،[2] فالمسجد بيت من بيوت الله يلتقي فيه المسلمون خمس مرات ويقفون إلى جانب بعضهم البعض صفًّا واحداً لتعزيز أواصر الأخوّة والمحبة وإلغاء فوارق النسب والمال، واقتلاع جذور التعالي والأنانية، وترسيخ معاني المساواة والعدل بينهم.[3]

أما خطوته الثانية في سبيل بناء المجتمع الإسلامي على أساس راسخ متماسك هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي تقوم على التوارث فيما بينهم بعد الوفاة، والتمسك بتعاليم الدين من زهد وبساطة وإذابة الفوارق بينهم فلا يتفاضل أحد على آخر إلا بتقواه وعمله الصالح، وكذلك نصرة ومواساة بعضهم البعض لتأمين الأُنس للمهاجرين منهم لصعوبة الاغتراب وفراق الأهل وكذلك تعاونهم على الخير ودفع الضرر وصد

عن أرض للاستقرار برئاسة زعيمهم عمرو بن عامر الأزدي حتى استقروا في يثرب (المدينة المنورة)، ومن بين قبائل الأزد المهاجرة أيضاً قبيلة خزاعة التي استقرت في مكة، وآل جفنة بن ثعلبة في بلاد الشام مؤسسي مملكة الغساسنة فيها. الأصمعي. (1959م)، ص:81، 82، 85، 87؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:641؛ اليعمري. (د.ت)، ص:262؛ المقريزي. (1999م)، ج8 ص:171–173؛ خماش. (1987م)، ص:57؛ عبد الحميد. (1975م)، ص:203.

[1] المقريزي. (1999م)، ج8 ص:172، 173؛ برو. (1996م). ص:186؛ حمد. (1982م)، ص:62؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:251.

[2] الطبري. (1967م)، ج2 ص:396؛ السهيلي. (1967م). ج4 ص:233.

[3] اليعمري. (د.ت)، ص:314؛ الذهبي. (1990م)، ج1 ص:35؛ ابن كثير. (1997م)، ج4 ص:464؛ البوطي. (1991م)، ص:159.

الأعداء المشترَكين فضلاً عن إيواء الأنصار للمهاجرين، وهكذا يكون قد فضّل الأخوّة الإسلامية على صلة القرابة والرحم وجعل العصبية للدين لا للقبيلة.[1]

إذ لا يمكن لدولة ما أن تقوم لها قائمة إلا على أساس وحدة أبنائها وتساندهم والتي كان أساسها زرع المودة والتآخي بينهم، كما لا بد لاتحادهم من اجتماعهم على فكرة واحدة ومبدأ ثابت كي لا تشتتهم الأهواء الشخصية والأنانية، فمهما أرادت السلطة أن تحقق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع لا يمكن لها ذلك إلا إذا جمعتهم أولاً أواصر المحبة والتآخي فيما بينهم، خشية ألا يتحول ذلك إلى ظلم لهم.[2]

وبالنسبة للعلاقة بين المسلمين مع باقي طوائف المدينة المنورة فقد نظمها رسول الله ﷺ بقوانين عديدة كُتبت في وثيقة خاصة، وحدد فيها الحقوق والواجبات لكل منهم وتبعات الإخلال بها أو التساهل في تنفيذها، حاضاً الجميع على جعل التسامح أساساً للتعامل، وعلى تقوية الروابط الاجتماعية بينهم فتشاركوا الأعياد والاحتفالات والهدايا، كما جعل الفصل فيما شكل عليهم أو بينهم يعود إليه ﷺ للفصل فيه كما سلف ذكره، كما منحهم حرية المعتقد والعبادة داخل نطاق الدولة العربية الإسلامية وأعطاهم حرية ممارسة حياتهم الخاصة والعامة بمزاولة جميع أنواع المهن والحرف، ومَن يُسلِم منهم أصبح من جملة المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فكانت هذه الوثيقة دستوراً نظم جميع نواحي الحياة للدولة العربية الإسلامية الجديدة بجميع طوائفها، وقد استمر المجتمع العربي الإسلامي في اتباع الأسس التي وضعها رسول الله ﷺ وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين ﷺ، فاتّسم المجتمع آنذاك بالبساطة والزهد، كما تحققت فيه

---

[1] ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:204؛ ابن حبيب. (د.ت)، ص:71؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج3 ص71؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج3 ص:183؛ الآغا. (2014م)، ص:95، 96؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2006م)، ص:193؛ حركات. (1989م)، ص:98؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:251، 252.

[2] البوطي. (1991م)، ص:163.

العدالة الاجتماعية فلا فرق بين غني وفقير، ولا هوّة بين حاكم ومحكوم، ولا طبقية بين عربي وأعجمي، ولم يكن هناك ما يتفاضلون به على غيرهم سوى مقياس التقوى والتقوى مقرُّها القلوب.[1]

ولم يقتصر تنظيم رسول الله ﷺ للمجتمع العربي الإسلامي على الجانب العام فقط، بل نظم العلاقات بين أفراد الأسرة وحدد لهم الحقوق والواجبات، فالرجل مسؤول عن النفقة والرعاية والحماية، ومنح المرأة حقوقاً لطالما سُلبت منها فيما سلف من العصور، فجعل رسول الله ﷺ النساءَ محط تكريم ورعاية وبر وبدأ بنفسه في ذلك عندما أعتق أَمَته أم أيمن[2] وجعلها بمنزلة أمّه التي ولدته، كما وضع المرأة في أول وصاياه للمسلمين وساوى بينهم وبين الرجال في البيعة[3]، وكذلك سمح لهنَّ بالمشاركة في الحروب وتطبيب الجرحى وحث

---

[1] السهيلي. (1967م). ج4 ص:240؛ اليعمري. (د.ت)، ص:318؛ ابن كثير. (1997م)، ج4 ص:556؛ ابن حديدة. (1985م)، ج2 ص:5، 6؛ حركات. (1989م)، ص:258؛ حمد. (1982م)، ص:63، 64؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:261، 262؛ الضحيان. (1991م)، ص:100؛ الهاشمي. (2002م)، ص:108.

[2] أم أيمن: هي امرأة حبشية اسمها بَرَكَة بنت ثعلبة وكُنيت بابنها أيمن بن عبيد، وكانت مولاة لوالدة رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب، فلما وُلدت به حضنته حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها وزوَّجها لمولاه زيد بن حارثة ﷺ فأنجبت له أسامة بن زيد ﷺ، وقد كانت من أوائل المسلمين وهاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة وبايعت رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يداوم على زيارتها وتُوفيت في السنة نفسها التي تُوفي فيها رسول الله ﷺ سنة 11هـ/632م. ابن سعد. (2001م)، ج10 ص:212، 213؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:876، 877؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج7 ص:291؛ العسقلاني. (1995م)، ج8 ص:358، 359.

[3] البيعة: هي عهد لفظي من المسلمين لرسول الله ﷺ على أمر ما سواء كان الدخول في الإسلام والاعتراف بنبوة رسول الله محمد ﷺ وارتباطه بالأمة أو العهد بالنصرة والنجدة في الحرب والسلم، وتكون البيعة إما جماعية أو فردية، وبصفة مباشرة أو عن طريق عماله ورُسُله. وأشهرها بيعة العقبة الأولى 11 للبعثة/620م وبيعة العقبة الثانية 12 للبعثة/621م. السهيلي. (1967م). ج4 ص:71؛ اليعمري. (د.ت)، ص:262-264؛ ابن كثير. (1997م)، ج4 ص:375؛ حركات. (1989م)، ص:244.

المترددين من الرجال على الإقدام إلى ساحات الوغى، فها هي الصحابية أم عَمَارة[1] تشارك في غزو أُحُد[2] سنة 3هـ/624م وتدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف والسهام، وتقاتل إلى جانب المسلمين في معركة اليمامة[3] سنة 11هـ/632م إلى أن أُصيبت باثني عشر جرحاً وأُصيبت يدها، كما أوكل إلى النساء بعض وظائف الدولة كالشفاء بنت عبد الله العدوية التي سلف ذكرها، ومن النساء مَن كان لهن دور في خدمة الدعوة الإسلامية والدفاع عنها وهي مازالت في المهد كأسماء ذات النطاقَيْن[4] والتي حملت الطعام خِفية عن أعين قريش لإيصالها إلى رسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر الصّدّيق ﷺ أثناء هجرتهما من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وقد استمر

---

[1] أم عَمَارَة: هي الصحابية نَسِيبة بنت كعب الأنصارية من بني مازن، وقد شهدت بيعة العقبة الثانية سنة 12 للبعثة/621م وبيعة الرضوان سنة 6هـ/627م وشاركت في المعارك إلى جانب المسلمين، وروت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ. ابن سعد. (2001م)، ج10 ص:383؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:958؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج7 ص:360؛ العسقلاني. (د.ت)، ج4 ص:690؛ العسقلاني. (1995م)، ج8 ص:442.

[2] غزوة أُحد: معركة التحم بها المسلمون مع المشركين إثر تأليب أبي سفيان بن حرب ﷺ قبل إسلامه لجموع المشركين في مكة للثأر لقتلاهم في معركة بدر سنة 2هـ/624م فجمع رجاله وعسكروا عند جبل أُحُد، وقد كادت نتيجتها أن تكون نصراً للمسلمين لولا مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ بعدم ترك مواقعهم، إذ التفَّ عليهم المشركون وهاجموهم فاستشهد منهم مَن استشهد وأُسر مَن أُسر وعاد إلى المدينة من عاد. الواقدي. (1984م)، ج1 ص:199، 200؛ الطبري. (1967م)، ج2 ص:499-501؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:39؛ عبد الوهاب. (1997م)، ص:162-165.

[3] معركة اليمامة: إحدى أشد معارك حروب الردّة التي شهدتها شبه الجزيرة العربية حيث التحم خالد بن الوليد ﷺ خلال خلافة أبي بكر الصديق ﷺ مع جيش مسيلمة الكذّاب الذي ادَّعى النبوة في اليمامة خلال معركة فاصلة وقد انتهت بنصر حاسم للمسلمين ومقتل مسيلمة. الطبري. (1967م)، ج3 ص:281-283؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:214-216؛ الكلاعي. (1979م)، ص:84؛ ابن كثير. (1997م)، ج9 ص:465، 466.

[4] أسماء بنت أبي بكر الصّدّيق: هي أسماء بنت عبد الله بن عثمان (أبو قحافة) القرشية، زوجة الزبير بن العوام ﷺ وأم عبد الله بن الزبير، وهي من أوائل المسلمين وهي مَن سمَّاها رسول الله ﷺ بذات النطاقَيْن وأُصيبت في آخر عمرها بالعمى وتُوفيت بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بعدة أيام سنة 73هـ/692م. ابن سعد. (2001م)، ج10 ص:237، 238؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:871، 872؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج7 ص:8، 9؛ العسقلاني. (1995م)، ج8 ص:13، 14.

الأمر كذلك خلال عصر الخلفاء الراشدين ﷺ إذ شاركت النساء في سماع خطب الخلفاء وحضور مجالس العلم والدخول إلى الأسواق ونظم الشعر ورواية الحديث النبوي الشريف وتعليم الناس أمور دينهم.[1]

يُستدل من ذلك أن ما فرضه التشريع الإسلامي من ارتداء النساء للحجاب ما هو إلا حجب للأذى عنها وليس حجب لها عن المشاركة في الحياة الاجتماعية أو انتقاص منها ومن حقوقها وحجب لدورها في قيادة المجتمع والعمل على النهوض والسير به نحو الأمام، وبالتالي فإن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في المجتمع كقيمة إلا أن الاختلاف بينهما كان في التكليف.

ولكن ما إن أطل العصر الأموي حتى بدأت ملامح المجتمع العربي الإسلامي بالتغير شيئاً فشيئاً بسبب نقل عاصمة الخلافة العربية الإسلامية إلى دمشق والتي كانت شاهدة على حياة البيزنطيين المعروفة بالبذخ والترف وحب الجاه، وبسبب ما حققته الجيوش العربية الإسلامية خلال ذلك العصر من كثرة الفتوحات وما رافقها من وفرة بالأموال والغنائم والرقيق[2] والسبايا[3]، وذلك إلى جانب اعتناق أعداد كبيرة من غير العرب للإسلام، والذي أسفر عن اختلاط العرب المسلمين بغيرهم من الأقوام وتعرفهم على تراث لم يألفوه من قبل.[4]

وقد أدى تفاعل العرب المسلمين مع غيرهم من الأقوام إلى تأثرهم بهم اقتباسهم بعضاً من عاداتهم وتقاليدهم، فمنها ما كان يتناسب مع روح الإسلام وتعاليم الشريعة الإسلامية ومنها ما كان يخالفها، فما لبث

---

[1] ابن سعد. (2001م)، ج10 ص:237، 238؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:871، 872؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج7 ص:360؛ العسقلاني. (د.ت)، ج4 ص:690؛ العسقلاني. (1995م)، ج8 ص:442؛ حركات. (1989م)، ص:238؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:129؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:68.

[2] الرقيق: هم أسرى الحروب من الرجال والنساء على السواء. حركات. (1989م)، ص:145.

[3] السبايا: هم النساء من الرقيق وقد أقبل العرب المسلمون على اتخاذهن للتسري والإنجاب فأصبح لهن دور كبير في نقل بعض مظاهر حضارتهن وثقافتهن إلى بيوت العرب. برو. (1996م)، ص:173؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:92؛ علي. (1993م)، ج5 ص:572.

[4] الآغا. (2014م)، ص:101؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:253؛ الهاشمي. (2002م)، ص:110.

أن بدت على المسلمين آثار الترف والبذخ والإسراف في المأكل والمشرب والمسكن وتباهوا بعظمة مبانيهم وأسلحتهم وآنيتهم، وتفاخروا بالولائم وفخامة أعراسهم، كما أخذت مجالس الغناء والشراب مكان مجالس إلقاء الشعر والأدب، وذلك محاكاة لخلفائهم الذين بنوا القصور واستعانوا بالندماء[1] للترويح عن أنفسهم وأمعنوا في شرب الخمور.[2]

وقد تألف المجتمع العربي الإسلامي من عناصر عديدة وهي:

1. العرب المسلمون: الذين شكّلوا المادة الأولى والركيزة الأساسية للمجتمع العربي الإسلامي، فهم مَن انتصروا على الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية وبالتالي شكلوا العنصر الأساسي في جيوش الفتح العربي الإسلامي.[3]
2. الموالي: تعني كلمة الموالي في اللغة العربية المحبة والانتصار، فتطلق أحياناً على الأقارب وأحياناً على الناصر لغيره، وأحياناً أخرى على المعتق وكذلك على الحليف والجار وغير ذلك من المعاني، أما في الشريعة الإسلامية فيقصد بها الرقيق الذي أعتق صاحبه أو الحليف، وتدل هذه الكلمة في نظر المؤرخين المسلمين على المسلمين من غير العرب والذين انضموا فيما بعد

---

[1] النديم: مفردها نديم وهو الصاحب والرفيق، وقد كان الملوك يتخذون ندماءً لمرافقتهم ومسايرتهم بشرط أن يتحلى هذا النديم بمعرفة واسعة للطرقات والمسافات، وبحسن الأخلاق والمعاملة وأن يكون قليل التثاؤب والنعاس والعُطاس، وكذلك معتدل المزاج، صحيح البدن طيب المفاكهة والمحادثة، عالماً بالشعر والناس وأخلاقهم، وغيرها كثير من الصفات الحسنة. الجاحظ. (د.ت)، ص:70؛ معلوف. (1969)، ص:799.

[2] المسعودي. (2005م)، ج1 ص:188؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:434؛ أبو خليل. (1994م)، ص:404؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:254، 255؛ كرد علي. (2017م)، ص:139.

[3] أبو خليل. (1994م)، ص:394؛ الهاشمي. (2002م)، ص:110.

إلى القبائل العربية وانتسبوا إليها وحاربوا معها معتزين بنصرتهم وقوتهم، والجدير بالذكر أنهم لم يشهدوا تعصباً ضدهم في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ.[1]

3. أهل الذمة: وهم أهل الكتاب من المسيحيين واليهود، والذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية وتمتعوا بحريّة دينية وحياتية، وارتبطوا مع المسلمين بعهود منذ عصر الرسول ﷺ ولا سيما دفع الجزية، أما عن علاقاهم الاجتماعية مع المسلمين فقد سمح الإسلام بزواج المسلم من الذّميّة دون أن تُجبر على ترك دينها واعتناق الإسلام، كما أحل طعام أهل الذمة للمسلمين وطعام المسلمين لأهل الكتاب، فتشاركوا في الأعياد والمناسبات والاحتفالات وقويت الروابط الاجتماعية بينهم، وفيما عدا المسلمين وأهل الذمة وُجدت في المجتمع الإسلامي طوائف أخرى صغيرة مثل الصابئة عبدة الكواكب والمجوس عبدة النار، فضلاً عن فِرق من الزنادقة والملحدين.[2]

4. الرقيق: يعد نظام الرق نظاماً عالمياً قديماً ومألوفاً في المجتمعات القديمة، ولكنه كان أخف وطأة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لما لديهم من حفظ الذمة مراعاة الجوار، وعندما جاء الإسلام حرَّمه بأنواعه إلا في تسخيرهم بأعمال جسدية فقط ريثما يتم تحريرهم وذلك مع حسن المعاملة فلا يُقال للرقيق عبد بل فتى تكريماً له، حتى أنه كان من الممنوع ضربه وإلا وجب عتقه، وقد فتح الإسلام أبواباً عديدة للتخلص من الرق كما سيتم توضيحه في الصفحات التالية.[3]

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:101، 123؛ أبو خليل. (1994م)، ص:394؛ خماش. (1987م)، ص:115؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:65؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:329؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:322؛ الهاشمي. (2002م)، ص:112.

[2] حركات. (1989م)، ص:126؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:262؛ الهاشمي. (2002م)، ص:114.

[3] حركات. (1989م)، ص:145؛ أبو خليل. (1994م)، ص:394، 395؛ العمري. (د.ت)، ص:251؛ الهاشمي. (2002م)، ص:117؛ حركات. (1989م)، ص:145؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:80، 121، 122؛ خماش. (1987م)، ص: 145.

أما عن فئات هذا المجتمع فأهمها **فئة الحكّام** التي تشمل أصحاب النفوذ من الخلفاء والوزراء والأمراء، ومن بعدهم العلماء ورجال الدين الذين حازوا مكانة رفيعة في المجتمع العربي الإسلامي وعاشوا برغد من العيش وامتازوا بلباسهم الخاص بهم، وقد عملوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجوانبه كافة،[1] وإلى جانبهم **فئة التجار** الذين انقسموا بدورهم إلى فئتَيْن وهما التجار الارستقراطيين الذين تعاملون بالذهب والمجوهرات وأفخر الثياب وكانوا شديدي الثراء، وأما الفئة الثانية فهم صغار التجار والباعة الذين كانوا متوسطي الحال ويسعون لتأمين المأكل والمسكن وبعض الخدم، وإضافة إلى التجار هناك **الحرفيين والصناع والمهنيين** الذين تعددت مجالاتهم فامتلأت بهم المدن، مما دفعهم إلى تنظيم أنفسهم ضمن جماعات لها نظام ثابت وشروط خاصة.[2]

وهناك صغار الباعة المتجولين والمعدَمين وأصحاب الحرف الصغيرة[3] وأخيراً **الفلاحين** الذين ظلوا في أراضيهم تبعاً لأمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بإبقاء الأرض بيد أصحابها لضمان استمرارية العمل الزراعي وتأمين الموارد الضرورية للدولة ولا سيما أن الدولة العربية الإسلامية قد شجعت على الزراعة منذ عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ، وقد شهد المجتمع العربي الإسلامي اجتماع هذه الفئات كلها في الاحتفالات المختلفة والمناسبات المتنوعة سواء الدينية منها أو غير الدينية، فأقاموا المأدبات ووزعوا الأموال ولبسوا جديد الثياب وأعدوا الحلوى، كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وعيدي الفطر والأضحى وخروج مواكب الحج.[4]

---

[1] شلبي. (2012م)، ص:235؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:262، 265؛ الهاشمي. (2002م)، ص:122.

[2] شلبي. (2012م)، ص:236؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:266؛ الهاشمي. (2002م)، ص:123.

[3] شلبي. (2012م)، ص:236؛ الهاشمي. (2002م)، ص:124.

[4] ابن زنجويه. (1986م)، ج1 ص:209؛ البلاذري. (1987م)، ص:627؛ المقدسي. (1899م)، ج4 ص:75؛ الماوردي. (1989م)، ص:188؛ الآغا. (2014م)، ص:35؛ كرد علي. (2017م)، ص:410؛ الهاشمي. (2002م)، ص:124.

ثانياً: عوامل انتقال المؤثرات الفارسية الساسانية والبيزنطية إلى الدولة العربية الإسلامية "إدارياً واقتصادياً واجتماعياً" خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

إن التغيرات في موازين القوى على الساحة السياسية وزوال دول حاكمة ومجيء أخرى لا يعني زوال مؤثراتها الحضارية معها، بل تحافظ الشعوب على ما ترثه من القوى التي حكمتها لمئات السنين، فحكم الدول للشعوب ليس أمراً سياسياً فقط بل يحمل بين طياته احتكاك حتمي بين الأفراد مما يولّد ما يُعرف بالحضارة، ويبدو ذلك جلياً فيما تأثّر به العرب المسلمون من الأنظمة الفارسية الساسانية والبيزنطية ولا سيما في المجالات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، والتي ساهمت في تشكيل الدولة العربية الإسلامية وبلورة أنظمتها ولكن بما يتناسب مع مبادئ الشريعة الإسلامية.[1]

وكنتيجة طبيعية لظهور دولة جديدة على الساحة السياسية وتوسعها على نطاق كبير أن احتكت الدولة العربية الإسلامية بالدول المجاورة لها فتأثرت بها واقتبست منها ما احتاجته وبلورته حتى يتناسب مع قيمها، في حين نبذت ما يتعارض مع أسسها، ومن أهم عوامل انتقال التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الحضارة العربية الإسلامية هي:

1. الفتوحات العربية الإسلامية:

واجهت الجيوش العربية الإسلامية عند انطلاقها خارج شبه الجزيرة العربية أكبر قوتَيْن كانتا متواجدتَيْن على الساحة السياسية وهما الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية اللتَيْن لا يضاهيهما أحد في القوة والتفوق العسكري والحنكة السياسية لما لهما من باع طويل في الحروب والحكم، وعلى الرغم من ذلك فقد انتصرت الجيوش العربية الإسلامية الناشئة عليهما وخلال مدة قصيرة تدعو للعجب.

---

[1] الرحيم. (1995م)، ص:68؛ أبو النصر. (1948م)، ص:184.

حيث أقام العرب المسلمون الفاتحون معسكراتٍ لهم في العراق لموقعها المتوسط بين شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس، ولتنطلق منها العمليات العسكرية تجاه الأراضي الفارسية الساسانية، فتحولت هذه المعسكرات فيما بعد إلى مدن للسكن كالبصرة[1] والكوفة[2]، وقد منع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ القادة والجنود من السكن فيها فيها كي لا ينغمسوا بالترف والرفاهية التي تصطبغ بها حياة المدن، ولكن نظراً لمقتضيات سير الحياة فيما بعد سمح لهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالإقامة في هذه المدن الجديدة، ثم سمح عثمان بن عفان للعرب المسلمين في الجزيرة العربية بالإقامة في البلاد المفتوحة وامتلاك الأراضي فشهدت المدن المختلفة في الأمصار سواء في بلاد الشام أو العراق حركة هجرة واسعة للقبائل العربية، حتى أنهم استقروا فيها وارتبطوا بها وتطبعوا بطباع أهلها، ثم انطلقت منها هجرات نحو خراسان وغيرها من المناطق الفارسية[3]، كما شهدت الكوفة والبصرة قدوم وفود من الفرس بأعداد كبيرة إليها، والجدير ذكره أن الارتباط بين العراق وفارس لم يكن وليد الفتوحات العربية الإسلامية بل هو ارتباط مستمر منذ أقدم العصور نظراً لتجاور الإقليمَيْن معاً، فقد اتخذت الدولة الفارسية الساسانية من طيسفون (المدائن) على نهر دجلة عاصمة لها، وبقي هذا الارتباط وثيقاً خلال العصر الأموي حيث أوكل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى والي الكوفة المغيرة بن

---

[1] البصرة: مدينة شهيرة تقع جنوب العراق عند التقاء نهري دجلة والفرات، وبناها عمر بن الخطاب ﷺ سنة 14هـ/635م لتكون معسكراً للمسلمين في حملاتهم لفتح فارس، وتُعرف بوفرة مياهها وكثرة أنهارها إذ يمر فيها نهر الأبلة ونهر ابن عمر ونهر حسان، كما كثرت فيها البساتين والأشجار، فأصبحت فيما بعد وجهة الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:430، مادة البصرة؛ الحميري. (1984م) ص:105، 106.

[2] الكوفة: أحد مدن العراق وأشهرها وتقع بالقرب من نهر الفرات، وبنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة 17هـ/638م بدعوة من سعد بن أبي وقاص ﷺ، وتميزت بمياهها العذبة ونخيلها الوفير وكثرة بساتينها ومجتمعها مختلط بين الفرس والعرب. الحموي. (د.ت)، ج4 ص490، 491، مادة الكوفة؛ الحميري. (1984م) ص:501؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:152.

[3] المقدسي. (1899م)، ج5 ص:177، 178؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:352؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:182؛ ابن كثير. (1997م)، ج10 ص:33؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:78، 79؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:34، 27.

شعبة[1]ﷺ الإشراف على مدينة الري[2]، كما أوكل إلى والي البصرة عبد الله بن عامر[3] الإشراف على خراسان وسِجستان[4] منذ سنة 41-44هـ/661م-664م.[5]

وهذا ما أدى إلى اختلاط العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين وامتزاجهم معهم اجتماعياً ولغوياً ودينياً، لتصبح كلاً من الكوفة والبصرة فيما بعد محطتان لمرور القوافل التجارية ومركزان مهمان للتبادل التجاري بين فارس والبلاد العربية ونقطتان لقدوم المهاجرين وتبادل أسرى الحروب الوافدين من بلاد فارس والذين انتهى بهم المطاف باعتناق الإسلام، وبالتالي يحصلون على حريتهم ويدخلون في أحلاف أو مصاهرات مع العرب، وقد ساهم اعتناق الكثيرين منهم للإسلام على اختلاف حضارتهم وثقافتهم في التأثير على الحضارة

---

[1] المغيرة بن شعبة: صحابي أسلم سنة غزوة الخندق 5هـ/626م، عُرف بحدة ذكائه ودهائه حتى قيل له مغيرةُ الرأي، وولاه عمر بن الخطاب ﷺ على البصرة ثم عزله فولاه الكوفة حتى عزله عثمان بن عفان ﷺ فولاه معاوية بن أبي سفيان ﷺ على الكوفة مرة أخرى فبقي فيها حتى وفاته سنة 50هـ/670م، وقد شهد فتوح الشام. ابن سعد. (2001م)، ج8 ص:143؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:294، 295؛ المزي. (1983م)، ج28 ص:371، 372.

[2] الري: مدينة تقع قرب خراسان وطبرستان، ولكن تم تخريب المدينة القديمة وبناء الري الجديدة شرقي بغداد، وقد استولى عليها المغول سنة 617هـ/ 1220م ونهبوها وأحرقوها ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:116، مادة الري؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2، ص651؛ الحميري. (1984م)، ص:279؛ لسترنج. (د.ت). ص:251.

[3] عبد الله بن عامر: ابن كُرَيز العبشمي، والي البصرة وفارس سنة 29هـ/646م خلال عهد عثمان بن عفان ﷺ، وصاهر معاوية بن أبي سفيان ﷺ وولي خلال عهده البصرة، وهو مَن افتتح إقليم خراسان، وتوفي سنة 59هـ/678م. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص:48، 49؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:118؛ الذهبي. (2004م)، ص:2408؛ العسقلاني. (1995م)، ج5 ص:14.

[4] سِجستان: إقليم واسع جنوبي هراة وكان يضاهي خراسان، ويتميز بأرضه الرملية السبخة والسهلة حيث لا يُرى فيه جبال، وفيه رياح مستمرة ونخل كثير، وقد عُرف بقوة رجاله وضخامة أجسامهم وصلابتهم. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:190، 191، مادة سجستان؛ الحميري. (1984م)، ص:304، 305.

[5] ابن الجوزي. (1992م)، ج5 ص:212؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:27، 28، 29؛ الصلابي. (2008م)، ص:344.

العربية الإسلامية، حيث أخذ العلماء المسلمون ما نقله هؤلاء معهم من علوم أسلافهم وطوروه وأضافوا إليه محققين ازدهار أوصلهم إلى مصافي الدول في جميع المجالات كالهندسة والطب والرياضيات والفلك وغيرها.[1]

2. الرقيق والسبي والموالي:

عُرف الرق وانتشر عالمياً كنظام اجتماعي عند العرب وغيرهم من الأقوام منذ أقدم العصور، فقد كان الرقيق يُؤخذون من الرجال والنساء على حد سواء، وله منابع كثيرة منها الشراء أو بالغزو على أرض دولة أخرى أو نتيجة الحرب معها، أو من خلال بيع الآباء لأبنائهم نتيجة الفقر والعوز أو عن طريق الدَّين، فإن لم يتمكن المَدين من ردّ دينه للدائن يصبح رقيقاً له، كما يعدُّ أبناء الرقيق وذراريهم أرقاء أيضاً، وكان الرقيق ملكاً لسيدهم فيفقدون حق التصرف بأي شيء حتى بأجسادهم إلا بموافقة سيدهم، بينما يحق للسيد أن يتصرف بمُلكه كيف شاء فله الحق ببيعه أو إهدائه أو عتقه أو الاستمتاع به أو استعماله، كما يحق له إرغام الرقيق من النساء على البغاء مقابل المال أو للإنجاب.[2]

ولسعة انتشار نظام الرق لم يتمكن الإسلام من إلغائه دفعة واحدة بل تدرج في ذلك من خلال وضع حدود واضحة لنظام الرق، حيث حرّم على مالك الرقيق أن يدفع النساء للبغاء كما حرم كل مصادره ما عدا الأسر بالحرب العادلة والرق بسبب الوراثة كما حرّم استرقاق المسلم، وقد حثَّ الإسلام على حسن معاملة الرقيق في المأكل والملبس والتخاطب وجعل تحريرهم تقرُّباً من الله ﷻ وتكفيراً للذنوب، وشجع على إطلاق سراحهم مقابل تحديد فدية ما أو من غير مقابل.[3]

---

[1] الرفاعي. (د.ت)، ص:28؛ ضية. (2016)، ص:38؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:321.

[2] حركات. (1989م)، ص:145؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:80، 121، 122؛ خماش. (1987م)، ص: 145؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:326؛ علي. (1993م)، ج5 ص:574؛ مهران. (1977م)، ص:229.

[3] ابن كثير. (1997م)، ج5 ص:181؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:80، 121، 122؛ خماش. (1987م)، ص:145- 147، 149؛ زيدان. (د.ت)، ج3 ص:327.

وعن شراء الرقيق وبيعهم فقد جُعل لذلك أسواقٌ خاصة سُميت بأسواق النخاسة، بعدما راج في أنحاء الدولة العربية الإسلامية شراء الرقيق ليستخدمهم العرب المسلمون في قضاء حوائجهم سواء في زراعة الأرض أو مساعدتهم في صنائعهم، أو رعاية الإبل والماشية، كما جلبوهم من أجل خدمتهم في بيوتهم وقصورهم.[1]

أما السبي فهم الرقيق من النساء، وقد تم اتخاذ أعداد كبيرة منهن إما للخدمة في قصور العرب وبيوتهم أو للغناء والرقص، وإما للإهداء إذ كان إهداء الجواري من أهم هدايا العرب آنذاك، ونتيجة الإقبال عليهن عمل النخّاسون على جلبهم صغاراً من أقصى بلاد الترك والهند وبيزنطة وغيرها ليربونهن ويعلمونهن وفقاً لمواهبهن، وما إن أنجبت إحدى الجواري ولداً اتخذ منها صاحبها زوجة له.[2]

أما الموالي فهي تسمية أطلقت على الرقيق من غير العرب إن أعتنق الإسلام وأعتقه صاحبه، فينال بذلك المساواة بينه وبين أخيه العربي المسلم ويُلحق بقبيلته، امتثالاً لقول رسول الله ﷺ: "**مولى القوم من أنفسهم**"[3]، وبالتالي فإن العتق لا يقطع الصلة بين السيد ورقيقه بل أصبح بينهما صلة (الولاء) فالمُعتَق مولى للعاتق ينصره ويعتز بقوته إذ أصبحوا كالحلفاء، وقد كثر عدد الموالي في الدولة العربية الإسلامية نتيجة لاستمرار الفتوحات وازدياد عدد الرقيق، فقد كان البعض يبعث بالرقيق بدلاً من الخراج، فيوزع عمال الخراج هؤلاء الرقيق على الناس ممن حولهم على اختلاف طبقاتهم أو يبيعونهم، فمَن يُعتق أو يُنجب منهم يصبح مولى لصاحبه[4]، وقد تزوج الكثير من العرب المسلمين من نساء فارسيات إذ لم يكونوا يمانعون ذلك بسبب إيمانهم الذي يدعو إلى إذابة الفوارق بين الناس، ومن أبرز العرب المسلمين الذين تزوجوا من نساء فارسيات

---

[1] برو. (1996م). ص:172؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:123؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:328. علي. (1993م). ج5 ص:573.

[2] الماوردي. (1989م)، ص:171؛ برو. (1996م)، ص:173؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:92، 127، 128؛ علي. (1993م)، ج5 ص:572؛ مهران. (1977م)، ص:229.

[3] البخاري. (2002م)، ص:1674، رقم الحديث:6761.

[4] الخربوطلي. (1994م)، ص:101، 123؛ خماش. (1987م)، ص:115؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:65؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:329؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:322.

ثلاثةٌ من أبناء صحابة رسول الله ﷺ وهم الحسين بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر ﷺ الذين تزوجوا ثلاثة من بنات آخر ملك للفرس الساسانيين يزدجرد الثالث[1] (10- 31هـ/632- 651م).[2]

والموالاة ليست مدعاة للنقص بل هو شرف يُعطى لصاحبه، إذ أن النسب هو أثمن ما يعتز به الرجل العربي ويمكن أن يقدمه لغيره آنذاك، كما أن التحاق المولى بالقبيلة العربية يمكّنه من المشاركة في القتال والجهاد في صفوفها وذلك يعني فوز لهم بالمجد والشرف حينذاك إلى جانب ما يعود عليهم من عائدات مالية[3]، وقد قال ابن خلدون في ذلك: "**إن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية، فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العِبدان والموالي، والتحقوا بهم ... ضرب معهم أولئك الموالي والمصطَنَعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتهم كأنَّها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمةٌ في نسبها**".[4]

يستنتج من ذلك سماحة العرب المسلمين في قبول غيرهم للانضمام إلى قبائلهم ونسبهم بغية الوصول إلى علاقات اجتماعية قوية معهم ولدرء ما قد ينجم عن الاختلاف من خلاف.

3. اللغة العربية:

أعقب حركة الفتوحات الإسلامية توجه الكثير من أهل البلاد المفتوحة كالفرس الساسانيين والبيزنطيين نحو تعلم اللغة العربية لأسباب عديدة، كرغبة مَن اعتنقوا الدين الإسلامي بالتعمق في تعاليمه وشرائعه ولا

---

[1] يزدجرد الثالث: يقال إنه يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، ويعدُّ آخر ملك للفرس الساسانيين وقد تمت توليته للحكم عندما لم يجدوا أحداً آخر من الأسرة الحاكمة على الرغم من عدم الوثوق من نسبه على وجه التحديد، وقد قُتل سنة 31هـ/651م بعد عشرين سنة من حكمه. المسعودي. (د.ت)، ص:90؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:168؛ بيرنيا. (1992م)، ص:379؛ كريستنسن. (1998م)، ص:488.

[2] الرفاعي. (د.ت)، ص:68؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:328؛ كريستنسن. (1998م)، ص:489.

[3] الرفاعي. (د.ت)، ص:65، 66.

[4] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:169.

سيما بعدما رأوا رحمة العرب الفاتحين وسماحتهم في تعاملهم معهم، فكان سبيلهم في ذلك هو تعلم اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم ولإيمانهم بأنها لغة عالمية تجمع كل المسلمين في مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى أن مجيء العرب المسلمين إلى بلاد غير عربية كفاتحين أو مقيمين واشتراكهم في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة والجيش والخدمة وغير ذلك حتَّم على أهلها تعلم اللغة التي تكلم بها هؤلاء الوافدين للوصول إلى سبيل للتفاهم معهم، كما أن إرادة البعض من غير العرب في تولي بعض المناصب في الدولة العربية الإسلامية دفعهم إلى تعلم لغة العنصر الحاكم، وكان لا بد لاندماج العنصر العربي بغيره من الأجناس من لغة أولية تضمن له أبسط أوجه التواصل بينهما، مما أدى فيما بعد إلى دخول بعض الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية وتداولها عوضاً عن ألفاظ عربية أصيلة وهذا ما سيتم إيضاحه في الفصل الرابع من هذا البحث.[1]

وهكذا فإن اختلاف اللغات لم يشكّل عائقاً أمام اعتناق الإسلام وبالتالي كان اعتناقه من أمم وأقوام ذوي ثقافات مختلفة أدى إلى النهوض بحضارة لم يسبق لها مثيل.

4. الحج:

يعود الحج وقداسة الكعبة المشرفة إلى ما قبل الإسلام حيث كانت القبائل العربية تأتي إلى مكة المكرمة منذ القدم لكونها مركزاً تلتقي فيه كثير من القبائل لأداء واجباتهم الدينية، ففيها أول بيت للعبادة أُقيم للناس وهو الكعبة المشرفة التي رفع قواعدها نبي الله ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، مما أكسب مكة المكرمة مكانتها الكبرى عند العرب وقد ساعدهم في الوصول إليها سهولة طرقاتها والسلام الذي اتفق عليه العرب آنذاك، إذ خصصوا لأنفسهم أربعة أشهر في السنة يحرّمون فيها القتال والمنازعات ويسود بينهم السلام،

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:82، .84؛ أبو النصر. (1948م)، ص:195.

فكان الحج ملتقًى سنوياً لعدد كبير من الناس وبالتالي ازدهرت التجارة في الحجاز وانعقدت الأسواق السنوية كسوق عكاظ[1] وغيره كثير.[2]

وقد أقر الدين الإسلامي الحج كركن من أركانه الخمسة إذ لم يكن الإسلام دعوة عقائدية لتوحيد الخالق فقط، بل دعوة شاملة لإصلاح الفساد على كل الأصعدة ولا سيما الصعيد الاجتماعي، إذ منع الإسلام بالعري أثناء الحج كما رفض الطبقية وحرص على رفض التفرقة بين عناصر المجتمع المختلفة والمتنافرة وعمل على صهرها ضمن بوتقة واحدة، فلا أفضلية لعربي على أعجمي إلا بتقوى تسكن القلوب، فخلال موسم الحج يجتمع العربي مع الأعجمي والغني مع الفقير في مكة المكرمة آتين من مختلف أصقاع الأرض ناقلين معهم عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم وحضاراتهم فيُعرِّفون بأنفسهم ويتعرفون على غيرهم، ويتحقق بذلك أمر الله ﷻ الذي ورد في قرآنه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] فبتعارف الناس على بعضهم يتأثرون ويؤثِّرون ويأخذون ما ينفعهم وينبذون ما دون ذلك فينهضون ويتطورون ويصبحون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.[4]

---

[1] سوق عكاظ: سُمي بذلك نسبة إلى واحة قريبة منه تحمل الاسم نفسه قرب الطائف، وهو من أكبر الأسواق في بلاد العرب وأهمها وكان يُعقد خلال الأشهر الحُرُم فقط من كل عام وكان يتبارى العرب فيه بالشعر ويتفاخرون فيما بينهم بذلك فكلمة عكاظ تعني التفاخر والتجادل. الإدريسي. (2002م)، ج1 ص152؛ السهيلي. (1967م). ج4 ص:24؛ الألوسي. (2009م)، ج1 ص:267؛ حركات. (1989م)، ص:271؛ درادكة. (2011م)، ص:210؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:98، 99؛ معلوف. (1969)، ص:522.

[2] ابن حبيب. (د.ت)، ص:267؛ اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:326؛ الألوسي. (2009م)، ج1 ص:230؛ برو. (1996م)، ص:166؛ العدوي. (1994م)، ص:26، 27؛ مهران. (د.ت)، ص:419، 420.

[3] [الحجرات، الآية: 13].

[4] [آل عمران، الآية: 110]؛ السهيلي. (1967م). ج1 ص:249؛ زكار. (1997م)، ص:315، 314؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:85، 87؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:252

5. العوامل الاقتصادية:

حظيت الامبراطورية البيزنطية بموقع ممتاز وامتداد على مساحات واسعة، فتمتعت بتنوع واختلاف ثرواتها، أما ما احتاجت إليه من مواد فقد استوردته من دول المشرق الأقصى كالهند والصين، وعندما قدمت جيوش الفتح العربي الإسلامي واستعادوا من البيزنطيين كثيراً من المناطق التي كانت تحت سيطرتها لمئات السنين، حافظوا على نشاط الحركة التجارية فيها كما أقاموا علاقات تجارية مع الامبراطورية البيزنطية نفسها، بل ونافسوها في مجال المعاملات الدولية ولا سيما بعدما سك العرب المسلمون عملتهم الخاصة وظهر الدينار الذهبي[1] والدرهم الفضي[2] خلال العصر الأموي.[3]

أما بلاد فارس فقد سطرت بعد الفتح العربي الإسلامي سطراً جديداً في تاريخها حيث انضوت أرضها تحت لواء الدولة العربية الإسلامية واحتك شعبها بالعرب المسلمين، فما لبثوا أن دان الكثير من الفرس الساسانيين بالدين الإسلامي وانخرطوا ضمن المجتمع العربي الإسلامي وأثّروا وتأثّروا ونعموا بالمساواة والعدل.[4]

والجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الفرس قد قدموا إلى بلاد العرب عبر عدة سُبُل واندمجوا معهم على أكثر من وجه، فمنهم من جاء للعمل كالفرس الذي وفدوا بكثرة إلى مدينتي الكوفة والبصرة لسهولة الوصول

---

[1] الدينار: كلمة فارسية معربة تطلق على نقد ذهبي مدوَّر يزن مثقالاً (72 شعيرة) من الذهب المضروب. علي. (1993م)، ج7 ص:629؛ عمارة. (1993م)، ص:225، 510.

[2] الدرهم: كلمة فارسية معربة، وهي اسم عملة من الفضلة ولها شكل مدور، وكان وزنها على عهد رسول الله ﷺ سبعة أعشار المثقال. عمارة. (1993م)، ص:214.

[3] رنسيمان. (1997م)، ص:194، 195؛ الشامي. (2006م)، ص:75، 76؛ ضية. (2016)، ص:36، 37؛ العدوي. (1994م)، ص:120.

[4] عبد الرحيم. (1998م)، ص:220.

إليهما عن طريق ميناء الأبلَّة[1] القريب منهما، ولكونهما مدينتَيْن جديدتَيْن وغير مأهولتَيْن بالسكان، حيث كانت أراضيهما تحتاج إلى مَن يستثمرها ويستصلحها إذ لم يسمح الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ آنذاك للجنود بالسكن فيهما من أجل أن يتفرغوا للجهاد، وبالتالي فقد عمل الفرس الوافدون إليهما في كافة مناحي الحياة ومنها الأعمال البدنية كأعمال النظافة في الطرقات وصناعة الأحذية والحياكة، كما عملوا في التجارة داخل أسواق الكوفة والبصرة طوال العصر الأموي، وقد ساعدهم في ذلك علاقاتهم التجارية الجيدة مع العرب المسلمين في شبه الجزيرة العربية حيث جلبوا منهم الجمال والأغنام المناسبين لأرض السواد في العراق، وبالتالي أصبحت البصرة والكوفة محطتَيْن للقوافل التجارية بين الفرس وعرب شبه الجزيرة العربية.[2]

واستمر ازدياد عدد الفرس حتى شكلوا طبقة اجتماعية خاصة في مدينتَي البصرة والكوفة وتمتعوا بكافة الحقوق والميزات التي تمتع بها العرب في جميع مناحي الحياة، فكان لهم حرية العمل في مختلف الوظائف والمهن والحرف التي تناسب طباعهم وقدراتهم.[3]

6. السفارات والمراسلات بين الدولة العربية الإسلامية والامبراطورية البيزنطية:

جالت الجيوش العربية الإسلامية أصقاع الأرض وركبت البحار لنشر الدعوة الإسلامية وتعريف الناس بها، فوصلت بلاد فارس وما وراء النهر وغزت الامبراطورية البيزنطية وقلصت حدودها، فتمكنت من

---

[1] الأبلَّة: بلدة على شاطئ نهر دجلة بالقرب من البصرة وهي أقدم منها، وكانت مرفأ سفن البحر القادمة من عمان والبحرين وفارس والهند والصين وفُتحت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة 14هـ/635م. الحموي. (د.ت)، ج1 ص77، مادة الأبلة؛ الحميري. (1984م)، ص:8؛ بطاينة. (1987م)، ج2 ص:29.

[2] المقدسي. (1899م)، ج5 ص:177، 178؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:352؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:182؛ ابن كثير. (1997م)، ج10 ص:33؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:321، 322، 328، 336؛ أبو النصر. (1948م)، ص:205، 206.

[3] عبد الرحيم. (1998م)، ص:322، 324، 326.

فتح جزر بحرية عديدة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كقبرص Cyprus[1] بين سنتي 28هـ و32هـ/ 648م و652م، وغزو غيرها أيضاً كجزر صِقِلِّيَّة Sicily[2] سنة 32هـ/652م كما تم غزو جزيرة رودس Rhodes[3] سنة 52هـ/672م في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ وهاجمت القسطنطينية مرات عديدة، وكما كانت الدولة العربية الإسلامية تطمح للقضاء على الامبراطورية البيزنطية فإن الأخيرة أيضاً حملت نفس النوايا إزاء الدولة العربية الإسلامية، ولكن وعلى الرغم من التحركات العسكرية والعداء المتبادل بين الدولتَيْن إلا أن ذلك لم يشكّل حاجزاً في سبيل الاتصال الذي ظل قائماً بحكم الجوار ومسالك الثقافة التي يتعذر منعها، فاتخذت العلاقات بينهما خلال أوقات السلم أشكال عدة –كما سيتم توضيحه بالصفحات التالية– كالمفاوضات والمناظرات العلمية والدينية والمراسلات وتبادل الأسرى والسفراء والخبرات، وقد اهتم الأمويون باختيار سفرائهم إلى الامبراطورية البيزنطية ممن يُعرف عنهم قوة الشخصية والنباهة والذكاء، وكذلك اختار البيزنطيون سفراءهم من أدهى رجال الدين وأعرفهم بأمور دينهم وأقدرهم على النقاش والإقناع، وأتقنهم للغة العربية إلى جانب لغتهم الأم، وكانت كل من الدولتَيْن تزوّد سفيرها بكتاب تعريفي لشخصه والغرض من مقدمه وإذناً في التحدث باسم

---

[1] قبرص: جزيرة في البحر المتوسط تمتاز بغناها بالقرى والمزارع والجبال والأشجار. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:305، مادة قبرس؛ الحميري. (1984م)، ص:453، 454.

[2] صِقِلِّيَّة: جزيرة كبيرة وحصينة تقع في البحر المتوسط مقابل إفريقية (تونس)، وتمتاز هذه الجزيرة بخصوبتها وكثرة قراها ومدنها وغناها بالثروة الحيوانية. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:416، 417، مادة صقلية؛ الحميري. (1984م)، ص:366، 367؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج3 ص:26.

[3] رودس: جزيرة في البحر المتوسط تقع مقابل مدينة الاسكندرية وهي قريبة من جزيرة قبرص، اتخذها البيزنطيون محطة لتصنيع المراكب البحرية. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:78، مادة رودس؛ ابن عبد الحق. (1992م) ج2 ص:640؛ الحميري. (1984م)، ص:278؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج3 ص:22.

بلاده، كما كانت كل منهما تستقبل السفير في أماكن تعكس القوة والثراء والعظمة لينقل ذلك إلى بلاده، وعند رجوعه يُزود بالهدايا الثمينة للدلالة على الاحترام المتبادل والنوايا الحسنة.[1]

ومن ضمن المراسلات مراسلة الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع[2] Constantine VI 48-66هـ/668- 685م للخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ لطلب الصلح معه مقابل أن يدفع لهم مبلغاً مالياً ويأخذ كل طرف من الطرفَيْن رهناً من الطرف الآخر، وفعلاً تم ذلك إلا أن البيزنطيين غدروا بالمسلمين وقتلوا أسراهم بينما اختار معاوية بن أبي سفيان ﷺ إخلاء سبيل أسرى البيزنطيين، كما راسل الامبراطور البيزنطي نفسه معاوية بن أبي سفيان ﷺ لمناظرته في الأمور العلمية والدينية سائلاً إياه عدة أسئلة فأجابه الخليفة إجابات تنم عن ذكائه وسعة ثقافته.[3]

وقد تمت في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ معاهدة بينه وبين الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع سنة57هـ/677م على أن يؤدي معاوية ﷺ للامبراطور البيزنطي مبالغ من المال وبعض الهدايا مقابل إيقاف

---

[1] الطبري. (1967م)، ج4 ص:258، 259؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:468، 469؛ ابن كثير. (1997م)، ج10 ص:228؛ الحارثي. (2022م)، ص:574؛ الصلابي. (2008م)، ص: 403-405؛ عثمان. (د.ت)، ج2 ص:394؛ العدوي. (1953م)، ص:249؛ مصطفى. (1996م)، ص:14.

Constantine VII. (1967). P:83. Browning. (1980), p:45.

[2] قسطنطين الرابع: امبراطور بيزنطي شهد عهده صراعاً شديداً مع العرب المسلمين حيث حاصر الأمويون خلال عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ العاصمة البيزنطية لمدة ست سنوات متواصلة، إلا أن النار الإغريقية ومناعة أسوار العاصمة كانا سبباً في إخفاق الحصار وتراجع العرب المسلمين، ولكنه من جهة أخرى أخفق في هزيمة البلغار على الجبهة الشرقية سنة 50هـ/670م ودفع الجزية لهم، كما عقد خلال عهده المجمع الكنسي السادس والذي أُقر فيه قرارات مجمع خلقدونية عام 452م. نيكول. (2003م)، ص:132، 133.

[3] ابن قتيبة. (2008م)، ج1 ص:297؛ السهيلي. (1967م). ج6 ص:316؛ الحارثي. (2022م)، ص:576، 577؛ الصلابي. (2008م)، ص:402، 403؛ عثمان. (د.ت)، ج2 ص:386، 387.

دعمه للجراجمة[1] وتحريضه لهم لمهاجمة السواحل العربية الإسلامية وغزوها، وفعلاً تنكّر البيزنطيون للاتفاق معهم فقام معاوية بن أبي سفيان ﷺ بالهجوم على الجراجمة والقضاء عليهم إلا قلة قليلة منهم.[2]

ومن هذه المراسلات أيضاً تلك المفاوضات التي دارت بين الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ والامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع أيضاً والتي أسفرت عن عقد صلح سنة 60هـ/679م مدته ثلاثون عاماً بينهما لإنهاء حصار الجيش العربي الإسلامي للقسطنطينية والذي دام ست سنوات منذ سنة 54- 60هـ/673-679م ولم ينجح في تحقيق مبتغاه بإسقاطها، ومما دفعهم إلى الاتفاق عليه هو شعور معاوية بن أبي سفيان ﷺ بدنو أجله فأراد للجيش العودة إلى العاصمة الأموية تحسباً لأي مشكلة قد تواجه ابنه يزيد في استلام السلطة، كما أن الامبراطورية البيزنطية كانت قد أنهكت من حصار الأمويين لها وخبت قواها وأرادت إنهاءه.[3]

وفي سنة 70هـ/689م من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان قام الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني[4] Justinian II بتحريض الجراجمة ضد الدولة الأموية لإثارة الفتن فيها، فاضطر عبد الملك بسبب

---

[1] الجراجمة: هم قوم سكنوا جبل اللكام (الأمانوس) شمال غرب بلاد الشام، وخرجوا عن طاعة الدولة العربية الإسلامية وعرقلوا تقدمها، وأُطلق عليهم اسم المَرَدَة أيضاً لكثرة عصيانهم وخروجهم عن الطاعة. البلاذري. (1987م)، ص:217؛ ابن الأثير. (2012م)، ج2 ص:326؛ أبو النصر. (1936م)، ص:75؛ عثمان. (د.ت)، ج1 ص:343؛ العدوي. (1953م)، ص:108، 109.

[2] ابراهيم، حسن. (2003م)، ص:343؛ أبو النصر. (1936م)، ص:77، 78؛ عاقل. (1969)، ص:122، 123؛ مصطفى. (1996م)، ص:20.

[3] ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:91؛ الحارثي. (2022م)، ص:581؛ ضية. (2016)، ص:20؛ العدوي. (1953م)، ص:251؛ مصطفى. (1996م)، ص:24.

Sahas. (2022), p:364.

[4] جستنيان الثاني: امبراطور بيزنطي حكم مدتّين حيث تمتد الأولى بين 66-76هـ/685-695م والثانية بين 87-93هـ/705-711م، وقد عقد معاهدة مع عبد الملك بن مروان وهاجم السلاف، ودخل في صراع مع البابوية حول مسائل دينية، فثار الشعب من الفئة المتدينة ضده وعزله عن العرش ونفاه، ولكنه عاد إلى عرش الامبراطورية بمساعدة من الجيش البلغاري سنة 86هـ/705م، وعلى الرغم من صلحه مع البابوية إلا أنه اغتيل سنة 93هـ/711م. نيكول. (2003م)، ص:107، 108.

اضطراب بلاده داخلياً إلى عقد معاهدة مع الامبراطورية البيزنطية والتي نصت على أن تدفع الدولة الأموية للامبراطورية البيزنطية مبلغاً ضخماً من المال وحصاناً أصيلاً وعبداً حبشياً كل يوم، وعلى اقتسام إيرادات ولاية أرمينية وقبرص بين الدولتَيْن، وعلى نقل الجراجمة من منطقة الحدود بينهما إلى الداخل البيزنطي، وعلى الرغم من ظهور الدولة الأموية كالطرف الأضعف في هذه المعاهدة إلا أنها في الواقع تخلصت بها من قلاقل الجراجمة.[1]

ويُذكر أنه في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تمت مراسلة بينه وبين الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني عندما كُتب على القراطيس[2] العربية الإسلامية قوله ﷻ: ﴿قُل هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] مع ذكرٍ لرسول الله ﷺ، فكتب له الامبراطور البيزنطي: "**أنكم قد أحدثتم في طواميركم[4] شيئاً من ذكر نبيكم نكرهه، فانْهَ عنه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكره ما تكرهون**"[5]، مما دفع عبد الملك إلى ضرب النقود العربية الخالصة بالإضافة إلى أسباب أخرى.[6]

---

[1] البلاذري. (1996م)، ج7 ص:42؛ البلاذري. (1987م)، ص:218؛ الذهبي. (1990م)، ج5 ص:69؛ ابن كثير. (1997م)، ج12 ص:130؛ أبو النصر. (1962)، ص:102؛ الحارثي. (2022م)، ص:582؛ عمران. (2002م)، ص: 82، 83.

Constantine VII. (1967). P:95.

[2] قراطيس: جمع قرطاس هو ما يُكتب عليه من ورق أو غيره إذا كان مكتوبا فيه وإلا سمي الكاغد. النديم. (2009م)، ج1 ص:47؛ عمارة. (1993م)، ص:450.

[3] [الإخلاص، الآية: 1].

[4] الطوامير: وهي الصحيفة ومفردها طومار. الفيروز أبادي. (2005م)، ص:431؛ الزبيدي. (1998م)، ج12 ص:434؛ معلوف. (1969م)، ص:471.

[5] ابن قتيبة. (2008م)، ج1 ص:296.

[6] العسكري. (1987م)، ص:254؛ القلقشندي. (1922م)، ج6 ص:268؛ الحارثي. (2022م)، ص:577؛ عثمان. (د.ت)، ج2 ص:387.

7. الأسواق:

تشغل الأسواق دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية لأي دولة، لأنها تعد مراكز عمليات التبادل التجاري من بيع وشراء، ولدورها الواضح في الحياة الاجتماعية فهي مواطن تجتمع فيها الناس على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم كالبائعين والمشترين من التجار، وكذلك المستهلكين من الفقراء والأغنياء ومتوسطي الحال، كما يلتقي الناس فيها ببعضهم البعض بغض النظر عن أديانهم وجنسياتهم، فالمسلم يتعامل مع غير المسلم، والعربي يتفاوض مع الأعجمي، بعيداً عن الولاة والحكام، وهذا فضلاً عن دور الأسواق في الحياة السياسية أيضاً إذ لطالما نجمَ عن التقاء هذا الجمع من الناس بعيداً عن رقباء الحكومة تدبير للمؤامرات وتخطيط للفتن، لذلك فرضت الدولة العربية الإسلامية رقابة شديدة على الأسواق، ووضعت لها المحتسب الذي أوكلته بمهمة مراقبة وتفتيش عمليات البيع والشراء ومنع الغش والتدليس ولا سيما في الأسعار والموازين، وحافظت الدولة العربية الإسلامية على حقوق التجار وأمانهم بأن أمرتهم بنقل بضاعتهم إلى المخازن بعد غروب الشمس وخلو الأسواق من المارّة لتترك فيها الحراس من أجل حمايتها، وبسبب اهتمام الولاة الشديد بمراقبة الأسواق وسير العمل فيها ولحرص الإسلام على ضبط أصول المعاملات فيها لم يكتفوا بالمحتسب كرقيب عليها فقط بل أشرفوا بأنفسهم على الأسواق حيث نزلوا وجالوا فيها اقتداء برسول الله ﷺ الذي نزل السوق بنفسه، كما وضعوا للحركة داخل السوق من التشريعات والقوانين ما يحافظ على العدل والصدق والأمانة ويمنع الربا والغش بالميزان وفقاً لما جاء ضمن التشريعات الإلهية والسنّة النبوية،[1] وقد اشتهرت الكثير من الأسواق في العصر العربي الإسلامي إلا ان أشهرها كان لتجارة الرقيق حيث خُصصت أسواق خاصة لذلك بسبب رواج هذه التجارة في الدولة العربية الإسلامية وسُميت بأسواق النخاسة إذ أكثر العرب المسلمون من شراء الرقيق لمساعدتهم في قضاء حاجاتهم في الزراعة وبعض الصنائع ورعاية الماشية والخدمة داخل المنازل وغيرها.[2]

---

[1] الألوسي. (2009م)، ج3 ص:387؛ حركات. (1989م)، ص: 270، 271؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:200-202.

[2] الخربوطلي. (1994م)، ص:123؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:328؛ علي. (1993م). ج5 ص:573.

وقد عرف العرب قبل الإسلام العديد من الأسواق وعملوا بالتجارة وبرعوا فيها منذ أقدم الأزمنة، وأهمها سوق عكاظ قرب الطائف، وهو من أكبر الأسواق في بلاد العرب لما يجتمع فيه من قبائل الشمال مع قبائل الجنوب من أجل التبادل التجاري، ولتفرع الطرق المؤدية إلى اليمن وبلاد الشام والخليج العربي والعراق من خلاله، وكان يُعقد هذا السوق خلال الأشهر الحُرم[1] من كل عام ويقصده العرب بالآلاف فاختلطوا ببعضهم على اختلاف جذورهم وتبادلوا السلع والبضائع وتباروا في الشعر والروايات وتفاخروا فيما بينهم، ومن أهم بضاعة هذا السوق كانت البُرد والأصبغة والبخور والأحجار الكريمة والتوابل والعطور من اليمن، واللؤلؤ من البحرين والزيوت والزبيب والقمح والزجاجيات والأدوات الذهبية والفضية من بلاد الشام، والخمور من غزَّة[2]، ويبيع أهل شبه الجزيرة العربية الصوف والسمن والوبر والحيوانات كالجِمال والغنم والجلود وغيرها.[3]

وكذلك مدينة الحيرة التي ساعدها موقعها المهم عند ملتقى طرق التجارية العالمية أن تصبح واحة مزدهرة على جميع الأصعدة، فالتقت فيها الثقافة الفارسية والإغريقية والسريانية[4] بواسطة الأسرى البيزنطيين الذين وقعوا بأيدي الفرس الساسانيين فنقلوا معهم علومهم وتراثهم وآدابهم وفنونهم والتي انتقلت بدورها إلى جزيرة العرب عبر التجار العرب وشعرائهم، فما امتلكه الفرس الساسانيون والبيزنطيون آنذاك من أوانٍ وأطباق فضية

---

[1] الأشهر الحُرُم: انتشر بين العرب قبل الإسلام قوم يفعلون المنكرات والمظالم إذا دخلوا الأسواق، كما كان منهم مَن اندفع لنصرة المظلوم ومنع سفك الدماء فيلبسون السلاح للدفاع عن الناس، وكان العرب جميعاً من كلا الطرفَيْن يضعون أسلحتهم أي يمتنعون عن القتال خلال أربعة أشهر في السنة وهي ذي القعدة وذي الحجة ورجب والمحرم. اليعقوبي. (2010م)، ج1 ص:326.

[2] غزَّة: تقع مدينة غزة في فلسطين جنوب مدينة يافا، وتشرف على البحر المتوسط، وهي من المدن التاريخية العريقة إذ فتحها عمرو بن العاص ﷺ عام 15هـ/636م. الإدريسي. (2002م)، ج1 ص:251؛ الحموي. (د.ت)، ج4 ص:202؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:126.

[3] الإدريسي. (2002م)، ج1 ص152؛ السهيلي. (1967م). ج4 ص:24؛ الألوسي. (2009م)، ج1 ص:267؛ برو.(1996م)، ص:247؛ حركات. (1989م)، ص:271؛ درادكة. (2011م)، ص:210؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:98، 99.

[4] السريانية: هي لغة السريان الذين يعدّون سكان سورية الأصليين، وهم امتداد للآراميين الذين سكنوا المنطقة منذ آلاف السنوات. عبده. (2002م)، ص:26.

وأسرَّة وكؤوس فضية وذهبية ومطرزة برسوم الحيوانات والأزهار عكس تطور فنونهم وصناعاتهم وجمال الطبيعة التي كانت تحيط بالحرفي.[1]

8. الترجمة:

اتجه المسلمون بعد أن استقرت حركة الفتوحات نحو العلم بشتى السُبُل وذلك بسبب حث الإسلام على البحث والتفكير وإعمال العقل، إلى جانب رغبة غير العرب في تعريف العرب على حضارتهم وتراثهم العلمي والثقافي وما وصلوا إليه من تقدم فكري، وتذكير الأجيال القادمة من الأصل غير العربي بماضيهم وآثار أجدادهم خشية يندثر تراثهم أمام المد اللغوي العربي، فما وجدوا من وسيلة سوى حفظه ولو بلغة العصر وهي اللغة العربية فترجموها واعتنوا بنقلها، كما أن اختلاط الأقوام والأجناس المختلفة ببعضها وتأثرهم بعاداتهم ومأكلهم ومشربهم أدى إلى ازدياد الأمراض واختلاف أنواعها، فاستعان العرب المسلمون بعلم القدماء وخبرتهم في مجال الاستطباب.[2]

وقد ظهرت بواكير الترجمة في العصر العربي الإسلامي خلال عصر الرسول ﷺ في المراسلات السياسية وذلك عندما أرسل الرسائل إلى حكّام الدول في عهده كالملك كسرى أبرويز وامبراطور بيزنطة هرقل يدعوهم فيها للإسلام، إذ كانت هذه الرسائل تُكتب أولاً باللغة العربية ثم تُترجم إلى لغات من أُرسلت له بواسطة المترجمين، ولعل أبرز هؤلاء المترجمين هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ الذي كان يكتب ويقرأ لرسول الله ﷺ ولأبي بكر ﷺ وعمر ﷺ من بعده، لتنشط الترجمة فيما بعد في جميع المجالات ولم تقتصر فقط على المراسلات السياسية، مما يعكس ضرورة تعلم لغات أخرى غير العربية.[3]

---

[1] طقوش. (2009م–ب)، ص:407؛ العتابي. (2013م)، ص:124، 287.

[2] أبو النصر. (1948م)، ص:193، 194؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:65، 67، 68.

[3] ابن سعد. (2001م)، ج2 ص:310؛ المزي. (1983م)، ج10 ص:25، 28؛ ابن كثير. (1997م)، ج11 ص:170؛ الخزاعي. (1985م)، ص:181؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:87؛ الشطي. (1963م)، ص:191.

وقد كان للسريان في بلاد الشام الأثر الأكبر في ازدهار الترجمة، وهم المسيحيون من أتباع المذهب النسطوري المخالف لمذهب الامبراطورية البيزنطية، والذين تجمعوا في مدينة الرُّها هرباً من اضطهاد الامبراطورية لهم فأنشأوا فيها مدرسة خاصة بهم، ولكن إغلاق الأباطرة الرومان لهذه المدرسة دفع النساطرة إلى الهجرة نحو فارس وتأسيس مدرسة لهم في مدينة نصيبين[1]، ليطلقوا على أنفسهم تسمية السريان نسبة إلى سورية وقد تكلموا بالسريانية التي تعد إحدى لهجات اللغة الآرامية من أجل أن يتميزوا عن الآراميين الذين ظلوا على وثنيتهم، فعمل السريان على التبشير بالمسيحية ونشرها على المذهب النسطوري باللغة السريانية.[2]

وقد اجتهد السريان في ترجمة المعارف الفارسية والإغريقية إلى العربية فشكلوا الرابط بينهما والجسر الذي نقل الحضارة الفارسية والإغريقية إلى العرب المسلمين عن طريق الترجمة إلى اللغة السريانية أولاً ومنها إلى اللغة العربية، فسادت اللغة السريانية وحظي أصحابها بالاحترام والتقدير، إلا أنه تخلل بعض كتاباتهم شيئاً من الخلط وعدم الدقة مما أدى إلى تبدل المعاني وتغييرها، لذلك ما لبث المسلمون أن اكتشفوا هذا الضعف وعملوا على تعلُّم اللغة الإغريقية ليترجموا من تراثها مباشرة كما بعثوا السفارات للاطلاع على دراساتهم ونتائج أبحاثهم وتجاربهم وترجمتها بأنفسهم.[3]

وقد استمرت الترجمة بالتطور والازدهار في العصر الأموي إذ عُرف عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ حب الاطلاع على سياسات الملوك وسِيَرهم، فجعل لديه مَن ينسخ له الكتب ويترجمها عن الإغريقية واللاتينية وحتى الصينية، كما اشتهر حفيده الأمير خالد بن يزيد بن معاوية الذي توفي سنة 85هـ/704م

---

[1] نصيبين: إحدى مدن الجزيرة الفراتية تقع بين دجلة والفرات، تكثر فيها الأنهار والبساتين والخيرات، وسكنها العرب من قبائل ربيعة من بني تغلب قبل الإسلام، امتازت بأسواقها وتجارتها المزدهرة ومهارة صُنّاعها، وقد تم افتتاحها في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة 18هـ/639م. الحموي. (د.ت)، ج5 ص:288، 289، مادة نصيبين؛ الحميري. (1984م) ص:577.

[2] بارتولد. (2013م)، ص35، 36؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:47، 48؛ أبو النصر. (1948م)، ص:190.

[3] بارتولد. (2013م)، ص:51؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص: 49، 50، 51؛ الشطي. (1963م)، ص:191؛ العتابي. (2013م)، ص:292؛ العدوي. (1951م)، ص:139.

بحب العلم والاطلاع فاستقدم المترجمين من الاسكندرية وغيرها إلى دمشق فكثرت ترجمات الكتب، ولا سيما كتب الطب والفلك والفلسفة والصنعة (الكيمياء) حيث أمر جماعة من الفلاسفة الإغريق ممن قدموا إلى بلاد العرب بترجمة كتب الصنعة من الإغريقية إلى اللغة العربية[1]، ويُذكر أن الخليفة مروان بن الحكم[2] (64-65هـ/684-685م) قد كلَّف طبيباً سريانياً يدعى ماسرجويه[3] سنة 64هـ/683م بترجمة موسوعة من ثلاثين بحثاً في الطب لأحد علماء الاسكندرية اسمه أهرون بن أعين من السريانية إلى اللغة العربية،[4] وقد شهدت الترجمة أقصى ازدهار لها حين عمد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى ترجمة الدواوين والعملة إلى اللغة العربية.[5]

9. الاعتماد على الموظفين الأجانب:

حافظ العرب المسلمون على ثمار تجارب الفرس الساسانيين والبيزنطيين الطويلة في مجال النظم الإدارية واستفادوا من خبرتهم في ذلك، فعندما انسحب الفرس الساسانيون ممن ينتمون إلى الأسرة المالكة

---

[1] ابن قتيبة. (1969)، ص:352؛ النديم. (2009م)، ج3 ص139؛ بارتولد. (2013م)، ص:51؛ الرحيم. (1995م)، ص:71؛ الشطي. (1963م)، ص:192؛ ضية. (2016)، ص:53؛ الجبوري. (د.ت)، ص:140؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:90، 92، 95؛ العدوي. (1994م)، ص:155.

[2] مروان بن الحكم: ابن أبي العاص بن أمية، قُبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني سنوات، وقد عمل كاتباً لعثمان بن عفان ﷺ خلال خلافته، ودافع عنه أثناء حصاره في الدار، وبايعه المسلمون للخلافة في الجابية في بلاد الشام سنة 64هـ/683م بعد معاوية بن يزيد بن معاوية الذي حكم عدة أشهر فقط حيث تُوفي سنة 65هـ/684م. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص:39، 40، 45؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:353؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:681؛ المزي. (1983م)، ج27 ص:388، 389.

[3] ماسرجويه: طبيب من معتنقي الديانة المسيحية وعُرف بسعة علمه في الطب وترجم كتاب الطب لأهرون بن أعين. ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:279.

[4] الشطي. (1963م)، ص:192؛ العدوي. (1951م)، ص:141.

[5] الجهشياري. (1938م)، ص:23؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:192؛ عثمان. (د.ت)، ج3 ص:259؛ العدوي. (1994م)، ص:155، 156؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:97.

والنبلاء من الأقاليم الفارسية بعد هزيمتهم أمام الجيوش العربية الإسلامية الفاتحة وإدراكهم أن قوة الدولة الفارسية الساسانية لن تقوم لها قائمة بعد ذلك، تركوا أراضيهم من دون مالك شرعي لها، فصادرتها الدولة العربية الإسلامية وأعطت الحق في التحكم فيها للخليفة فقط، أما المدن والأراضي والضياع الصغيرة فقد أبقوها بأيدي أمرائها وأصحابها بعد أن قبل العرب المسلمون عرضهم للصلح على أن يؤدوا الخراج عنها، وأقروا نفس المرازبة الذين كانوا يعملون في إدارة المقاطعات المحلية التي تتألف منها الولاية كما لم يغيروا الدهاقين العاملين في جباية الخراج. [1]

وربما قاموا بذلك لأن محاسبة الفرس الساسانيين إن أخطؤوا تكون أيسر من محاسبة العربي الذي يحتمي بقبيلته وعصبيته، كما أن جباية الأموال من الناس كثيراً ما يعرض المسؤول عنها لغضبهم وسخطهم وبالتالي فإن الاعتماد على الموالي يجنب العمال الأمويون ذلك، ومن جهة أخرى لم يمتنع الفرس الساسانيون عن أداء هذه المهمات فقد وجدوها سبيلاً للتكتل على أنفسهم وفرصة لاحتكار الوظائف بينهم والحفاظ على أسرارها بعيداً عن العرب.

أما على الجبهة البيزنطية فلم يكتفِ الأمويون بإحاطة الامبراطورية بطوق عسكري عربي إسلامي لتأمين الحدود، بل عقدوا معاهدات مع جماعات من غير المسلمين كانت تسكن تلك المناطق كالجراجمة سالفي الذكر والذين استخدمهم الأمويون في نقل أخبار البيزنطيين إليهم لكونهم مسيحيين مثلهم ومواطنين بيزنطيين قبل الفتح العربي الإسلامي، إلا أن ولاءهم بقي متذبذباً بين العرب المسلمين والبيزنطيين إذ لطالما كانوا حجر عثرة في طريق الفتوحات العربية الإسلامية باتجاه الشمال[2]، كما استعان الخلفاء الأمويون بالعمال البيزنطيين ولا سيما في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ عندما اتخذ من البيزنطيين كاتباً له ومستشاراً

---

[1] الرفاعي. (د.ت)، ص:89، 93، 94؛ عمر. (1989م)، ص:31.

[2] عثمان. (د.ت)، ج1 ص:370؛ مصطفى. (1996م)، ص:20.

مالياً وهو سرجون بن منصور الرومي[1]، وكذلك طبيباً خاصاً به وهو ابن أُثال المسيحي[2] الذي ولاه فيما بعد خراج حمص[3]، كما استقدموا فيما بعد الحرفيين من القسطنطينية لتزيين قبة مسجد قبة الصخرة في فلسطين بالفسيفساء حيث رسموا بها النباتات والفواكه والعروش دون تجسيد للبشر حسب الأنماط الفارسية الساسانية والبيزنطية، بينما زينوا المسجد الأموي في دمشق بالفسيفساء أيضاً ولكن كان في معظمه على النمط البيزنطي.[4]

ثالثاً: اندماج العرب المسلمين مع الفرس الساسانيين ومظاهره:

شكّلت الدولة الفارسية الساسانية إحدى كفتَي ميزان القوى في العالم القديم والتي كانت الامبراطورية البيزنطية كفته الأخرى، ولذلك فإن انتصار الدولة العربية الإسلامية عليهما لم يكن أمراً سهلاً أو متوقعاً بل كان أمراً أشبه بالمستحيل، وما يثير التعجب هو كيفية حصول هذا الانتصار الغريب ولا سيما على الجانب الفارسي الساساني إذ لم يستطع العرب المسلمون الانتصار فقط على جيوشهم التي تفوقهم عدداً وقوة وتنظيماً بل والقضاء على دولتهم وطي صفحتها إلى الأبد!

فقد عانى المجتمع الفارسي الساساني من تسلط وبطش الملوك جرّاء حكمهم المطلق ومن نظام الطبقية بأبشع صوره إذ لا يُسمح لأفراد أي طبقة في الخروج منها والانضمام إلى طبقة أخرى، كما كان لكل

---

[1] سرجون بن منصور الرومي: كاتب الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد والخليفة عبد الملك بن مروان، وكان مسيحياً ثم أسلم. الجهشياري. (1938م)، ص:24، 31؛ المسعودي. (د.ت)، ص:262؛ ابن عساكر. (1995م)، ج20 ص:161؛ الصفدي. (2000م)، ج15 ص:239.

[2] ابن أُثال: طبيب اتخذه معاوية بن أبي سفيان ﷺ طبيباً خاصاً به وهو من معتنقي الديانة المسيحية، وقد كان خبيراً في الأدوية المفردة والمركبة وفوائدها وعالم بالسموم، فاستعان به معاوية بن أبي سفيان ﷺ في التخلص من خصومه. ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:171، 172، زغلول. (1975م)، ص:147.

[3] ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:171، 172؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:92؛ الصلابي. (2008م)، ص:403؛ العدوي. (1951م)، ص:152؛ كرد علي. (1934م)، ص:78.

[4] Vryonis. (1971), p:.220

طبقة اجتماعية معابدها الخاصة، وكذلك حُصر تعلُّم القراءة والكتابة وتعليمها للطبقات العليا من المجتمع كرجال الدين.[1]

ولعل ذلك هو ما رسّخ التفرقة بين أفراد المجتمع حيث لم يعد هناك ما يجمعهم، فلا عقيدة توحّدهم ولا حكومة تعدل بينهم وتضمن ترابطهم ضد عدوهم المشترك، فتولَّد لديهم كرهاً دفيناً في نفوسهم لاستمرار ما هم عليه، وبالتالي نقم الجنود الفرس الساسانيون على حكوماتهم ووقفوا إلى جانب العرب المسلمين ضدها إذ رأوا فيهم منقذاً لهم، وفي سياستهم المرنة التي اتُّبعت معهم خلال عصر صدر الإسلام سبيلاً للنجاة، وبالتالي كان ذلك أهم أسباب سرعة انهيار الدولة الفارسية الساسانية وتثبيت دعائم الدولة العربية الإسلامية في بلاد فارس.[2]

وعلى الرغم من ذلك لم يتخلَّ الفرس الساسانيون كالدهّاقين ورجال الدين ممن تمتعوا بالحصانة والمكانة خلال العصر الفارسي الساساني عن نزعتهم الشعوبية المتعالية بسهولة، فقاوموا الاختلاط والتمازج مع العرب ووقفوا ضد نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في فارس ولا سيما أن الجنود العرب المسلمين قد هاجروا مع عائلاتهم إليها لتلك الغاية، وبالتالي فإن عملية الامتزاج سارت بخطى بطيئة ومتعثرة ولكن إلى الأمام[3] من خلال مشاركة الفرس العربَ في جميع المناسبات والاجتماعات وحضور الاحتفالات وموائد الطعام ومن خلال تقديم التهاني لبعضهم في الأعياد إذ احتفل العرب المسلمون بعيدَي الأضحى والفطر، كما احتفل

---

[1] مطهري. (1997م)، ص:93.

[2] عمر. (1989م)، ص:32؛ مطهري. (1997م)، ص:93، 94.

[3] عمر. (1989م)، ص:33، 34.

الفرس بعيدَي النيروز[1] وهو أول أيام الربيع وعيد المهرجان[2] الذي يمثل بداية الشتاء، كما قدَّموا لبعضهم واجبات العزاء وشاركوا في الجنازات والمآتم.[3]

يُستنتج مما سلف أن قيام الدول وفرض نفوذها قد يكون أمراً ميسوراً إذا ما تمت مقارنتها بإمكانية استمراريتها، فإن بقاء الدول والمحافظة على قوتها ونفوذها يعتمد على عدة أركان أهمها ضمان اتحاد أفراد الشعب حول عقيدة أو فكرة ما، ثم اتحادهم لصالح السلطة الحاكمة التي تعمل على تحقيق العدل والمساواة في الحقوق وتوزيع الثروات بينهم، فلا البطش ولا الظلم ولا احتباس الثروات بين الطبقات العليا يضمن بقاء الدول واستمراريتها.

---

[1] عيد النيروز: هو تعريب لكلمة نوروز ومعناها اليوم الجديد لأن الجديد في لغتهم معناه نو واليوم هو روز، ويمثل أول أيام الربيع وأول أيام السنة، وعدّه الفرس عيداً يحتفلون به بإيقاد النار ورش الماء وتبادل الهدايا، ومدته عندهم ستة أيام والسادس منها هو النيروز الكبير، وقد كان الملوك في الأيام الخمس الأولى يقضون حوائج الناس ويمضون الوقت في مجالسهم مع خواصّهم. الجاحظ. (د.ت)، ص:146؛ المسعودي. (د.ت)، ص:184؛ الألوسي. (2009)، ج1 ص:348، 349؛ الخربوطلي. (1994م)، ص: 171.

[2] عيد المهرجان: عيد للفرس يقع في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الأول، ومدته ستة أيام ويُسمى اليوم الثالث بالمهرجان الأكبر، وسبب تسميته أن الفرس القدماء كانوا يسمون شهور السنة بأسماء ملوكهم ومن بينهم ملك ظالم يسمى مهرا وقد مات في منتصف الشهر الذي يسمونه مهرماه، ومعنى ماه هو القمر فسمّوا ذلك اليوم مهرجان وجان هو السلطان والمعنى الكلي هو نفس مهر ذهبت. الجاحظ. (د.ت)، ص:146؛ المسعودي. (د.ت)، ص:18؛ الألوسي. (2009)، ج1 ص: 352.

[3] الخربوطلي. (1994م)، ص:169، 170؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:334، 338.

الفصل الثالث: أوجه التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أوجه التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري:

أولاً: اعتماد الدولة العربية الإسلامية على التقسيم الإداري الموجود في بلاد الشام ومصر.

ثانياً: إنشاء الدواوين:

1. ديوان الجُند.
2. ديوان الخراج.
3. ديوان الخاتَم.
4. ديوان الرسائل.

ثالثاً: إنشاء نظام البريد.

رابعاً: وظيفة الحاجب واتخاذ الحرس وإنشاء المقصورة.

خامساً: استحداث منصب ولي العهد.

سادساً: إبداء مظاهر الفخامة والأبّهة لدى الخلفاء وفي مجالسهم.

أوجه التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية في المجال الإداري:

خضع العالم بنصفه الشرقي للدولة الفارسية الساسانية بينما قبع نصفه الغربي منه تحت السيطرة البيزنطية لقرون طويلة، وانقسم العرب ما بين مؤيد وداعم لفارس الساسانية وبين موالٍ وحليف لبيزنطة، ونظراً لحكم جوار البلاد احتكت الشعوب ببعضها واستقبلت كل جهة منهم رعايا من الدول الأخرى، فجمعت بينهم علاقات مختلفة منها سلمي وتجاري ودبلوماسي ومنها عدائي وحربي واستعبادي أيضاً، ولأن الغَلَبة للأقوى فقد تطبَّع العرب بطابع حكّامهم وتعلموا لغتهم وتأثروا بأنظمتهم وثقافتهم ومعتقداتهم وأفكارهم على الرغم من رسوخ الحضارة العربية وعمق جذورها في التاريخ.[1]

إلا أن شبه الجزيرة العربية قد شهدت مع بزوغ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ولادة الدعوة العربية الإسلامية التي آمن بها بعض القوم وتمسكوا بمبادئها والتفوا حول رسولها الكريم ﷺ، فكانوا معاً قوةً وأداةً لإنهاء الظلم والتعسف، إذ انطلقوا بقيادته ثم بقيادة خلفائه داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها حاملين معهم لواء هذا الدين الجديد لتحرير الناس من عبوديتهم للخَلق ودعوتهم لإخلاص عبوديتهم للخالق، فاستطاع العرب المسلمون بخطى ثابتة وخطط محكمة القضاء على الدولة الفارسية الساسانية بجيوشها الجرارة وهزيمة الامبراطورية البيزنطية المخضرمة بالحروب، ليقيموا دولتهم الجديدة على الأسس والمبادئ التي نصت عليها الشريعة الإسلامية، ولحداثة عهد هذه الدولة بأمور الحكم والإدارة عالج الخلفاء المسلمون المشكلات التي تعرضوا لها من خلال استعانتهم بخبرات الدول الأخرى وتجاربهم السالفة مستفيدين من سماحة الدين الإسلامي في الانفتاح على الحضارات الأخرى والاستقاء منها ما لا يتعارض مع ثوابته.

---

[1] العتابي. (2013م)، ص:256، 257.

وبالتالي كان للفرس الساسانيين والبيزنطيين أثر على الحضارة العربية الإسلامية في جميع المجالات ولا سيما الإدارية والاقتصادية والاجتماعية منها، أما على الصعيد الإداري فقد تجلى أثرهم في:

أولاً: اعتماد الدولة العربية الإسلامية على التقسيم الإداري الموجود في بلاد الشام ومصر:

أجرى الأباطرة البيزنطيون عدة إصلاحات على النظام الإداري والعسكري البيزنطي، وقد كان أولها على يد الامبراطور دقلديانوس[1] Dcocledianus (284– 305م) الذي فصل السلطة المدنية عن العسكرية في الامبراطورية البيزنطية وأقام قوة عسكرية دائمة في مناطق الحدود بحيث يتقاضى جنودها أجورهم من إنتاج الأرض، ثم لجأ الامبراطور موريس إلى جعل الإدارة المدنية في يد الحاكم العسكري وهو الأرخون، ثم قام الامبراطور هرقل من بعده بتقسيم أقاليم الامبراطورية إلى ثغور أو ثيمات برئاسة حاكم عسكري.[2]

وبناءً على ذلك فقد قُسمت بلاد الشام إلى ثلاثة أقسام إدارية كبرى لكونها إحدى أهم الولايات البيزنطية، فيسهل حكمها والتحكّم بها، وهذه الأقسام هي:

---

[1] دقلديانوس: ولد عام 245م وعمل ككاتب ثم كقنصل ثم تولى وظيفة قائد حرس القصر الامبراطوري حيث بزرت كفاءته العسكرية في الحرب ضد فارس، ولذلك بعد وفاة الامبراطور نومريانوس Numerianus (283–284م) اعتلى العرش وقام بمجموعة من الإصلاحات، وانتهى عهده بالاعتزال عام 305م. عمران. (2000م)، ص:20، 21.

[2] أحمد. (2010م)، ص:42؛ ساليفان. (1985م)، ص:58؛ العريني. (1982)، ص:110، 111؛

Morgan. (2007), P72. Ostrogorsky. (1968), P95,96,98. Reinink. (2002) P6.

أولاً: قسم سوريا الذي تألف من قسمَيْن وهما:

- سوريا الأولى (Syria Prima): وعاصمتها أنطاكيا، وأهم مدنها سلوقية Seleucia ولاودكيا (اللاذقية[1]) Laodicea وجبلة[2] Gabila.
- سوريا الثانية (Syria secunda): ومركزها أفامية، وتضم أبيفانيا (حماة[3]) Epiphania وأرتيوسة (الرستن) Arethsa ولاريسا (شيزر[4]) Larissa.

[1] اللاذقية: مدينة تقع على ساحل بلاد الشام غربي مدينة جبلة، أسس الفينيقيون المدينة فيها وحكمها الرومان حتى فتحها العرب المسلمون سنة 17هـ/638م ولها مرفأ على البحر المتوسط. البكري. (د.ت)، ج4 ص:1147؛ الحموي. (د.ت)، ج5 ص:5،6؛ الحميري. (1984م)، ص:507؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:157.

[2] جَبَلَة: مدينة قرب اللاذقية على ساحل البحر المتوسط الشرقي، وهي مدينة معروفة بقلعتها الضخمة، فتحها عبيدة بن الصامت ﷺ بأمر من أبي عبيدة بن الجراح ﷺ سنة 17هـ/638م. البكري. (د.ت)، ج2 ص:365. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:105.

[3] حماة: مدينة كبيرة تقع في شمال غربي بلاد الشام على ضفاف نهر العاصي، وهي مدينة قديمة كدمشق وحلب ويحيط بها سور قديم وفيها قلعة ضخمة، وتُعرف بكثرة خيراتها ونواعيرها المقامة على نهر العاصي فتستقي الماء منه لتسقي البساتين، افتتحها عبادة بن الصامت صلحاً بأمر من أبي عبيدة بن الجراح ﷺ سنة 17هـ/638م. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:300؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:423؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:76، 77.

[4] شَيْزَر: مدينة في بلاد الشام قرب حماة فتحها أبو عبيدة بن الجراح ﷺ صلحاً بعد حماة سنة 17هـ/638م. البكري. (د.ت)، ج3 ص:818؛ الحموي. (د.ت)، ج3 ص:383، مادة شيزر. الحميري. (1984م)، ص:352.

ثانياً: قسم فينيقيا الذي شمل قسمَيْن أيضاً هما:

- فينيقيا الأولى البحرية (Phoenicia Prima): وعاصمتها صور[1] Tyre وأشهر مدنها بتولمايس (عكّا[2]) Ptolemais وصيدا[3] Sidon وبيروت Berythus وجبيل[4] Byblus وطرابلس الشام[5] Tripoli وأرواد[6] Aradus وغيرها.

[1] صور: مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط وتحيط بها مياهه من جميع الجوانب إلا واحد، مما يمنح موقعها حصانة طبيعية، وكانت ميناءً بحرياً فينيقياً، واشتهرت بصناعة الصباغ الأرجواني، افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:433، مادة صور؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:856؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:118.

[2] عكّا: مدينة تاريخية تقع شمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط الشرقي تمتاز بحصانتها، فتحها عمرو بن العاص ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة 15هـ/636م. المقدسي. (1991م)، ص:162؛ الحموي. (د.ت)، ج4 ص:143، مادة عكّة؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:954؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:124.

[3] صيدا: مدينة تقع شرقي صور على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:437، مادة صيداء؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:859؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص118.

[4] جبيل: بلد مشهور شرقي بيروت فتحه المسلمون على يد يزيد بن أبي سفيان. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:109، مادة الجُبيل؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:314.

[5] طَرَابُلُس الشام: تقع مدينة طرابلس على الساحل الشرقي للبحر المتوسط في شمال غربي بلاد الشام، وفيها ميناء يمتاز بنشاطه التجاري، وفتحها عمرو بن العاص ﷺ سنة 23هـ/643م، واسمها ذو أصل روماني ومعناه ثلاث مدن. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:25، مادة طرابلس؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:882؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:120.

[6] أرواد: جزيرة في البحر المتوسط فتحها المسلمون سنة 54هـ/673م في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:162، مادة أرواد؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:61.

- فينيقيا الثانية (المقابلة لجبال لبنان): وعاصمتها دمشق Damascus وأشهر مدنها حمص Homs وتضم تدمر Palmyra وهليوبولس (بعلبك[1]) Helioupolis.

ثالثاً: قسم فلسطين الذي ضم ثلاثة أقسام وهي:

- فلسطين الأولى (Palestina prima) هي المنطقة الوسطى الساحلية وعاصمتها قيسارية الشام Caesarea وشملت نيابوليس (نابلس[2]) Neapolis وجوبا (يافا[3]) Joppa وغزة Gaza وعسقلان[4] Ascalon وبيت المقدس.
- فلسطين الثانية (Palestina secunda) وهي المنطقة الشمالية الساحلية وعاصمتها سكيتوبوليس (بيسان[5]) scythopolis وأهم مدنها طبرية[6] Tiberias.

---

[1] بعلبك: تقع في إقليم البقاع قريبة من دمشق، وهي إحدى أهم وأقدم المدن التاريخية في بلاد الشام، وقد بناها الرومان عام 64 ق.م، وفتحها أبو عبيدة بن الجراح ﷺ صلحاً. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:453، 454، مادة بعلبك؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:208؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:42.

[2] نابُلُس: مدينة لها امتداد طولي، تقع بين جبلَيْن في فلسطين شمال مدينة بيت المقدس. الحموي. (د.ت)، ج5 ص:248، 249، مادة نابلس؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج3 ص:1347؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص186.

[3] يافا: مدينة تقع في فلسطين على ساحل البحر المتوسط الشرقي وتعد من أقدم المدن في العالم وفيها ميناء مهم. ابن عبد الحق. (1992م)، ج3 ص:1471؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص:210.

[4] عسقلان: مدينة في بلاد الشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر المتوسط قرب غزة، كانت منزلاً لعدد من الصحابة والتابعين. الحموي. (د.ت)، ج4 ص:122، مادة عسقلان. ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:940.

[5] بَيْسان: مدينة تقع بين حوران وفلسطين في الغور الشامي. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:527؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:241.

[6] طبرية: بلدة تقع بين دمشق وبيت المقدس بالقرب من عكّا، وتشرف على بحيرة طبرية وتعرف بانخفاضها عن سطح البحر بحوالي 300م وقد تأسست هذه المدينة في عهد الامبراطور تيبيريوس وتشتهر بوفرة الينابيع النقية فيها، فتحها المسلمون على يد شُرحبيل بن حسنة صلحاً سنة 13هـ/634م. المقدسي. (1991م)، ص:161؛ الحموي. (د.ت)، ج4 ص:17؛ ابن عبد الحق. (1992م)، ج2 ص:878؛ أحمد، عثمان. (2004م)، ج4 ص119.

- فلسطين الثالثة (Palestina tertia) وهي المنطقة الجنوبية الشرقية وعاصمتها البتراء[1] Petra.[2]

كما قُسمت مصر في عهد دقلديانوس إلى ثلاثة أقسام وهي شرق الدلتا وغرب الدلتا وطيبة في الجنوب، وعين لكل قسم منها حاكم مدني خاص، ويخضعون بدورهم لحاكم عام مقره الاسكندرية له سلطات إدارية ومالية وقضائية، وإلى جانبهم حاكم عسكري اتخذ لقب (دوق مصر)، وفي مطلع القرن الرابع الميلادي أصبحت القرية أهم الوحدات الإدارية في التنظيمات الإدارية حيث صار أهل كل قرية مسؤولين عن زراعة الأراضي التابعة لها ومسؤولين عما هو مقرر عليهم من الضرائب، وتولى تسيير شؤونهم جهاز حكومي يترأسه موظف بمثابة عمدة القرية بمساعدة كاتب ومجلس من شيوخ القرية يفصل في الأمور المحلية، وما بين عامي 457–464م ظهرت الباجركية Pagarchia والتي تقابل معنى الإقليم وتشمل كل ما يحيط بالمدينة من قرى وتولى شؤونها الباجرك الذي يتم اختياره من طبقة الأغنياء ويقوم بتوزيع مقدار الضريبة المفروضة على القرى وفقاً لأرضها وعدد مُلاكها، وخلال القرن السادس الميلادي تعاظم دور عمدة القرية حتى أصبح أكبر موظفي القرية، فجمع البيزنطيون كل عدد من القرى في وحدة إدارية أكبر عُرفت باسم باجوس Pagus يتولى أمرها موظف مسؤول عن زراعة الأرض وتقدير الضرائب عليها وجبايتها ومزاولة القضاء أحياناً، كما جُعل من مصر وحدة إدارية خاضعة لوالٍ كبير في الاسكندرية (الأوجستال).[3]

---

[1] البتراء: مدينة بالقرب من عمّان من نواحي دمشق ويقال لها الرقيم أيضاً، وهي أيضاً عاصمة مملكة الأنباط ومعنى اسمها الصخرة لأنها منحوتة بالصخر. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:61 مادة الرقيم؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:349.

[2] المسعودي. (د.ت)، ص:150؛ المقدسي. (1899م)، ج1 ص71؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج1 ص:71، 72؛ جديع. (2018م)، ص:44؛ عثمان. (د.ت)، ج1، ص:287–289؛ العدوي. (1994م)، ص:169، 170.

[3] الشيخ. (1994م)، ص:70–72، 79؛ عطا. (1994م)، ص:64، 66.

ولذلك عندما دخل العرب المسلمون إلى بلاد الشام ومصر علموا أن الأنظمة الإدارية البيزنطية هي خلاصة خبراتهم السالفة، فأبقوا عليها في مصر وأدخلوا بعض التعديلات في بلاد الشام حيث قسَّم عمر بن الخطاب ﷺ بلاد الشام إلى أربعة أجناد[1] وهي:

- جُند حمص في الشمال وعاصمتها مدينة حمص وكان أهم مدنها اللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس وضم إليها قنسرين لمساحتها الواسعة بدايةً ثم تم إفراد جُند قنسرين عن جُند حمص وجُعل منها جُنداً منفرداً في مطلع العصر الأموي.
- وجُند دمشق ومركزها دمشق وضمت إليها جبيل وصيدا وبيروت وطرابلس.
- وجُند الأردن الذي كانت طبرية عاصمته وشمل صور وعكّا.
- وجُند فلسطين الذي عُدت اللد مركزه، وضم قيسارية ويافا وعسقلان وغزة.[2]

وجعل لكل جُند حاكماً خاصاً أعطاه السلطات المدنية والعسكرية ودُعي بالأمير، كما أنه نقل عدداً من الفرق العسكرية إليها من أجل حمايتها والدفاع عنها.[3]

ومن خلال المقارنة بين التقسيمات البيزنطية لبلاد الشام وبين التقسيمات العربية الإسلامية لها ومراكز هذه الأقسام، يُلاحظ أن بلاد الشام خلال العصر البيزنطي تألفت من أقسام ساحلية وأقسام أخرى داخلية تبعاً للتقسيمات الجغرافية للمنطقة كما كانت معظم مراكزها مدناً ساحلية، بينما التقسيم العربي الإسلامي لبلاد الشام

---

[1] الأجناد: عيَّن العرب المسلمون لكل منطقة جُنداً يقبضون أعطياتهم منه، فكان يقال هؤلاء جُند كذا حتى غلبت عليهم هذه التسمية وعلى المنطقة، ولم يُستعمل هذا المصطلح إلا في بلاد الشام وهي كمصطلح كورة في فارس. خطاب. (1965م)، ص:345؛ عثمان. (د.ت)، ج1، ص: 332، 333.

[2] ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:32؛ خماش. (1987م)، ص:215.

[3] ابن عبد الحق. (1992م)، ج1 ص:32؛ خماش. (1987م)، ص:214؛ عثمان. (د.ت)، ج1، ص:289؛ العدوي. (1994م)، ص:50، 169، 170؛ العدوي. (1951م)، ص:153.

فقد ضمت كل منطقة ساحلية مدينة أخرى داخلية، كما جُعل من مراكز الأجناد كلها مدناً داخلية، ويُستدل من ذلك إدراك العرب المسلمين لموطن قوتهم القتالية والتي تكمن في المواجهات البرية، إذ لم يكن لديهم آنذاك أسطولاً يتمكنون بواسطته من مواجهة أقوى قوة بحرية في العالم حينها المتمثلة في الأسطول البيزنطي، فما إن تعرضت المدن الساحلية لأي تهديد بحري من الأسطول البيزنطي يأتيها المدد العسكري من مركزها في الداخل.

ثانياً: إنشاء الدواوين وهي:

تمركزت الإدارة الفارسية الساسانية في مكاتب عُرفت باسم الدواوين ويديرها أهم موظفي الدولة وهم الكُتَّاب وفقاً لقوانين صارمة كما سلف ذكره،[1] وتعود تسمية الديوان بهذا الاسم إلى لفظ فارسي ساساني الأصل، وسبب هذه التسمية تختلف حوله الروايات فمنهم مَن يقول أن الملك كسرى أنوشروان قد وصف كُتَّابه بكلمة (دِيوانه) ومعناها مجانين لما وجد فيهم من الانهماك بالعمل في العدّ والحساب، لتُطلق فيما بعد على المكان الذي يعمل به الكُتّاب، ثم أُسقط حرف الهاء من آخرها وأصبحت ديوان، بينما تذكر الرواية الثانية أن كلمة ديوان تعني الشياطين وقد أُطلقت على الكُتاب لذكائهم بشؤون الدولة وفهمهم السريع لكل أمر مهما كبر أو صغر قدره بالإضافة إلى تمكّنهم من جمع الأرقام بيسر وسهولة وسرعة، ومن ثم نُودي مكان جلوس الكُتاب بهذا الاسم.[2]

وكذلك عرفت الامبراطورية البيزنطية الدواوين وترأسها موظف دُعي برئيس دواوين الموظفين Magister Officil الذي كان الوزير الأكبر في البلاط الامبراطوري ومحيطاً بالامبراطور شخصياً حيث

---

[1] خطاب. (1965م)، ص:65؛ كريستنسن. (1998م)، ص:377.

[2] الماوردي. (1989م)، ص:259؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1، ص:302؛ القلقشندي. (1922م)، ج1 ص:90؛ فايدة. (1997م)، ص:67.

يعمل كرئيس الوظائف المدنية كلها ومشرفاً على بريد الدولة ورئيس المخابرات وكبير إدارة المراسم الامبراطورية ووزير خارجية الامبراطورية لمسؤوليته حول استقبال السفراء، فضلاً عن ديوان القضاء وديوان المالية وغيرها.[1]

كما تعدُّ الدواوين من أهم المؤسسات الحضارية في التنظيم الإداري للدولة العربية الإسلامية، وقد وضع أسسها العملية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تأثُّراً بالنظم الفارسية الساسانية والبيزنطية وإن كانت من حيث المبدأ تقوم بتنفيذ أمور جاء بها الشرع سواء في قسمة الفيء أو أرزاق الجند أو العطاء، فلم يبتكر عمر بن الخطاب ﷺ وظائف الديوان كتسجيل الأسماء وكتابة أموال الصدقات ولكنه نظم الناس في سجلات دائمة وسجل أعطياتهم ودفعها لهم على مدار السنة، وقد دلَّ لفظ الديوان في الدولة العربية الإسلامية على السجلات والدفاتر التي تسجل فيها شؤون الدولة، ثم أُطلقت فيما بعد على المكان الذي يجتمع فيه الكُتَّاب والموظفون العاملون بهذا المجال[2].

1. ديوان الجُند:

تطلبت حركة الفتوحات واستمرارها التحاق عدد كبير من المسلمين في الجيش الإسلامي لأداء واجب الجهاد الذي يعد ركناً أساسياً من أركان التشريع الإسلامي، فكثر أعداد المتطوعين لأداء هذا الركن الجليل دون قيد لأسمائهم وأعطياتهم ولا نصيبهم من الغنائم، كما تبعت حركة الفتوحات دخول أعداد كبيرة من الناس تحت مظلة الدولة العربية الاسلامية واعتناق عدد كبير منهم للدين الإسلامي، إضافة إلى ما درّته الفتوحات على خزينة الدولة العربية الإسلامية من أموال طائلة لم يعتد عليها العرب المسلمون من قبل، مما دفع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى مشاورة أصحابه حول تنظيم هذه الأموال وضبط العطاء لضمان حقوق الناس، ولا سيما بعدما جيء إليه بحمولات الذهب والفضة ونفائس كسرى أبرويز وكنوزه من جواهر وثياب فاخرة، وما قدم

---

[1] بينز. (1950م)، ص:148، 149؛ رنسيمان. (1997م)، ص:94، 102؛ الشامي. (2002م)، ص:64، 65؛ فرج، (2004م)، ص:44. Kazhdan. (1990), V2, P:1267.

[2] الماوردي. (1989م)، ص:259؛ الصلابي. (2005م)، ص:258؛ فايدة. (1997م)، ص:67.

به الصحابي الجليل أبو هريرة[1] ﷺ والي البحرين من أموال كثيرة، فأشار عليه خالد بن الوليد ﷺ بتدوين كل ذلك في ديوان خاص على غرار البيزنطيين في بلاد الشام إذ قال: "**رأيت ملوك الشام يدوّنون**"[2] كما أشار عليه الهرمزان[3] بنفس المشورة بقوله لعمر بن الخطاب ﷺ: "**ومن يعلم بغَيْبة من يغيب منهم؟ فإن من تخلف أخل بمكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب**"[4]، فتنبَّه الخليفة إلى ضرورة إنشاء ديوان ينظم به أمور الجند ومسائلهم، فأوكل إلى عقيل بن أبي طالب[5] ومخرمة بن نوفل[6] وجبير بن مطعم[7] وهم من أعلم الرجال بالأنساب في

---

[1] أبو هريرة: صحابي جليل وكان اسمه قبل إسلامه عبد شمس فسُمي بعد الإسلام عبد الله. ابن سعد، وكُنّي بأبي هريرة لامتلاكه هريرة صغيرة يلاعبها، تُوفي سنة 59هـ/678م في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ. ابن سعد. (2001م)، ج5 ص:230، 234؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:277، 278؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:863.

[2] الماوردي. (1989م)، ص:260؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1، ص:303.

[3] الهرمزان: حاكم مدينة تستر في فارس أثناء حكم الملك يزدجرد الثالث وقد حارب الهرمزان المسلمين أثناء فتحهم لمدينة تستر ولكنه استسلم لهم في النهاية طالباً منهم الأمان، فجيء به إلى المدينة المنورة، وأسلم طواعية مع من كان معه من أهل بيته وخدمه وحشمه، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بفك قيده، والجدير بالذكر أن كلمة الهرمزان هي لقب كان يُطلق على حاكم الولاية أو المدينة في فارس. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص:90، 91؛ الكوفي. (1991م)، ج2، ص:277، 284، 285؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:239؛ العسقلاني (1995م)، ج6 ص:448؛ أحمد. (2015م)، ص:209.

[4] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:303.

[5] عقيل بن أبي طالب: ابن عم رسول الله ﷺ ويكنى بأبي يزيد، شهد معركة بدر قبل إسلامه ثم أسلم سنة 8هـ/629م وشهد معركة مؤتة سنة8هـ/629م، ثم تُوفي في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ. ابن حبان (1973م)، ج3 ص:259؛ ابن الاثير. (د.ت)، ج4 ص:61؛ المزي. (1983م)، ج20 ص:235، 236؛ الذهبي. (2004م)، ص:2701؛ فارس. (2011م)، ص:14.

[6] مخرمة بن نوفل: بن عبد مناف بن زُهرة القرشي، أسلم بعد فتح مكة وهو من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه، وكان له عمر مديد وعلم واسع بالناس ولا سيما قريش فأُخذ عنه النسب، وتوفي وعمره مئة وخمسة عشرة سنة، في سنة 54هـ/673م. ابن خياط. (1985م)، ص:223؛ ابن قتيبة. (1969م)، ص:313؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:676؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج5 ص:119، 120؛ العسقلاني (1995م)، ج6 ص:41.

[7] جبير بن مطعم: بن عدي بن نوفل القرشي، كان من أكابر قريش وعلماء النسب، أسلم بين صلح الحديبية 6هـ/628م وفتح مكة، وقيل في الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه، ومات في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة 57هـ/676م. ابن قتيبة. (1969م)،

قريش، بكتابة أسماء الناس ابتداءً بالأقرب نسباً إلى رسول الله ﷺ، فأنشأ ديوان الجند سنة 20هـ/640م في مراكز الأجناد وسجل فيها أسماء المقاتلين في كل جند سواء كانوا من العرب أو الموالي مع ذكر أنسابهم وأوصافهم، كما حدد فيها رواتبهم على أساس القرابة من رسول الله ﷺ والسابقة في الإسلام، فيأخذ مقاتلو كل جند أعطياتهم من مراكز أجنادهم، ويعدُّ هذا الديوان أول ديوان في الدولة العربية الإسلامية، وقد تفرّع عنه ديوان الذراري الذي سُجل فيه عائلات المقاتلين ومقدار أعطياتهم.[1]

وهذا يدل على أن ديوان الجند في الدولة العربية الإسلامية قد قام على أسس فارسية ساسانية ولكنه ذو طابع عربي لأنه كُتب باللغة العربية.

2. ديوان الخراج:

فرض الفرس الساسانيون الضرائب ونظموها ضمن ديوان خاص سُجّل به كل ما يدخل إليه من أموال مع تحديد مساحات الأراضي التي فُرض عليها الخراج، وذكر أعداد وأسماء الأشخاص الذين فُرضت عليهم الضريبة وقاموا بأدائها وأسماء مَن أُسقطت عنهم[2]، كما فرض البيزنطيون الضرائب أيضاً على الأراضي وأنشؤوا لتنظيمه ديواناً مركزياً في العاصمة يتفرع عنه دواوين فرعية في عواصم الأقاليم.[3]

وخلال العصر العربي الإسلامي ازداد تدفق الأموال إلى بيت مال المسلمين في المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ بشكل واضح لعدة أسباب منها فرض الجزية على غير المسلمين داخل الدولة

ص:285، 342؛ ابن عبد البر. (2002م)، ص:119؛ العسقلاني (1995م)، ج1، ص:571؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج1 ص:516، 517؛ المزي. (1983م)، ج4 ص:508.

[1] البلاذري. (1987م)، ص:630؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:190؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:262، 263؛ الماوردي. (1989م)، ص:260؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج4 ص:194؛ أحمد. (2015م)، ص:208؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:42؛ فروخ. (1966م)، ص:166، 167؛ الهاشمي. (2002م)، ص:39.

[2] خماش. (1987م)، ص:261، 282، 283؛ فايدة. (1997م)، ص:51، 52.

[3] رنسيمان. (1997م)، ص:108.

العربية الإسلامية، حيث سمحت الشريعة الإسلامية لأهل البلاد المفتوحة من غير المسلمين بالبقاء على دينهم مقابل دفع الجزية عن أنفسهم، ونظراً لاتّساع البلاد المفتوحة خلال عهد عمر بن الخطاب ﷺ في بلاد الشام والعراق وفارس ومصر والتي كان معظم سكانها من غير المسلمين، ازداد إيراد الأموال إلى المدينة المنورة، بالإضافة إلى ردّ عمر بن الخطاب ﷺ أموال الخُمس بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى بيت مال المسلمين لتُوزع عليهم، وبسبب فرضه ضريبة العُشور على التجار من غير المسلمين لقاء تجارتهم في أراضي الدولة العربية الإسلامية، وكذلك فرضه ضريبة الخراج على الأراضي المفتوحة.[1]

ولذلك عندما كثرت الأموال المتحصلة من غير المسلمين استشار الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أصحابه بشأنها، فأشاروا عليه بإنشاء ديوان على غرار الديوان الذي أنشأه البيزنطيون في بلاد الشام[2] فأخذ بقولهم وأبقى العمل بالدواوين التي كانت موجودة في كل من بلاد الشام والعراق ومصر أثناء سيطرة الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية وعلى النمط الذي كان موجوداً هناك، فاستمر العمل في ديوان العراق باللغة الفهلوية[3] وبأيدي المرازبة من الفرس الساسانيين، وباللغة الإغريقية في ديوان بلاد الشام وباللغة

---

[1] سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج9 ص:249، 457؛ الجبري. (1989م)، ص:23–25؛ فايدة. (1997م)، ص:21، 38، 46، 47.

[2] الطبري. (1967م)، ج4 ص:209؛ الماوردي. (1989م)، ص:264؛ الطريفي. (1994م)، ص: 143، 144.

[3] اللغة الفهلوية أو البهلوية: هي لغة من أصل آري وتكلم بها الفرس منذ القرن الثالث حتى القرن التاسع الميلادي ولكنها تأثرت بلغات أخرى، وقد توسطت اللغة الفارسية القديمة واللغة الفارسية الحالية. زكار. (1997م)، ج1 ص:194؛ النديم. (2009م)، ج1 ص:32؛ بيرنيا. (1992م)، ص:310.

القبطية في مصر[1]، وقد تبلور شكل ديوان الخراج في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ حيث أمر بتدوين مقادير الجزية والخراج لكل منطقة وإقليم وميَّز بين دخل أرض الخراج وبين الصوافي[2].

وعلى الرغم من هذا التطور إلا أن الخلفاء الأمويون استمروا في السير على النهج الفارسي الساساني في تسجيل كل ما يدخل إلى ديوان الخراج من أموال الفيء مع تحديد مساحات الأراضي التي فُرض عليها الخراج، وذكر أسماء أهل الذمة الموجودين في كل منطقة، إضافة إلى تدوين كل أرض أسلم أهلها وسقط عنها الخراج، وكل ذلك كان بجهود الكُتّاب الذين كانوا يديرون ديوان الخراج خلال الحقبة الفارسية الساسانية.[3]

وقد تبلور النظام الإداري والسياسي للولايات الإسلامية وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إذ أمر بتعريب الدواوين ونقلها إلى اللغة العربية بعدما كانت بلغات البلاد الموجودة فيها كما سلف ذكره، وقد تعددت الآراء حول أسباب تعريب الدواوين فمنهم من يرجعه للحفاظ على اللغة العربية كونها لغة الدين الإسلامي ولا سيما بعد تأثرها باللكنة الفارسية وفشو اللحن فيها جرّاء تكلُّم الفرس باللغة العربية،[4] بينما علل آخرون تعريب الدواوين بكثرة التزوير والتلاعب الذي طرأ على حسابات الدولة بيد الموظفين

---

[1] الطبري. (1967م)، ج4 ص:210؛ الماوردي. (1989م)، ص:264؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:303؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:85؛ الطريفي. (1994م)، ص: 143؛ ضية. (2016)، ص:16؛ فايدة. (1997م)، ص:59، 82-84؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:44، 68؛ فروخ. (1966م)، ص:167؛ كريمر. (1947م)، ص:60.

[2] الصوافي: وهي الأراضي التي كانت ملكاً لحاكم أو لرجل دين أو لأحد من الأشراف فاستصفاها عمر بن الخطاب ﷺ للمسلمين وضمها إلى بيت المال. خماش. (1987م)، ص:301؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:67.

[3] أحمد. (2015م)، ص:213؛ خماش. (1987م)، ص:261.

[4] الخربوطلي. (1994م)، ص:105؛ ربيع. (1995م)، ص:95؛ العتابي. (2013م)، ص:263.

Vryonis. (1971), p:216.

الأجانب لجهل المراقبين والمسؤولين العرب بلغة هذه الدواوين، إضافة إلى رغبة الحكومة في الاعتماد على العرب في إدارة دواوين الدولة بعدما قويت النزعة القومية العربية في العصر الأموي.[1]

فأوكل الخليفة عبد الملك بن مروان والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي[2] بترجمة ونقل دواوين وسجلات الدولة في العراق من اللغة الفارسية إلى العربية سنة 78هـ/697م والذي أوكل بدوره أحد كتّاب الديوان المُلمّين باللغتَيْن العربية والفارسية وهو صالح بن عبد الرحمن البصري[3] بهذه المهمة[4] والذي واجه صعوبة في تنفيذها لأن الفرس حاولوا عرقلة حركة التعريب في العراق لأن تعريبها سيسرع من تعريب الدواوين في فارس، ولصعوبة إيجاد مصطلحات حسابية تقابل الفارسية كالأعداد الصحيحة والعشرية والكسور، حتى أن صالح بن عبد الرحمن تعرض لسخرية بعض موظفي الديوان وتحدّوه في ترجمة سطر واحد منها فقط،

---

[1] البلاذري. (1987م)، ص:271؛ الجبري. (1989م)، ص:48؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:37؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:97، 98؛ فروخ. (1966م)، ص:168.

[2] الحجاج بن يوسف الثقفي: وُلد سنة 40هـ/660م ونشأ في الطائف وانتقل إلى بلاد الشام وعمل في شرطة المدينة أثناء خلافة عبد الملك بن مروان، ثم تولى قيادة الجيش وقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى قتله وفرّق جموعه، فولاه عبد الملك بن مروان أمر مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق فضبط أوضاعها، ومن أعماله بناء مدينة واسط، وضرب الدراهم المنقوشة بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله) لأول مرة، وقد وُصف الحجاج بالداهية والسفاك لكثرة ما قتله من ناس، وتُوفي سنة 95هـ/714م. المقدسي. (1899م)، ج6 ص:28؛ المسعودي. (د.ت)، ص:271؛ العسقلاني. (د.ت)، ج1 ص:363؛ الزركلي. (2002م)، ج2 ص:168.

[3] صالح بن عبد الرحمن: هو مولى بني مُرَّة بن عبيد وكان من سبي سجستان، عُرف بفصاحته باللغة العربية وقوة الذاكرة. الصولي. (1341م)، ج2 ص:192؛ الزركلي. (2002م)، ج3 ص:192.

[4] الجهشياري. (1938م)، ص:23؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:192؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:303؛ الجبري. (1989م)، ص:46؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:98؛ عبد العزيز. (2008م)، ص: 68؛ فروخ. (1966م)، ص:182؛ كرد علي. (1934م)، ص:89.

ولكن نتيجةً لعمله الدؤوب والمتواصل تمكَّن من ترجمتها إلى اللغة العربية وكتابتها بالأحرف العربية وليس بالأرقام فقد ترجم مصطلحي دهويه وششويه إلى عُشر ونصف العُشر[1].

وقد ولّى عبد الملك بن مروان عامله على ديوان بلاد الشام سليمان بن سعد الخُشَني[2] بوظيفة نقل ديوان الشام إلى اللغة العربية سنة 81هـ/699م إذ كان يجيد اللغتَيْن العربية والإغريقية، ولا سيما بعدما قام أحد الكُتّاب البيزنطيين بالتبول في دَواته عوضاً عن ملئها بالماء، مما دفع بسليمان بن سعد إلى تأديبه والعزم على نقل الديوان إلى اللغة العربية من أجل الاستغناء عن الموظفين الأجانب، وتمكّن بأقل من عام من إتمام هذه المهمة والمجيء بعمله إلى عبد الملك بن مروان فعرضه على كاتبه سرجون بن منصور الذي علم أن صنعة الكتابة قد أُخذت من أيدي الروم إلى غير رجعة[3]، أما في مصر فقد أمر صاحب ديوان الخراج فيها انثناس Anthnas بنقله من اللغة القبطية إلى العربية.[4]

يُستنتج مما سلف أن الفتوحات العربية الإسلامية كانت تهدف إلى إقامة حكم الله ﷻ في أرضه وتعريف الناس بدينه والدعوة إلى اعتناقه دون إجبار، أما ما كان يؤخذ من غير المسلمين من جزية وخراج فكان مقابل حماية المسلمين لهم وعدم التحاقهم في الجيش، ولا انتقاص لهم في ذلك فقد فُرض على المسلمين أيضاً دفع الزكاة عن أموالهم وممتلكاتهم، وكل هذا من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الأرزاق بين

---

[1] العسكري. (1987م)، ص:256؛ البلاذري. (1987م)، ص:421؛ الماوردي. (1989م)، ص:265؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:98، 99؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:68؛ عمر. (1989م)، ص:34؛ فروخ. (1966م)، ص:182، 183.

[2] سليمان بن سعد الخُشَني: كان كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، فكان أول مسلم ولي الدواوين كلها في العصر الأموي بعد أن كان المسيحيون يقومون بهذه المهمة، وهو من أهل الأردن ثم قدم إلى الشام وتولى ديوانها، عرض على عبد الملك بن مروان نقله إلى اللغة العربية فأمره بذلك. المسعودي. (د.ت)، ص:261؛ الصفدي. (2000م)، ج15 ص:239؛ الزركلي. (2002م)، ج3 ص:126.

[3] العسكري. (1987م)، ص:256؛ الجهشياري. (1938م)، ص:24؛ الماوردي. (1989م)، ص:264؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:97؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:68؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:193.

[4] عبد العزيز. (2008م)، ص:69.

الغني والفقير، والدليل أن ديوان الخراج في الدولة العربية الإسلامية كان لتوزيع مردود الأراضي بين الناس بينما كانت غاية ديوان الضرائب الفارسي الساساني والبيزنطي هي جمع الأموال وتكديسها ليستأثر بها أصحاب الطبقات العليا فقط دون غيرهم، وهكذا فإن فكرة إقامة الديوان لتنظيم الأموال مقتبسة منهم ولكن ليس غايته، مما يجعل منه ديواناً إسلامياً خالصاً.

3. ديوان الخاتَم:

اعتمد الفرس الساسانيون على مهر وثائقهم الرسمية بالتواقيع والأختام كما سلف ذكره ولا سيما المعاهدات الرسمية إذ كانت تختم بخاتَم الملك الخاص والمنقوش بصورة خنزير بري وتخضع لرقابة شديدة وتُوقَّع تحت إشرافه المباشر قِبل صاحب التوقيع مع تسجيلها في سجل أو ديوان خاص بالأوامر الملكية الموقّعة ثم تُرسل إلى صاحب الزمام ومنه إلى صاحب العمل الذي يكتب به كتاباً ويجعل له نسخة في الأصل، لتعود ثانية إلى صاحب الزمام فيعرضها على الملك، فيقارن بينها وبين النسخة الموجودة لديه في السجل ويختم عليها، وهكذا حتى تمرُّ الوثيقة في سلسلة من المراحل الرقابية لتجنب التلاعب والتزوير وضمان وصولها إلى يد المُرسَل إليه كما هي في الأصل[1]، والجدير بالذكر أن الملك كسرى أنوشروان كان له أختام عدة، إحداها خاتم للأراضي وفصه من الفيروزج[2] ونقشه العمارة، وخاتم للمعونة وفصه من الياقوت[3] الأزرق الداكن ونقشه التأني، وخاتم للبريد وفصه من الياقوت الأحمر ونقشه الرجاء[4]

---

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:403؛ خطاب. (1965م)، ص:65؛ كريستنسن. (1998م)، ص:377، 378.

[2] الفيروزج: هو أحد المعادن النفيسة والأحجار الكريمة (حجر نحاسي)، ومنه نوع سماوي اللون مركب من أوكسيد الحديد والنحاس، ومنه نوع عظمي قد استحجر مع فوسفات الحديد، أما ألوانه فمنه ما كان كالظلال المتغيرة بين الأزرق إلى الأخضر، ومنه ما هو أرزق. عمارة. (1993م)، ص:441.

[3] الياقوت: معدن ثمين زجاجي شفاف صلب، يتواجد في جوف الصخور وله عدة ألوان فمنه الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض. عمارة. (1993م)، ص:631.

[4] المسعودي. (2005م)، ج1 ص:203.

بينما استخدم العرب الرواية والنقل الشفهي على الرغم من عدم جهلهم بالكتابة معتمدين على قوة حفظهم وذاكرتهم[1]، ولكن عندما أراد رسول الله ﷺ سنة 7هـ/628م مراسلة الملك كسرى أبرويز ليدعوه إلى الإسلام قِيل له أن الملوك لا يقرأون كتاباً غير مختوم، فاتخذ حينها خاتَماً من حديد وفضة ومنقوش في فصّه: (محمد رسول الله) ليختم بها الكُتب والرسائل الصادرة منه، وقد كتب العرب المسلمون على الجلود المدبوغة أو صفائح الحجارة البيضاء أو أوراق النخيل أو عظام أكتاف الإبل ناقلين ذلك عن الفرس الساسانيين.[2]

واستمر الأمر كذلك حتى العصر الأموي عندما اكتشف الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ خطأً في إحدى الوثائق عندما كتب إلى عامله في العراق زياد بن أبيه[3] أن يدفع إلى عمرو بن الزبير[4] مائة ألف درهم إلا أن عمرو حوّل المائة إلى مائتي، ولما رفع زياد حسابه إلى معاوية ﷺ اكتشف الأمر وأمر عمرو بإرجاعها، فأدَّاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير[5]، وحينها اتخذ معاوية ﷺ ديوان الخاتَم الذي أصبح فيما بعد أكبر دواوين

---

[1] مهران. (د.ت)، ص:10؛ حركات. (1989م)، ص:245.

[2] ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:222؛ المسعودي. (د.ت)، ص:225؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:139؛ النديم. (2009م)، ج1 ص:48؛ القلقشندي. (1922)، ج3 ص:273؛ الجبري. (1989م)، ص:8، 34؛ حركات. (1989م)، ص:247، 249؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:130.

[3] زياد بن أبيه: استلحقه معاوية بن أبي سفيان ﷺ بأنه أخوه فعُرف بزياد بن أبي سفيان، ووُلد سنة 1هـ/622م ولم يرَ رسول الله ﷺ فعُدَّ أحد التابعين حيث أسلم في عهد أبي بكر الصّدّيق ﷺ، وقد تميز برجاحة العقل والحزم، وعمل كاتباً في البصرة ثم والياً على إقليم فارس خلال خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، ثم ولي الكوفة والبصرة خلال عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ وتُوفي سنة53هـ/672م. ابن سعد. (2001م)، ج9 ص:98؛ ابن حبيب. (د.ت)، ص:184؛ الذهبي. (2004م)، ص:1733؛ الصفدي. (2000م) ج15 ص:7، 8؛ العسقلاني. (1995م)، ج2 ص:527، 528.

[4] عمرو بن الزبير: أخو عبد الله بن الزبير، تولى في عهد عبد الملك بن مروان شرطة المدينة المنورة، وكان شديد العداء لأخيه عبد الله. ابن سعد. (2001م)، ج7 ص185؛ ابن قتيبة. (1969)، ص:221؛ الطبري. (1967م)، ج5 ص: 346.

[5] عبد الله بن الزبير: ابن العوام القرشي، أمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ ذات النطاقين، وهو أول مولود وُلد في الإسلام بعد الهجرة للمدينة المنورة، فحنَّكه رسول الله ﷺ وسماه عبد الله، وبايع رسول الله ﷺ وعمره سبع سنوات، رفض مبايعة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

الدولة الأموية وهو لضبط الوثائق المهمة وصيانتها[1]، من خلال تسجيل الأوامر الصادرة عن الخليفة في الديوان ونسخها، ثم ختم الأصل والنسخة بخاتَم الخليفة، ثم تُحزم الرسالة بخيط ويُلصق طرفها بالشمع والطين الأحمر الذي يُطبع عليه خاتَم الخلافة ويُترك حتى يجف، فمن أراد فتح الرسالة قبل وصولها إلى المُرسل إليه لا بد له من تمزيقها فيُكتشف أمره[2]، والجدير بالذكر أنه كان لكل خليفة خاتَمه الخاص، فخاتَم معاوية بن أبي سفيان ﷺ ذو نقش كُتب فيه: (لا قوة إلا بالله) أو (لكل عمل ثواب) وخاتَم عبد الملك بن مروان نقش عليه (آمنت بالله مخلصاً).[3]

يُستدل مما سلف أن الإجراءات الإدارية في الدولة الفارسية الساسانية قد اتسمت برتابتها وبطء حركتها، بسبب تعدد المراحل التوكيدية التي تمر فيها الوثيقة، فضلاً عما تعكسه هذه العملية من شكوك الدولة بموظفيها وعدم ثقتها بهم، بينما يدل اكتفاء المسلمين بنسخ الوثائق لمرة واحدة مع طيها وختمها فقط، على حرصهم على سرعة إصدار الأوامر وتنفيذها وعدم رتابة الإجراءات الإدارية في دولتهم، وهذا يعني أن المسلمين لم يقلدوا أنظمة غيرهم تقليداً أعمىً بل أخذوا عنهم ما يفيدهم ويلبي احتياجاتهم ونبذوا ما كان عكس ذلك.

بعد وفاة أبيه، ويُويع بالخلافة بعد موت يزيد في العراق والحجاز، ثم قتله الحجاج في عهد عبد الملك بن مروان سنة 73هـ/692م. ابن قتيبة. (1969)، ص:356؛ البسوي. (1989م)، ج1 ص:243؛ المسعودي. (د.ت)، ص:271؛ ابن حبان. (1973م)، ج2 ص:315؛ ابن الأثير. (د.ت)، ج3 ص:243.

[1] الطبري. (1967م)، ج5 ص:330؛ الجهشياري. (1938م)، ص:24؛ الصولي. (1341م)، ج2 ص:143؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:124، 125؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:62؛ السيوطي، (2003م)، ص:160؛ فروخ. (1966م)، ص:164؛ الصلابي. (2008م)، ص:246.

[2] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:306؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:365؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:37؛ خماش. (1987م)، ص:269، 270؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:130؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:42.

[3] المسعودي. (د.ت)، ص:262؛ السيوطي، (2003م)، ص:160؛ أحمد. (2015م)، ص:210؛ خماش. (1987م)، ص:270.

4. ديوان الرسائل:

أنشأ الفرس الساسانيون ديواناً خاصاً للرسائل في دولتهم لاهتمامهم الشديد بالمكاتبات الفردية والرسمية فقد حرصوا على جودة صياغتها وتزيينها واختيار أفضل الكُتّاب وأكثرهم ذكاء وأجودهم صياغته وأحسنهم خطاً لتولي هذه المهمة،[1] أما في الامبراطورية البيزنطية فقد كان للمراسلات وزير خاص يُدعى مستشار الإجراءات Lother of the course وهو مسؤول عن استقبال السفراء الأجانب وتنظيم الترتيبات اللازمة لذلك، وتجهيز البعثات السياسية والدبلوماسية الامبراطورية إلى بلاطات الملوك الأجانب واختيار أفرادها.[2]

وقد اتخذ رسول الله ﷺ مطلع العصر الإسلامي عدداً من الصحابة ككُتَّاب إلى جانبه يكتبون له الرسائل والعهود والمواثيق، ومنهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ، ومشى على خطاه الخلفاء الراشدون ﷺ باختيارهم أكثر الرجال ثقة وأمانة وإخلاصاً لهذه المهمة[3]، ومع اتساع نطاق الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي وازدياد أعبائها ومهام الخليفة أنشأ معاوية بن أبي سفيان ﷺ خلال عهده ديوان الرسائل والذي يختص بكتابة الرسائل والأوامر والعهود والمواثيق الصادرة عنه إلى ولاته في الأقاليم أو إلى عموم الشعب أو إلى الملوك

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:40؛ ضية. (2016)، ص:16؛ فروخ. (1966م)، ص:165؛ كريستنسن. (1998م)، ص:121-123.

[2] رنسيمان. (1997م)، ص:184.

[3] ابن سعد. (2001م)، ج1 ص:222؛ ابن الجوزي. (1992م)، ج5 ص:105؛ ابن كثير. (1997م)، ج7 ص:184؛ الآغا. (2014م)، ص:16؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:360؛ أبو خليل. (1994م)، ص:222؛ خماش. (1987م)، ص:269؛ الضحيان. (1991م)، ص:104.

الآخرين، كما أوكل مهمة قراءة الرسائل إلى صاحب الديوان بعدما كان ذلك من مهام الخليفة وكثرت المكاتبات إليه إثر اتساع الدولة.[1]

وربما تأثَّر معاوية بن أبي سفيان ﷺ في فكرة إنشاء ديوان للرسائل في دولته من الفرس الساسانيين والبيزنطيين إلا أن كان باللغة العربية.

ثالثاً: إنشاء نظام البريد:

نقل المسلمون أخبار المعارك وبشائر النصر وأحوال الولاة والرعية خلال عهد رسول الله ﷺ وخلال العصر الراشدي بواسطة رسول يحمل الرسالة وينطلق بها وحده، إلا أن إلا أن اتساع مساحة الدولة العربية الإسلامية خلال العصر الأموي واستغراق نقل الأخبار فيها وقتاً طويلاً دفع الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى البحث عن وسيلة لاختصار هذا الوقت، فجلب عدداً من دهّاقي الفرس والعمال البيزنطيين وأخبرهم بما يريد فوضعوا له البريد الذي كان يُستخدم قبل ذلك في بلادهم[2]، وقد قام هذا النظام على تقسيم الطرق إلى مسافات يُوضع في نهاية كل مسافة محطات مزوَّدة بالدواب من الخيول والبغال والإبل، مع تأمين الماء والطعام والعلف فيها، فإذا وصل حامل البريد إلى أحد هذه المحطات استبدل بدابَّته المتعبة دابةً أخرى، وكذلك يفعل مرّات عدَّة في المحطات التالية إلى أن يصل للمكان المقصود، أما مقدار المسافة الواحدة فكانت أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال أي اثني عشر ميلاً بما يعادل عشرين كيلو متر تقريباً.[3]

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:30، 40؛ خماش. (1987م)، ص:268، 269؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:151؛ الصلابي. (2008م)، ص:246؛ ضية. (2016)، ص:16؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:43، 48؛ فروخ. (1966م)، ص:163-165؛ كرد علي. (1934م)، ص:69؛ الهاشمي. (2002م)، ص:19، 22، 58.

[2] السيوطي، (2003م)، ص:160.

[3] السيوطي، (2003م)، ص:160، 161؛ أحمد. (2015م). ص:211؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:374؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:40؛ خماش. (1987م)، ص:247، 272؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:230، 231، 232؛ الصلابي. (2008م)، ص:247، 248؛ ضية. (2016)، ص:16؛ الهاشمي. (2002م)، ص:47.

وقد اختلفت الروايات حول أصل كلمة بريد فهناك من يرجعها إلى لفظ فارسي معرب وهو (بريده دم) أي مقصوص الذنب، إذ استخدم الفرس خيولاً مقصوصة الذنب في نقل البريد من أجل تمييزها عن غيرها[1]، بينما ردّها البعض الآخر إلى أصل لاتيني وهو فيريدوس Veredus ومعناها حصان البريد.[2]

أما عن استخداماته فقد كان هدفه في بادئ الأمر هو ربط العاصمة بالولايات المختلفة ونقل أوامر الخليفة إلى ولاته ونقل رسائل الولاة إلى خليفتهم بالسرعة القصوى، وبالتالي فقد اقتصر البريد على المهمات الرسمية[3] ثم سُمح للشعب أن يرسل للخليفة ما يريده عن طريق البريد، ثم استخدم بكثرة فيما بعد لنقل بعض الأفراد أو الأمراء إلى الخليفة التماساً للسرعة في وصولهم إليه، وقد تطور البريد في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أن تم استخدامه في نقل الجند.[4]

وقد اختار معاوية بن أبي سفيان ﷺ المشرف على هذه الإدارة الجديدة من الرجال الأمناء العارفين بالطرقات والمسالك، وأطلق عليه اسم صاحب البريد وأوكله بمهمة تفتيش ومراقبة أحوال الولايات ورفع تقارير دورية عنها وعن أحوال الجند والمال فيها، على أن يكون مركزه في العاصمة بينما يتوزع نوّابه في جميع أنحاء

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:40، 41؛ خماش. (1987م)، ص:271؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:58، 60؛ القلقشندي. (1922)، ج14 ص:367؛ كرد علي. (1934م)، ص:78؛ كرد علي. (2018م)، ج5 ص:267؛ الهاشمي. (2002م)، ص:45.

[2] خماش. (1987م)، ص:271؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:169؛ الهاشمي. (2002م)، ص:45.

[3] الخربوطلي. (1994م)، ص:40؛ خطاب. (1965م)، ص:26؛ خماش. (1987م)، ص:247، 272؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:230، 231، 232؛ ضية. (2016)، ص:16.

[4] الخربوطلي. (1994م)، ص:40؛ خماش. (1987م)، ص:247، 272؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:59، 60؛ ضية. (2016)، ص:16؛ الهاشمي. (2002م)، ص:48.

الدولة كي يرسلوا إليه الرسائل والأخبار فيعرضها بدوره على الخليفة[1]، كما نال البريد عناية الخليفة عبد الملك بن مروان من خلال إدخال بعض التحسينات عليه كتمهيد وتعبيد الطرقات التي يسلكها صاحبو البريد ووضع علامات عليها تساعدهم في تحديد الاتجاهات والمسافات، وكذلك إنشاء البريد البحري وقد زُود صاحب البريد بسفن خاصة تتميز بخفّتها وسرعتها لنقل البريد جاعلين للنيران ودخّانها معانٍ خاصة لإيصال الأخبار والتحذيرات إلى الأبراج الساحلية، وكان ذلك خلال ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي.[2]

يُستنتج مما سلف أن الدولة العربية الإسلامية لم تأخذ ما توصل إليه الفرس الساسانيون والبيزنطيون من نظام للبريد إلا عندما احتاجوا سبيلاً لزيادة سرعة إيصال الرسائل والأوامر والأخبار مما يُبعد عنهم شبهة رغبة المسلمين في التشبُّه بهم، كما أن التحسينات التي أدخلوها على نظام البريد وإنشاء البريد البحري ينفي عنهم تهمة الجمود ويؤكد قدرتهم على الإبداع والتطوير، وهذا دليل أن أخذ العرب المسلمين عنهم كان تأثُّراً فقط وليس تقليداً.

رابعاً: وظيفة الحاجب واتخاذ الحرس وإنشاء المقصورة:

عرف الفرس الساسانيون الحُجَّاب كمظهر من مظاهر العظمة والتفخيم ووسيلة من وسائل الحماية والتنظيم، وقد كانوا كثيري العدد ولهم تراتبية حسب الوظيفة وكان كبير البوابين يُدعى دربان سردار، ويقوم بإبلاغ الملك بمن يريد زيارته أو يتكلم معه فإن أذن له الملك بذلك دخل الرجل وهو يغطي فمه بقماشة بيضاء لحماية الملك من التلوث من أنفاسه، ثم يتقدم ويلقي بنفسه على الأرض أمامه ويبقى كذلك حتى يأمره الملك

---

[1] العسكري. (1987م)، ص:237؛ القلقشندي. (1922م)، ج14 ص:368؛ السيوطي. (2003م). ص:160؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:40؛ خماش. (1987م)، ص:247، 272؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:230، 231، 232؛ ضية. (2016)، ص:16؛ الهاشمي. (2002م)، ص:47، 49.

[2] العسكري. (1987م)، ص:237؛ القلقشندي. (1922م)، ج14 ص:373؛ الهاشمي. (2002م)، ص:47، 48، 49.

بالوقوف وعندما يأمره الملك بالتكلم يبدأ كلامه بدعاء للملك وكانت العبارة الشائعة لديهم هي: أنوشك بَويد أي خلَّدك الله.[1]

كما كان يحيط بالملك عدد وافر من الحرس ويسمون بشتيكبان وعلى رأسهم ضابط عظيم هو بشتيكبان سالار ويتمتع بصلاحيات أوسع وأعلى مكانة في البلاط الفارسي الساساني، وكانوا يعملون على حماية الملك والدفاع عنه ويبدون له أعلى درجات التعظيم فعندما يقوم الملك بامتطاء حصانه يقف له الحرس على الجانبَيْن مرتدين الدروع والخوذ والتروس وحاملين الرماح والسيوف، فإذا اقترب منهم الملك وضع كل حارس ترسه على سرج حصانه ووضع جبهته عليه كمظهر السجود له.[2]

ولم يجهل البيزنطيون وظيفة الحاجب Praepositus sacri Cubiculi بل عرفوها منذ عهد الامبراطور دقلديانوس وقد كان لديهم عدد كبير من الحجّاب وكانت مهمتهم إدارة أقسام الخدمة المختلفة في القصر الامبراطوري وخدمة الامبراطور شخصياً، ولكن مع مطلع عهد الامبراطور قسطنطين الأول أخذت وظيفة الحاجب تتبلور كوظيفة رسمية، حتى أصبح كبير الحُجَّاب من أرفع المناصب في القصر الامبراطوري وكان شاغله من الخصيان، وقد أُوكلت إليه وظيفة الإشراف على العدد الكبير من الحُجَّاب العاملين في القصر إضافة إلى ما سلف ذكره من وظائف، وقد تمتع بنفوذ كبير وصلاحيات واسعة بسبب مرافقته الدائمة للامبراطور وتملقه إياه، فخشي منه كبار موظفي الحكومة لإمكانية تأثيره الشخصي عليه، وقد انحدرت أهمية هذا المنصب إلى مجرد لقب في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي وارتفعت مكانة حاجب آخر كان مرؤساً لديه وهو الحاجب المسؤول عن غرفة نوم الامبراطور المُلقب بالبراكويمومنوس Parakoimomenos حيث انتقلت اختصاصات كبير الحُجَّاب إليه وازداد نفوذه بشكل كبير.[3]

---

[1] كريستنسن. (1998م)، ص:384، 385.

[2] كريستنسن. (1998م)، ص:379.

[3] فرج. (2004م)، ص:42، 43، 47.

ومن جهة أخرى فقد اتخذ البيزنطيون الحرس ونظموهم ضمن فرق عسكرية في الجيش، حيث تواجد في العاصمة فرقة الحرس الامبراطوري أو جيش العاصمة وتتألف من أربعة فرق من الفرسان، وأولها هي فرقة الاسكلارية Sculari التي تولى قيادتها الدمستق[1] Domestic وتتكون من فرسان مكلفين بحراسة القصر الامبراطوري في القسطنطينية ويرتدون زياً موحداً فخماً لإضفاء الفخامة والأبهة في المراسم الامبراطورية وتعد هذه الفرقة من أهم فرق العاصمة وأعلاها مقاماً وأكبرها عدداً، ومن هذه الفرق أيضاً فرقة الاكسكوبيتر Excubiyor التي يقودها القومس Comes للخدمة كجند في المواكب الرسمية للامبراطور، وهناك فرقة الأريثموس Arithmos أي فرقة المراقبة والتفتيش وتقوم بتأمين الامبراطور والقصور الامبراطورية من الخارج كما تخرج بدوريات مسائية في حالات السلم وتحرس سجون الأسرى الأجانب[2]، كما وُجد فرقة خاصة للحرس الشخصي للامبراطور ويرأسها صاحب الحرس وترافق أفراد هذه الفرقة الامبراطور في كل الأوقات حتى عندما يغادر المدينة في حملة عسكرية أو في رحلة صيد، وهم مَن يشكلون حامية القصر أيضاً.[3]

أما العرب قبل الإسلام فقد عرفوا بساطة العيش حيث جلسوا على الأرض مفترشين الحصير أو الجلد أو العباءات[4] التي يلبسونها أو نحو ذلك،

واستمر الأمر كذلك مع ظهور الإسلام وإقامة الدولة العربية الإسلامية حيث استقبل رسول الله ﷺ الوفود ورُسُل دول الجوار في المسجد النبوي في المدينة المنورة متخذاً إياه مقراً لدولته الجديدة مُصدِراً منه أهم

---

[1] الدمستق: لقب وظيفي عسكري تماماً، وكان يحمله أرفع الناس مكانة في بيزنطة ممن يعملون في منصب الدمستقية وحسب المفهوم العربي لهذا اللقب فهو يشير إلى قائد مجموعة من الجنود يصل عددهم إلى أربعة آلاف جندي ولا يوجد لهذه الوظيفة مقابل في العربية. منصور. (2015م)، ص:162، 163.

[2] أحمد. (2010م)، ص:49؛ عبيد. (2005م)، ص:23، 26، 27؛ منصور. (2015م)، ص:23، 197–199، 204، 206.

[3] منصور. (2015م)، ص:170.

[4] العباءات: هي نوع من أنواع الملابس، مفتوحة من الجهة الأمامية وليس لها أكمام بل فتحتان لإمرار الذراعين، وهي لباس البدو على وجه الخصوص. دوزي. (2012م)، ص:259.

القرارات بالحرب والسِلم، وعلى الرغم من اتخاذه ﷺ الحُجّاب إلا أن وظيفته لم تكن كحُجاب ملوك كسرى وأباطرة بيزنطة إذ اقتصرت على سؤاله الإذن بدخول الرجال وتنظيمهم، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده حيث دخلوا إلى الخليفة بطلباتهم وشكاياتهم وخاطبوهم بأسمائهم أو كُناهم، وكان الاستئذان يقتصر على أن يسأل الرجلُ الحاجبَ الذي في الباب الدخول إلى الخليفة أو أن يقف الرجل بباب الخليفة ويلقي السلام مستأذناً بالدخول، ومكرراً ذلك ثلاث مرات فإن لم يُؤذن له عاد في وقت لاحق[1]، كما جرتِ العادةُ بمرافقة الخليفة لأحد قواده أثناء خروجه للحرب دون طبل أو موكب موصياً إياه بالصبر والرفق والعدل، ولم يكن أمام الولاة في الأمصار سوى الاقتداء بهم،[2] إلا أنه ما تعرض له معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ﷺ من محاولة اغتيال على يد الخوارج[3]، دفعه لاتخاذ نمط من الحراسة والحماية لشخصه، بالإضافة إلى حاجته لتفادي ازدحام الناس على بابه، إلى جانب انتقال عاصمة الخلافة في العصر الأموي إلى دمشق ولاقتراب مركز الحكم من معقل البيزنطيين أعداء الدولة المعهودين[4]، دعا إلى اتخاذ الحاجب وإظهار بعض مظاهر المُلك والفخامة، فأمر معاوية بن أبي سفيان ﷺ الحاجب الذي على بابه بمنع دخول الناس إليه دون إذن شخصي منه، وحذا حذوه الخليفة عبد الملك بن مروان إلا أنه سمح للحاجب بإدخال بعض الأشخاص

---

[1] الخزاعي. (1985م)، ص:66؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:152؛ فروخ. (1966م)، ص:163.

[2] حركات. (1989م)، ص:242؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:142، 144؛ الطريفي. (1994م)، ص:302؛ الهاشمي. (2002م)، ص:23.

[3] الخوارج: قوم خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعد مسألة التحكيم، وكان اجتماعهم في حروراء قرب الكوفة، لذلك سُمّوا بالخوارج أو الحرورية. حسن. (1996م)، ج1 ص:307؛ الفيومي. (2003م)، ص:94.

[4] الطبري. (1967م)، ج5 ص:330؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:124؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:62؛ ابن كثير. (1997م)، ج11 ص:465؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:299، 332؛ القلقشندي. (1922)، ج3 ص:277؛ السيوطي، (2003م)، ص:160؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:360؛ الجبري. (1989م)، ص:32؛ الصلابي. (2008م)، 249؛ ضية. (2016)، ص:15؛ كرد علي. (1934م)، ص:69؛ الهاشمي. (2002م)، ص:23.

عليه دون إذن بقوله: "**ولَّيتُك حِجابة بابي إلا عن أربعة: المؤذن فإنه داعي الله فلا حاجب عليه، وطارق الليل فشرٌّ ما أتى به، ولو وجد خيراً لنام، والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه فربما أفسد على القوم سنةً إذا حبس البريد ساعة، والطعام إذا أدرك**".[1]

وقد اختلفت الروايات حول صاحب هذا الأمر فهناك مَن يردُّه إلى زياد بن أبيه بالصيغة التالية: "**ولّيتُك حِجابي وعزلتك عن أربع: هذا المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح فلا تعُوجَنَّه عني، ولا سلطان لك عليه، وصاحب الطعام، فإن الطعام إذا أُعيد تسخينه فسد، وطارق الليل فلا تحجبه فشرٌ ما جاء به، ولو كان خيراً ما جاء في تلك الساعة ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنةٍ فأدخله ولو كنت في لحافي**"[2] ومنها مَن ينسبه إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.[3]

كما قام الأمويون بتصنيف الناس والتفضيل بينهم وكان أول من قام بذلك زياد بن أبيه في العراق بعدما أشار عليه حاجبه بذلك، فأذن أولاً لأشرف الوافدين إليه نسباً بالدخول إليه ثم لأكبرهم سناً ثم لأكثرهم أدباً، وهي عادة فارسية ساسانية الأصل.[4]

ومن جهة أخرى وإمعاناً في الحماية اتخذ معاوية بن أبي سفيان ﷺ الحرَّاس على بابه مزوداً إياهم بالحِراب وأمر بتخصيص مقصورة له في المسجد لإقامة الصلاة فيها بينما يحيط به الحراس بالسيوف رداً لأي

---

[1] القلقشندي. (1922)، ج1 ص:114؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:361؛ الجبري. (1989م)، ص:32؛ ضية. (2016)، ص:15.

[2] القلقشندي. (1922)، ج1 ص:114؛ الجبري. (1989م)، ص:32.

[3] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:296؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:361؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:59، 60؛ الهاشمي. (2002م)، ص:23، 47.

[4] الخربوطلي. (1994م)، ص:144، 145؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:152.

محاولة اغتيال، ونتيجة طبيعية لذلك أن اقتدى به ولاته في الأقاليم، فاتخذ زياد بن أبيه في العراق رجالاً يرافقونه أينما حل حاملين الأعمدة والحِراب إلى أصبح المسير بالحربة تقليداً.[1]

يُلاحظ مما سلف أنه لم يسعَ الخلفاء الأمويون نحو التقليد الأعمى للأعاجم ونسخ حضارتهم بحذافيرها بل أخذوا عنهم بعض مظاهرها متى دعت الحاجة لها، مستفيدين من خبرتهم وتجاربهم السالفة، فلم ينغلقوا على أنفسهم ولم تأخذهم العزّة دونها.

خامساً: استحداث منصب ولي العهد:

عرف الفرس الساسانيون نظام ولاية العهد فسنُّوا القوانين وحددوا الشروط لاختيار ولي العهد، تلك القوانين التي أصبحت موجبة الاتباع على مَن سيخلف الملك، حيث جُعل الحكم في الدولة الفارسية الساسانية وراثياً في سلالة آل ساسان ولم يكن الملك حينها يختار ولي عهده بل يكتب بيده ثلاث وصايا يشرح فيها آراءه في أخلاق المرشحين لولاية العهد واستعداداتهم لتولي زمام الدولة دون توصية محددة باسم أحدهم، ثم يودع إحداها عند الموبدان موبد والثانية لكبير الكُتّاب والثالثة لكبير رجال الجيش، وعند موت الملك يجتمع الرجال الثلاثة ويتشاورون في اختيار أحد أبناء الملك، فإذا اتفق رأي الموبدان موبد مع رأي الرجلَيْن الآخرَيْن يذاع الاسم للناس، أما في حال لم يتفقوا على أحد ينعقد اجتماع سري للموبدان موبد وكبار رجال الدين والأتقياء ليصلوا ويتضرعوا، ثم يُحضر التاج والعرش في نفس الليلة إلى القاعة الكبرى في القصر الملكي ويدخل الموبدان موبد والوزراء وكبار رجال الدولة إلى مجلس أمراء البيت المالك، ثم يُعلن الموبدان موبد اسم الأمير الذي اختارته الملائكة لهم ملكاً ليبايعوه، ثم يُرفع هذا الأمير على العرش ويضعون التاج على رأسه.[2]

---

[1] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:332؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:143، 171؛ داغر. (1919م)، ص:101، 102؛ ديورانت. (1947م)، ص:28؛ فروخ. (1966م)، ص:178؛ كريمر. (1947م)، ص:25.

[2] كريستنسن. (1998م)، ص:250، 251؛ نصر. (2021م)، ص:5.

وربما لم يلجأ الملك في الدولة الفارسية الساسانية إلى تسمية مَن يخلفه على العرش من أبنائه خوفاً من زوال روابط المحبة والود بينه وبين مَن اختاره ولياً لعهده إذ ستسود بينهما مشاعر البغض وترصد الموت، كما أن بتسميته علناً إشعالاً لنار الحقد والغيرة والمكر والكيد، فضلاً عما يمكن أن يتملكه من مشاعر الغرور والعظمة مما يسبب هلاكه.[1]

كما كانت ولاية العهد مألوفة عند البيزنطيين إلا أنها لم تكن تطبق وفق قانون محدد إذ قام الأباطرة بتعيين مَن يرغبون في توليته العرش من بعدهم وجعلوا منه شريكاً لهم في الحكم أثناء حياتهم ومنحوه ما للامبراطور من إشارات وألقاب كما قاموا بنقش اسمه على العملة، فقد قسَّم الامبراطور دقلديانوس الامبراطورية الرومانية إلى قسمَيْن شرقي وغربي يحكم كل منها حاكم يُلقب بقيصر، وكان القيصر يُتوج بتاج ليس عليه صليب وكان مقامه رفيع ولكن دون مقام البطريرك، ولأن القيصر كان يُتوج امبراطوراً في حياة سلفه على الدوام وبدون استثناء كانت مرتبته كوصي على العرش أو ولي للعهد أو وارث حالي أو أمير من أبناء البيت المالك، كما حمل الامبراطور تيبيريوس لقب قيصر أثناء حكم الامبراطور جوستين الثاني وتولى عنه أمور الحكم آخر عهده[2]، كما عزم الامبراطور موريس إلى إعلان ابنه الأكبر ثيودوسيوس حاكماً على روما والولايات الشرقية من الامبراطورية بعد جعل روما عاصمة ثانية كالقسطنطينية، وابنه الثاني تيبيريوس حاكماً لإيطاليا والجزر الغربية،[3] كما سمح الامبراطور هرقل لمن أراده خليفةً له أن يُنقش اسمه على العملات ويُذكر أيضاً في المراسيم وذلك لضمان الاستقرار وبقاء الحكم ضمن الأسرة الواحدة بعد مدة من الاضطرابات التي أسلفت عهده، وفعلاً

---

[1] تنسر. (1954م)، ص:51.

[2] رنسيمان. (1997م)، ص:90؛ الشامي. (2002م)، ص:61؛ عمران. (2000م)، ص:20، 21؛ محمد. (2009م)، ص:81؛ العريني. (1982م)، ص:132؛ نيكول. (2003م)، ص:103، 104.

Kazhdan. (1990), V2 P:1082.

[3] داوني. (1997م)، ص:337؛ عاقل. (1997م)، ص:78؛ محمد. (2009م)، ص:82؛ هسي. (1997م)، ص:102.

اتَّخذ الامبراطور هرقل اثنَيْن من أبنائه منذ ميلادهما شركاء له في الحكم[1]، ففي عام 613م توَّج هرقل ابنه الرضيع قسطنطين في القصر الامبراطوري ثم توجَّهوا به نحو أحد الساحات العامة فحيَّاه أعضاء مجلس الشيوخ إكباراً له، كما أمطره الشعب بوابل من الهتافات المؤيدة ومن هناك انطلقوا جميعاً مع هرقل إلى الكنيسة ليكملوا ما بدؤوه بدعم رجال الدين[2].

أما عن العرب قبل الإسلام فقد عرفوا الملكية في الحكم سواء في اليمن أو ممالك الشام والعراق وغيرها، إلا أنه بظهور الإسلام تأسست حكومة دينية في المدينة المنورة اعتمدت على الوحدة الدينية بدلاً من العصبية القبلية، ومع فتح مكة سنة 8هـ/629م أصبح هناك دولة تعتمد على مركزية الحكم تولى فيها رسول الله ﷺ السلطة التنفيذية والقضائية، إلا أنه لم يوصِ قبل وفاته بأحد من المسلمين ليكون خليفة له تاركاً الأمر شورى بينهم، ليجدوا أنفسهم يباعون أبي بكر الصّدّيق ﷺ في المدينة المنورة ويدعونه بخليفة رسول الله مستحدثين بذلك نظام حكم عربي إسلامي وهو الخلافة سنة 11هـ/632م، والذي أوصى بعمر بن الخطاب ﷺ خليفة له على المسلمين بعد استشارة عدد من صحابة رسول الله ﷺ،[3] وقد حدد عمر بن الخطاب عندما حضرته الوفاة ستة من الصحابة الكرام ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين وليس فيهم أي من أبنائه[4]، فوقع اختيارهم على عثمان بن عفان ﷺ الذي خلفه علي بن أبي طالب ﷺ بمبايعة المسلمين ورضاهم.[5]

---

[1] اسماعيل. (1985م)، ص:88.

[2] . Ostrogorsky. (1968), P:107.73Kaegi. (2003), P:

[3] وهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفّان ﷺ. الطبري. (1967م)، ج3 ص:428.

[4] والصحابة الستة هم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله ﷺ. الطبري. (1967م)، ج4 ص:228.

[5] الطبري. (1967م)، ج4 ص:428؛ ابن بطريق. (1905م)، ج2 ص:27؛ السيوطي. (2003م)، ص:124.

يعد معاوية بن أبي سفيان ﷺ مُوجِد نظام الوراثة في الخلافة مستلهماً إياه من أنظمة الحكم الفارسية الساسانية والبيزنطية[1]، وقد كان لذلك عدة أسباب وأهداف، فعندما بدأ معاوية بن أبي سفيان ﷺ التميهد لتولية ابنه يزيد خلفاً كان بعد وفاة كبار صحابة رسول الله المبشرين بالجنة[2]، وبعد ما اكتسبه يزيد من شهرة كبيرة بعد توليه قيادة جيش المسلمين ومحاصرته القسطنطينية، كما أراد معاوية ﷺ من ذلك الحيلولة دون تنافر المسلمين من جديد ولا سيما بعد مدة من المشاحنات والفتن والخصومات بينهم، وقد رغب أن تبقى الشام مركز الخلافة العربية الإسلامية وعاصمة دولتها، فأهلها أطوع للخليفة من أهل باقي البلاد ولم يكن لديه مَن يستطيع تمثيل سياسة الشام حسب توجّهاته سوى ابنه يزيد الذي وُلد ونشأ في الشام خلال ولاية والده معاوية ﷺ عليها في عهد عثمان بن عفان ﷺ، كما أنه ذو أصل عربي من كلا طرفي الوالدين فأمه عربية من بني كلب التي سكنت الشام منذ زمن بعيد.[3]

وهكذا استحدث معاوية بن أبي سفيان ﷺ منصب ولي العهد لأول مرة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، وقد اتَّبعه معظم مَن جاء بعده من الخلفاء إذ كانوا يعهدون لأحد أبنائهم أو أحد أفراد الأسرة كالأخ

---

[1] رنسيمان. (1997م)، ص:90؛ ضية. (2016)، ص15؛ كريستنسن. (1998م)، ص:250؛ يوسف. (2005م)، ص:30.

[2] الصحابة المبشرون بالجنة: بشر رسول الله ﷺ عشرة من صحابته بالجنة، إذ قال: "**أبو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنَّة، وسعد في الجنَّة، وسعيد في الجنَّة، وأبو عبيدة بن الجرَّاح في الجنَّة**" الترمذي، (2000م)، ج3 ص:529، رقم الحديث:3747.

[3] ابن قتيبة. (1990م)، ج1 ص:197؛ الطبري. (1967م)، ج5 ص:322؛ مسكويه. (2002م)، ج2 ص:22؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:97؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:5؛ أبو النصر. (1936م)، ص:83؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:30، زيدان. (د.ت)، ج1 ص:81؛ الصلابي. (2008م)، ص:469؛ 37؛ الفيومي. (2003م)، ص:113، 119.

بالحكم كي لا تخرج السلطة عن الأسرة الواحد، ثم يبعثون بذلك إلى عمالهم في الأقاليم ليبايعونه ثم يعممون الخبر على الناس ويأخذون بيعتهم أيضاً، وعند وفاة الخليفة تُجدد البيعة تأكيداً للعهد.[1]

ويُستنتج من خلال المقارنة بين ولاية العهد في الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أحدث تغييراً في منهج انتقال السلطة وانتقال الحكم عما جرت عليه العادة خلال العصر النبوي والراشدي، فقد ترك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون الأمر شورى لمن بعدهم من المسلمين في اختيار أفضلهم لهذا المنصب، وإن كان بعض الخلفاء الراشدين قد أوصوا بأحد ما من المسلمين إلا أنهم لم يختاروه من بين أفراد عائلتهم ولم يلجؤوا إلى الإجبار على مبايعته، مما يجعل من تعيين معاوية بن بي سفيان ﷺ لابنه يزيد ولياً لعهده أشبه بنظام الفرس الساسانيين من حيث حصر الحكم ضمن الأسرة الحاكمة، وبنظام البيزنطيين من حيث تحديد أحد أبناء الخليفة، مما كان لذلك عظيم الأثر على مستقبل الدولة العربية الإسلامية في وصول رجال غير أكفّاء لهذا المنصب مما سبب لها الضعف ثم الانهيار فيما بعد.

سادساً: إبداء مظاهر الفخامة والأبّهة لدى الخلفاء وفي مجالسهم:

تعرَّف العرب المسلمون على ما خلّفه الفرس الساسانيون والبيزنطيون من آثار تدل على عظمة حضارتهم وفخامة أبنيتهم، فلطالما افتخر الفرس الساسانيون بأنفسهم وتفاخروا بماضيهم وتاريخهم وعراقة حضارتهم ومالوا إلى حب المال وجمع الثروات، وأظهروا ذلك للعيان من خلال مظاهر الأبهة والفخامة التي أُقيمت عليها قصورهم لإبهار الداخلين إليها، مما يبثُّ الرهبة والعظمة في قلوب أعدائهم وحلفائهم على حد سواء تجاه الملك، وبدا ذلك واضحاً في الألقاب التي اتخذوها لأنفسهم حيث يقال لهم: شماخ بغَان أي أنتم الكائنات الإلهية أو قدسيتكم، من خلال فخامة الإيوان الذي أمر الملك كسرى أبرويز ببنائه والمعروف بمتانة

[1] الطبري. (1967م)، ج5 ص:322؛ مسكويه. (2002م)، ج2 ص:22؛ ابن الأثير. (2012م)، ج3 ص:97؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج8 ص:5؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:30، 37؛ خماش. (1987م)، ص:224، 225؛ فروخ. (1966م)، ص:160، 168.

جدرانه بعدما اختار له أفضل البنَّائين والصُّناع[1]، كما جمع من الثروات ما لم يسبقه عليه غيره فقد تقلَّد تاجاً من الذهب الخالص ومرصعاً بأحجار الياقوت والزبرجد[2] واللؤلؤ[3] حيث وصل وزنه إلى واحد وتسعين كيلو غرام ونصف حتى عجز عنقه عن حمله، فحُمل بسلسلة ذهبية تتدلى من سقف الإيوان وسُتر بالثياب ريثما يجلس الملك على عرشه ويدخل رأسه في التاج[4]، وهذا بالإضافة إلى العرش الذي جلس عليه والمصنوع من العاج والساج[5] وكانت ألواحه من الذهب والفضة، بينما اُختير لجوانبه أن تكون من الشيز والأبنوس[6] المطعمة بالذهب، وفوقه طاق من الذهب واللازورد[7]، عدا عن البساط الحريري الذي يبلغ طوله ستين ذراعاً وعرضه ستين ذراعاً والمرصع باللؤلؤ والجواهر والذي يفرش له عند جلوسه على العرش، فضلاً عما ذُكر عن لوح الشطرنج الذي امتلكه والذي نُحتت أحجاره من الياقوت الأحمر والزمرد[8] وكان نرده من البسط والفيروزج، إلى

---

[1] الفردوسي. (1979م)، ص:223، 224؛ الثعالبي. (د.ت)، ص:698.

[2] الزَّبَرْجَد: من الأحجار الكريمة ولونه أخضر، ولكن تتفاوت درجته حسب نوعه فمنه: أخضر فاتح اللون، ومنه أخضر داكن، وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:266.

[3] اللؤلؤ: حجر نفيس أبيض ذو لمعة، يوجد في الأصداف ويتكوَّن من رواسب بعض الحيوانات المائية، وله أنواع عديدة. عمارة. (1993م)، ص:493.

[4] الثعالبي. (د.ت)، ص:699، 700؛ كريستنسن. (1998م)، ص:448؛ وتوجد بعض الروايات التي تنسب هذا التاج بزينته للملك كسرى أنوشروان. ابن هشام. (د.ت)، ج1 ص:64.

[5] الساج: أو الشاذنج، هي كلمة معربة عن الفارسية (شاذية) وهو حجر أحمر معتم قابل للصقل ويسمى حجر الدم وله فوائد طبية. عمارة. (1993م)، ص:276.

[6] الشيز: خشب أسود صلب جداً أو هو الأبنوس وتُصنع منه القِصاع. معلوف. (1969)، ص:411.

[7] اللازورد: أحد الأحجار النفيسة ذو لون أزرق، عمارة. (1993م)، ص:492.

[8] الزمرد: هو أحد الأحجار الكريمة، وأنواعه وألوانه كثيرة فمنها الأخضر والأصفر والأزرق. عمارة. (1993م)، ص:271.

جانب الأواني والأطباق الفضية والأسرّة والكؤوس الذهبية والفضية المزخرفة بالرسوم التي توحي إلى الطبيعة كالحيوانات والأزهار.[1]

أما عن مجالس الملك فكانت تنعقد في الإيوان بعدما يعجُّ بالوافدين، وقد كانت تُزين جدران القاعة وأرضها بالسجاجيد الفخمة، وتُغطى أجزاء أخرى منها بلوحات فسيفسائية[2]، وفي أقصى القاعة يتموضع عرش الملك الذي يحجبه عن الناس ستار ضخم على مسافة عشرة أذرع، حيث يقف على بُعد عشرة أذرع من الستار الطبقة الأولى من الناس وهم الأساورة وأبناء الملوك، وعلى بُعد عشرة أذرع أخرى يقف الطبقة الثانية من أهل الشرف والعلم والندماء، وعلى بُعد عشرة أذرع من الطبقة الثانية توجد الطبقة الثالثة المؤلفة من أهل الهزل والمضحكون، والذين يفصلهم بالطبع حاجز عن الجماهير الشعبية، وفجأة يرتفع الستار ويظهر الملك لحاشيته جالساً فوق عرشه على وسادة من الديباج[3] المذهب ومرتدياً ثياباً موشاة بالذهب وعلى رأسه التاج المزين بالأحجار الكريمة والمجوهرات، ثم يأمر الموظف المُوكَّل بالستار ويدعى (خرم باش)– ومعناه كن فرحاً– رجلاً بالصعود إلى أعلى مكان في القصر لينادي بصوت رفيع يسمعه كل الموجودين: "**يا لسان احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك**"[4]، ثم ينزل، فيثبت الجميع ويصمت حتى تُحرك الستارة، ثم يسجدون للملك، فمَن أراد أن يتكلم معه يدخل بإذن كبير الحُجَّاب ويرمي بنفسه على الأرض أمام الملك حتى يأذن له بالنهوض، كما كان يُحرَّم على من يريد مخاطبة الملك أن يذكر اسمه أو لقبه لا في الأشعار التي يوجهها إليه ولا في

---

[1] الفردوسي. (1979م)، ص:222؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:231؛ الثعالبي. (د.ت)، ص:698، 699، 700؛ العتابي. (2013م)، ص:119، 124؛ كريستنسن. (1998م)، ص:436، 437، 459، 464.

[2] الفسيفساء: هي شيء يُطبخ من الزجاج والأحجار الملونة، ويُفرش على الأرض أو على الجدران كالفصوص. المسعودي. (2005م)، ج1 ص:202.

[3] الديباج: هي كلمة فارسية معناها النسيج من الحرير الموشى بخيوط من الذهب أو الفضة بأشكال الحيوانات وغيرها. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:123؛ زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:335؛ معلوف. (1969)، ص:205.

[4] الجاحظ. (د.ت)، ص:26.

المناسبات الرسمية، ويُمنع الناس من الدعاء أثناء دعاء الملك لأن دعاءه أقرب إلى الله، وقد منعوا الرعية من الحجامة وشرب الدواء في اليوم الذي يقوم الملك بذلك حتى لا يساووه في فعله وإلا سيتم معاقبتهم، ومَن كان له حاجة يجب أن يكتبها على رقعة ويعطيها للملك وهو صاحٍ قبل أن يسكر وإلا سيتم إعدامه.[1]

وقد أبدت الامبراطورية البيزنطية تقليداً للفرس الساسانيين بعض مظاهر الأبهة والفخامة حيث نال الامبراطور الحظ الأوفر من التعظيم والتفخيم إذ لم يعد يكثر من التنقل بين الناس وانعزل في معيشته على بلاطه القائم على المراسيم ويخدمه عدد من العبيد، وخصَّ نفسه بلبس الثياب الأرجوانية النادرة مع الحذاء ذي اللون القرمزي ووضع التاج، كما توجَّب على مَن أراد مقابلته السجود على الأرض أمامه، كما وصل تفاخرهم بأنفسهم إلى درجة العبادة كما حصل في عهد الامبراطور دقلديانوس الذي عُبد كنصف إله أو إله، ولكن بعد الاعتراف بالديانة المسيحية جمع قسطنطين بين الوثنية والمسيحية وجعل نفسه ظل الرب ونائبه في الأرض وأصبح الامبراطور عموماً هو الرجل الذي اختاره الرب ليمثله في أرضه، ونظراً لوحدانية الرب فلا مجال لغير امبراطور واحد في هذه الدنيا مما جعل الامبراطور فوق سائر الناس، فاتخذ الأباطرة ألقاباً تعظيمية مثل أوغسطس Augustus التي تعني الجليل أو العظيم ولقب باسيليوس Basileus الذي يحمل نفس المعنى ولكن بلفظ إغريقي،[2] كما عمدوا إلى تتويج أنفسهم منذ عهد دقلديانوس من قِبل كبار رؤساء الجهاز الإداري وهي عادة فارسية الأصل، إلا أنه منذ الاعتراف بالمسيحية أصبح التتويج من اختصاص الكنيسة وفي الأماكن العامة ومع مطلع عهد الامبرطور فوقاس بدأ التتويج يتم في داخل كنيسة العاصمة مما يمنح الامبراطور الحق

---

[1] الجاحظ. (د.ت)، ص:22، 28؛ المسعودي. (2005م)، ج1 ص:188؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:434؛ ديورانت. (1988م)، ج12 ص:285؛ كريستنسن. (1998م)، ص:384، 385؛ 386، 381، 388.

[2] رنسيمان. (1997م)، ص:17، 310؛ الشامي. (2002م)، ص:61؛ يوسف. (2005م)، ص:37، 38؛ اليوسف. (1984م)، ص:190، 191.

الإلهي في الحكم، وهكذا كان للامبراطور السلطة التشريعية والتنفيذية ويحيط به جميع موظفي القصر والحكومة لخدمته وحده فهو مَن يعينهم في مناصبهم ويتحملون أمامه مسؤولية أداء وظائفهم.[1]

ولعل أبرز ما تجلت به مظاهر الفخامة في الامبراطورية البيزنطية كان عند استقبال سفراء الدول الأجنبية، فإذا وصل أحدهم إلى القصر الامبراطوري يتم تزويده فورا بكل قواعد السلوك المطلوب منه خلال زيارته، ثم يُستقبل عند الامبراطور حسب ترتيب أهمية بلاده، فيكون الامبراطور هادئاً رصيناً لفرض وقاره على السفير الذي يسجد أمامه على الأرض، ثم يُدعى إلى مأدبة رسمية أو مقابلة شخصية، فإن كان من شعب بربري يقوم عمّال القصر بتشغيل بعض الآليات والمجسمات التي تصدر أصواتاً كالأسود والطيور الذهبية بهدف ترويع الضيف، في حين يرتفع عرش الامبراطور عالياً وتتغير ملابس الامبراطور لتكون أفخم من سالفتها.[2]

كما كان الفن البيزنطي من أهم ما اتضحت به مظاهر الأبهة عند البيزنطيين، إذ استخدموا الذهب في كتابة المخطوطات ونحتوا التماثيل من الرخام المموه بالذهب بأحجام ضخمة تعكس القوة والفخامة، واستعملوا خيوط الذهب في صناعة الأقمشة والحرير ورُسمت صور الامبراطور وتُحتت تماثيله بصورة جسمانية رائعة ومثالية تمييزاً له عن سائر الشعب[3]، ومن جهة أخرى فقد كانت العمارة البيزنطية شاهدة على عظمة الامبراطورية ولا سيما في بناء الكنائس، فما إن أطل القرن الرابع الميلادي حتى بدأت الكنيسة تقتبس شعائرها من البلاط الامبراطوري، فكما كان للأباطرة –أنصاف الآلهة– قصوراً بها قاعات للعرش وقاعات للثياب مع جناح خاص بالامبراطورة ونساء القصر، أصبحت الكنيسة تطالب بنظام بناء أكثر تعقيداً وفخامة، فوصلوا إلى النظام المعقد والمتطور القائم على موازنة القبة على قاعدة مربعة، وكان أبرز مثال لذلك هو كنيسة الحكمة

---

[1] فرج. (2004م)، ص:38، 39؛ اليوسف. (1984م)، ص:192.

[2] رنسيمان. (1997م)، ص:186؛ الشامي. (2002م)، ص:31، 55.

[3] رنسيمان. (1997م)، ص:312.

الإلهية (آية صوفيا) التي بناها الامبراطور قسطنطين وأعاد بناءها الامبراطور جستنيان الأول نتيجة تعرضها لحريق عام 532م، فتضمن البناء مساحة ضخمة مفتوحة تحت قبة عالية يُخيّل للناظر إليها من بعيد وكأنها تتطاير في الهواء دون أن يكون لها أي أعمدة ظاهرة، وهذا فضلاً عن زخرفتها الداخلية بالفسيفساء إلى جانب استخدام الرخام الملون والذهب والفضة والعاج، فضلاً عن وجود أربعين نافذة ثُبتت على محيط دائرة القبة، فلم يعد هناك كنيسة أخرى تضاهيها عظمة وجلالاً إذ أنفق عليها الامبراطور جستنيان الأول ما يقرب 320.000 رطلاً من الذهب آنذاك.[1]

أما العرب المسلمون خلال العصر النبوي والراشدي فلم يعرفوا إلا التواضع والتقشف، لا عن فقر أو حاجة بل عن زهد وترفّع، إذ استقبل رسول الله ﷺ وفود القبائل وسفراء الدول المختلفة في مسجده الشريف المبني من الطوب والحجارة والمسقوف بورق النخيل مرتدياً أبسط ثيابه،[2] كما عمد الخلفاء في العصر الراشدي إلى ارتداء الثياب الخشنة ولم يلجؤوا إلى الجديد منها بل لبسوا المرقّع والقصير والغليظ[3]، واستقبلوا السفراء وممثلي الدول في المسجد نفسه فها هم العرب المسلمون يأتون بالهرمزان أسيراً وعليه كسوته الحريرية وتاجه الذهبي إلى المدينة المنورة ليراه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان نائماً في المسجد، فيسأل الهرمزان: "**أين عمر؟**" قالوا: "**ها هو ذا!**" فقال الهرمزان: "**أين حَرَسُه وحُجَّابُه؟**" قالوا: "**ليس له حاجب ولا حارس ولا كاتب ولا ديوان**" قال: "**فينبغي أن يكون نبياً**" قالوا: "**بل يعمل عمل الأنبياء**"[4]

---

[1] رنسيمان. (1997م)، ص:313-315؛ الشاعر. (1989م)، ص:99، 100؛ فرج. (1982)، ص:88؛ اليوسف. (1984م)، ص:84.

Kazhdan. (1990), V2, P:892.

[2] اليعمري. (د.ت)، ص:314؛ ابن كثير. (1997م)، ج7 ص:236.

[3] حسن. (1996م)، ج1 ص:443؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:174؛ أبو خليل. (1994م)، ص:413؛ الهاشمي. (2002م)، ص:137.

[4] الطبري. (1967م)، ج4 ص:87؛ مسكويه. (2002م)، ج1 ص:238؛ ابن كثير. (1997م)، ج10 ص:62؛ عبادة. (د.ت)، ص:137، 138.

ولكن عند احتكاك العرب المسلمين وخلفائهم على وجه الخصوص خلال العصر الأموي بالفرس الساسانيين والبيزنطيين واقتراب مركز الخلافة من بلادهم أخذوا منهم بعض مظاهر الفخامة والأبهة، فخلال ولاية معاوية بن أبي سفيان ﷺ على بلاد الشام قدم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى بلاد الشام راكباً على حمار، فاستقبله معاوية ﷺ بموكب ضخم، فرفض عمر ﷺ ذلك وقال له: "**أنت صاحب الموكب الآن مع ما يبلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين: إنّا بأرض يكثر فيها جواسيس العدو، فأحتاج أن أظهر لهم من أبهة المُلك والسلطان ما يَزَعُهم، فإن أمرتني به، ائتمرت، وإن نهيتني عنه، انتهيت، فقال: إن كان ما قلت حقّاً، فإنه لرأيُ أديب! وإن كان غير حق، فإنه لخدعة أرِيب، لا آمرك ولا أنهاك**".[1]

وهكذا خرجت الدولة العربية الإسلامية تدريجياً عن بساطتها وبدأت تتأثر بالعادات الفارسية الساسانية والبيزنطية في إظهار مظاهر الفخامة والأبهة في مجالس الحكم، إذ شرع الخلفاء الأمويون في تسيير أمور الحكم من القصور كقصر الخضراء الذي بناه معاوية بن أبي سفيان ﷺ في دمشق وزوده بسرير خاص به فكان أول مَن اتخذ سريراً للمُلك وجلس عليه من الخلفاء العرب المسلمين، ولكن بعدما استأذن الناس بسبب بدانته وأذنوا له، كما خصَّص أسرّة وكراسي ومصليات أخرى للجلساء وفرشها بالبسط والسجاد.[2]

ثم بدأت مجالس الخلفاء الأمويين تتطبع شيئاً فشيئاً بالعادات الفارسية الساسانية والبيزنطية حيث حجب الخلفاء الأمويون أنفسهم عن الندماء بالستائر، كما أخذت مظاهر تعظيم وإجلال الخليفة تقليداً للفرس الساسانيين في ذلك ومُنع الناس من الكلام في حضرة الخليفة وكان أول من أمر بذلك زياد بن أبيه وحذا حذوه

---

[1] القلقشندي. (1922)، ج3، ص:271.

[2] الخربوطلي. (1994م)، ص:143، 171؛ خماش. (1987م)، ص:255؛ داغر. (1919م)، ص:101، 102؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:81، ج5 ص:151؛ فروخ. (1966م)، ص:178؛ كريمر. (1947م)، ص:25.

الخليفة عبد الملك بن مروان[1]، كما كُمت أفواههم من مطالبة الخلفاء بالصلاح والتقوى وموعظتهم على المنابر كما كانوا يخاطبون أسلافهم، ولم يسمحوا بالدعاء لأحد في حضرتهم، وألا ينهض أحد إلا إذا نهض الخليفة، وإذا نهض هو نهض جميع الحضور، وكان انصرافهم بإشارة منه كقول الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ: **(إذا شئتم)** أو **(العزة لله)**، وقول ابنه يزيد: **(على بركة الله)**، بينما حمل عبد الملك بن مروان خيزرانة فإذا ألقاها من يده عرف جلساؤه أنه أراد انصرافهم، وكان انصرافهم بمشي القهقرة موجهين وجوههم نحو مجلسه.[2]

أما عن إلقاء التحية فقد كان الداخل على جماعة المسلمين في بداية أمرهم يحييهم بتحية عامة ولكنهم قاموا فيما بعد بتمييز الحُكَّام عن سائر الناس، وكان المغيرة بن شعبة ﷺ أول من طبّقها فأمر عماله أن تكون التحية بقول: "**السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته**" مع انحناءة بالرأس والدعاء له، كما فاضل الخلفاء الأمويون بين الناس في مواضع جلوسهم عندهم، فإن كانوا من بني أمية أجلسوهم على الأسرة بعد الخليفة مباشرة ثم إن كانوا من بني هاشم جلسوا على الكراسي، والجدير بالذكر أن أول من اتبع هذه العادة هو والي العراق زياد بن أبيه في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ.[3]

وقد أخذوا عن البلاط الفارسي الساساني والبيزنطي عادة لم تكن معروفة للعرب حتى ذلك الوقت وهي عادة استعمال الخصيان وذلك للخدمة داخل قصر الخليفة وبصفة خاصة داخل قاعات النساء، فإن الجاحظ يقول عنها: "**وكلُّ خصاءٍ في الدنيا فإنما أصلُه من قِبَل الروم**"[4] إذ عيَّن الأباطرة البيزنطيون بدءاً من عهد الامبراطور دقلديانوس خصياناً في الوظائف المتعلقة بخدمة الامبراطور والامبراطورة، كما تم تعيينهم في

---

[1] الجاحظ. (د.ت)، ص:7، 8.

[2] الجاحظ. (د.ت)، ص:30؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:145، 146؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:339؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:154، 155.

[3] الجاحظ. (د.ت)، ص:22، 28؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:144، 145؛ الصلابي. (2008م)، ص:250؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:154.

[4] الجاحظ. (1965م)، ج1 ص:124.

المناصب المهمة ذات الأسرار، مؤتمنين جانبهم لعدم وجود خَلَف لهم يغيّرون ولاءهم من أجله وليس لديهم احتمال في الوصول إلى العرش البيزنطي، كما عمد الملك إلى توكيل الخصيان ببعض شؤون الحكم والإشراف على قصورهم وحراسة النساء وتعليم الأمراء ولكنهم لم يكونوا من طبقة النبلاء وكان رئيسهم يُلقب بـ مَرْبَد.[1]

والجدير بالذكر أن مظاهر التفخيم والأبهة لم تقتصر فقط بما يحيط بالخليفة بل بتفرُّده في كل شي ما عدا الطعام والشراب وعدم مشاركة أحد حتى من بطانته أو ندمائه في أي أمر يفعله كالتطيب، فإن تطيَّب الخليفة لا يمكن لأحد أن يتطيب وقد فعلها ذلك معاوية بن أبي سفيان ﷺ محاكاةً لما فعله كسرى أنوشروان من قبل، وكذلك ما يرتديه أيضاً حيث يُذكر أن عبد الملك بن مروان منع الناس من تقليده بارتداء الخف الأصفر حتى يخلعه،[2] كما انتشرت عندهم عادة ملوك الفرس الساسانيين وأباطرة البيزنطيين في تزيين ملابسهم بصورهم وأشكالهم، ونظراً لعدم قدرة الخلفاء المسلمين على اتخاذ الصور عمدوا إلى تزيين ملابسهم بكتابة أسمائهم وألقابهم وبعض الأدعية والعبارات، حيث تنسج على حافة القماش بخيوط الذهب أو بخيوط ذات لون ذهبي، وهو ما يعرف بالتطريز وهي كلمة فارسية الأصل مشتقة من لفظ (ترازيدن) تدل على نسج الثياب ثم أصبحت تدل على ملابس الخلفاء وثيابهم التشريفية، ثم انتهت إلى الدلالة على المصنع والمكان الذي تصنع فيه الأقمشة، وأقام الخليفة عبد الملك بن مروان ديواناً خاصاً بذلك سُمي ديوان الطراز[3]، والجدير بالذكر أن بعض خلفاء الأمويين لم يعمدوا إلى ارتداء القميص[4] إلا مرة واحدة فقط أو ساعة واحدة فقط ولم يعد إلى لبسه،

---

[1] السيوطي، (2003م)، ص:160؛ ديورانت. (1988م)، ج2 ص:416؛ رنسيمان. (1997م)، ص:102، 103؛ الشامي. (2002م)، ص:65؛ كريستنسن. (1998م)، ص:380؛ كريمر. (1947م)، ص:91، 92.

[2] الجاحظ. (د.ت)، ص:44، 45.

[3] ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:329؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:335؛ عبد العزيز. (2008م)، ص:76؛ الجبري. (1989م)، ص:43؛ الهاشمي. (2002م)، ص:137؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:139، ج5 ص:165.

Liu. (2010), P:99.

[4] القميص: هو ثوب له أكمام واسعة يهبطان إلى المعصم، بينما يتدلى الثوب إلى الساقين. دوزي. (2012م)، ص:328.

كالخليفة يزيد بن معاوية[1] (60- 64هـ/680- 683م) إلا إن كان اللباس نادراً أو غريباً، مستلهمين ذلك من ملوك الفرس الساسانيين كالملك كسرى أنوشروان وكسرى أبرويز وقباذ الثاني الذين كانوا يلبسون القميص حتى يُغسل ثلاث مرات ومن ثم يخلع به إلى أقربائه دون العامة.[2]

وقد جرت العادة عند الخلفاء الأمويين أنهم لجأوا إلى تطريز ثيابهم وقراطيسهم في مصر على الطراز البيزنطي حيث كان معظم سكانها لا يزال يدين بالمسيحية وذلك حتى عهد عبد الملك بن مروان، إذ مرَّ عليه إحدى القراطيس المطرزة باللغة اللاتينية وعندما أمر بترجمتها كان فحواها (باسم الأب والابن والروح القدس) فأنكر ذلك، وأمر عامله على مصر أخيه عبد العزيز بن مروان بإبطال العمل بالطراز البيزنطي واستبداله بعبارة التوحيد (لا إله إلا هو)، ثم بعث بهذا الأمر إلى عماله في جميع الأقاليم، وكان له ما أراد، مما أغضب الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني ودفعه إلى استرضاء عبد الملك بن مروان بهدية للرجوع عن هذا الأمر، فرفض ولم يرد إليه بجواب مما زاد من غضب الامبراطور وتهديده بنقش سب رسول الله ﷺ على النقود، فكان ذلك دافعاً إضافياً لعبد الملك من أجل ضرب النقود العربية الإسلامية الخالصة كما سيتم تفصيله فيما بعد.[3]

وهنا يُلاحظ القارئ جيداً مغالاة الخلفاء الأمويين بإبداء مظاهر الأبهة والترف والفخامة إلى أن ابتعدوا عن إحدى أهم مقاصد الدين الإسلامي في التقشف والتواضع، فإن إظهار قوة الدولة وفرض مهابتها على الآخرين لا يكون فقط من خلال الإمعان في عكس دلائل الثراء بل من خلال إحقاق الحق ونشر العدالة وردع

---

[1] يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ثاني الخلفاء الأمويين، عهد له أبوه معاوية بن أبي سفيان ﷺ بولاية العهد من بعده، وأمه هي ميسون بنت بحدل الكلبية، وبويع للخلافة سنة 60هـ/680م، ولكن امتنع عن بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وعبد الله بن الزبير فدارت فتنة وبينهم حرب طاحنة، وتُوفي في دمشق سنة 64هـ/683م. ابن قتيبة. (1969)، ص:351؛ المسعودي. (د.ت)، ص:262-264.

[2] الجاحظ. (د.ت)، ص:151، 152.

[3] ابن خلدون. (2001م)، ج3 ص:57؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:140، 141.

Liu. (2010), P:99.

الظالمين مهما بلغت مكانتهم، فجيوش الفتح العربي الإسلامي التي أبهرت الدول العظمى آنذاك وفرضت وجودها عليهم خرجت من المدينة المنورة مهد التواضع والتقشف.

ومن جهة أخرى إن مغالاة الأمويين في تقليد الفرس الساسانيين في مظاهر أبهتهم وتفاخرهم على غيرهم وتفريقهم للناس وتصنيفهم ضمن مراتب خلقَ فجوة بين الفئة الحاكمة والرعية، وبين الرعية أنفسهم فيما بينهم أيضاً، حيث تفاضل القرشيون على غير القرشيين من العرب كما تفاضل العرب على غير العرب وعلى وجه الخصوص فئة الموالي وتعصب كل منهم لفئته ودافع عن حقوقها، مما أدى إلى عودة التفرقة بين الناس وفتور العصبية للإسلام، وهذا ما أدى تدريجياً إلى تفرُّق وحدة الصف الإسلامي إلى فئات متناحرة مبغضة لبعضها البعض كما كان سائداً في الدولة الفارسية الساسانية، ومع ازدياد غضب الموالي اضطربت الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية وقامت ثورة أدت مع غيرها من الأسباب إلى إسقاط حكم خلفائها وإنشاء دولة أخرى وصل فيها الموالي إلى أعلى المراتب والمناصب والوظائف وقد ظهر هذا جلياً خلال العصر العباسي عندما زاد نفوذ الفرس في الدولة وتحكموا في مقاليد الحكم فيها آنذاك.

وأخيراً لا مانع من إظهار الهيبة وما يحفظ نظام الدولة ويحرسها من أطماع الأعداء والرعية، ولكن دون المبالغة والمغالاة بها.

الفصل الرابع: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيدَيْن الاقتصادي والاجتماعي خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي:

أولاً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيد الاقتصادي:

1. استخدام النقود والموازين الفارسية الساسانية والبيزنطية.
2. التأثُّر بنظام الضرائب الفارسي الساساني والبيزنطي.

ثانياً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الحضارة العربية الإسلامية على الصعيد الاجتماعي:

1. الطعام والشراب وآدابهما.
2. نمط اللباس والمظهر الخارجي.
3. زيادة انتشار مجالس الطرب واللهو.
4. عادة عزل النساء عن الرجال.

ثالثاً: نتائج التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية.

أولاً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيد الاقتصادي:

1. استخدام النقود والموازين الفارسية الساسانية والبيزنطية:

سك الفرس الساسانيون النقود من الذهب كالدنانير بالدرجة الأولى ثم من الفضة كالدراهم والنحاس وخليط النحاس مع البرونز، وقد نُقشت عليها كتابات تُعرّف بالملك وسنوات حكمه فامتازت بجمال شكلها[1]، وكذلك سك البيزنطيون في عهد الامبراطور قسطنطين الأول عام 309م النقود الذهبية المعروفة باسم الصولد لتصبح فيما بعد العملة الذهبية الرسمية للامبراطورية البيزنطية، وتزن أقل من 24 قيراط[2]، وقد ضُربت بأوزان خفيفة خلال القرنَيْن السادس والسابع الميلاديَيْن، كما سلف ذكره، أما عن العملة الفضية البيزنطية فلا يُعرف عنها الكثير سوى أنها ضُربت في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي على وزن 6.83 جرام باسم الهكساجرام وامتازت بنقائها.[3]

ولعل أبرز ما تداوله العرب قبل الإسلام وبعده في بلاد الشام من النقود البيزنطية هي الصولد البيزنطية، كما عرفوا نقوداً نحاسية أيضاً وهي ما سمَّاها العرب بالفلس Folis وقد أُخذت هذه التسمية من

---

[1] بيرنيا. (1992م)، ص:406؛ كريستنسن. (1998م)، ص:114.

[2] قيراط: هو جزء من الدينار واختُلف في مقداره زماناً ومكاناً فقيل رُبع خُمس المثقال وهو يساوي وزن ثلاث حبات من الشعير. عمارة. (1993م)، ص:472.

[3] بيرنيا. (1992م)، ص:405، 406؛ الجوابرة. (2016م)، ص:71، 72؛ خماش. (1987م)، ص:320.

Kazhdan. (1990), V3 P:1924.

كلمة أبُلُس اللاتينية، وكذلك استخدموا الحبة[1] والدانق[2]، كما استخدم العرب عدة أنواع من الدراهم ومنها الدراهم السود الوافية أو البغلية[3] والدراهم الطبرية[4]، ومعظمها من الفضة الخالصة، ولكن اضطراب الأوضاع الداخلية وتذبذب الاستقرار الاقتصادي آخر حكم الدولة الفارسية الساسانية أفسد عملتهم، وغيّر في موازينها.[5]

وقد استخدم العرب المسلمون العملة التي تداولها أسلافهم من العرب، وهي النقود الفارسية الساسانية والبيزنطية كالدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية ومنها ما هو فارسي ومنها ما هو بيزنطي، إذ لم يكن في عصر الرسول وأبي بكر الصّدّيق ﷺ أي محاولة لضرب أي نوع من النقود أو حتى إصلاحها فقد لانشغالهم بنشر الإسلام وتوطيد دعائم الدولة الناشئة، والجدير بالذكر أن كلمتَي الدينار والدرهم مأخوذتَيْن من أصلَيْن لاتينيَّيْن هما ديناريوس Denarius ودراخموس Drachmus.[6]

---

[1] الحبّة: ويُقصد بها مقدار وزن حبة الشعير أو حبتين منه، تستخدم في الموازين، وتُطلق على سدس عُشر الدينار. عمارة. (1993م)، ص:163.

[2] الدانق: جمعها دوانيق وهي كلمة فارسية الأصل، ويُقصد بها وزن عشر حبات من الشعير إلا أنه اختُلف في مقداره في الوزن حسب الزمان والمكان. أحمد. (2015م)، ص:217؛ عمارة. (1993م)، ص:209.

[3] الدراهم البغلية: وهي دراهم لها نقش فارسي وتزن ثمانية دوانيق وسُميت بذلك نسبة إلى ملك يقال له رأس البغل. الألوسي. (2009م)، ج2 ص:192؛ الجوابرة. (2016م)، ص:177؛ عمارة. (1993م)، ص:215، 216.

[4] كان للدراهم الطبرية نقش بيزنطي ووزنه أربعة دوانيق وسُميت بذلك نسبة إلى طبرية الشام. الألوسي. (2009م)، ج2 ص:192. الجوابرة. (2016مم)، ص:178؛ عمارة. (1993م)، ص:216.

[5] بارتولد. (2013م)، ص:49؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:233؛ خماش. (1987م)، ص:320؛ رحاحلة. (1999م)، ص:30؛ فروخ. (1966م)، ص:168.

Vryonis. (1971), p:214.

[6] أحمد. (2015م). ص:212؛ بارتولد. (2013م)، ص:49؛ الجبري. (1989م)، ص:59، 60؛ الجوابرة. (2016م)، ص:174، 177؛ حركات. (1989م)، ص:272، خماش. (1987م)، ص:320؛ الخضري بك. (1986)، ص:503؛ العدوي. (1994م)، ص:138.

Vryonis. (1971), p:214.

وقد اختلفت قيمة الدراهم المستخدمة في شبه الجزيرة العربية والولايات العربية الإسلامية إذ كان الدرهم البغلي يزن ثمانية دوانيق بينما يزن الدرهم الطبري أربعة دوانيق أما الدرهم المغربي فيزن ثلاثة دوانيق والدرهم اليمني يساوي دانق واحد فقط، ولكن عندما احتاج المسلمون إلى تقدير قيمة الزكاة أمر عمر بن الخطاب ﷺ ضرب الدراهم سنة 18هـ/639م وإلى توحيد وزنها في الدولة العربية الإسلامية، فجعل قيمة الدرهم العربي الإسلامي ستة دوانيق، ولكنه اعتمد على النمط الفارسي الساساني في ضربها غير أنه نقش على بعضها (الحمد لله) وعلى البعض الآخر (محمد رسول الله) أو (لا إله إلا الله وحده) ، فعُدَّ الخليفة عمر بن الخطاب أول من بدء بعملية الإصلاح النقدي من خلال إضفاء صفة عربية على النقود المتداولة في الدولة العربية الإسلامية،[1] وإلى جانب هذه العملات انتشرت في العراق عملة الزّيّوف وهي عملة فارسية ساسانية مغشوشٌ وزنها، إلا أن والي الكوفة عبد الله بن مسعود ﷺ أمر عامله على بيت المال بكسرها وتحويلها إلى فضة، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أُمر بضرب الدراهم الفضية أيضاً ونُقش عليها (الله أكبر) و(بسم الله) و(بسم الله ربي) و(بسم الله الملك) و(بركة)، وفي عهد علي بن أبي طالب بقيت النقود على ما كانت عليه فيما سلف حيث ضُربت الدراهم على الطراز الفارسي الساساني وحملت كلمة (محمد).[2]

وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخلافة أمر والي العراق زياد بن أبيه بضرب الدنانير وضرب عملة جديدة عُرفت بالدراهم السود الناقصة بوزن ستة دوانيق، كما نُقشت بصورة معاوية ﷺ متقلداً سيفه على نمط الدنانير البيزنطية المنقوشة بصورة الامبراطور، كما أمر بضرب الدراهم الفضية في الأقاليم الشرقية في الدولة العربية الإسلامية ووحّد أوزانها.[3]

---

[1] الماوردي. (1989م)، ص:196؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:350؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:233، 234؛ الجبري. (1989م)، ص:64، 65؛ الجوابرة. (2016م)، ص:180، 182؛ رحاحلة. (1999م)، ص:31.

[2] الخربوطلي. (1994م)، ص:234؛ الجبري. (1989م)، ص:66؛ الجوابرة. (2016م)، ص:183.

[3] الخربوطلي. (1994م)، ص:234؛ الجبري. (1989م)، ص:70؛ الجوابرة. (2016م)، ص:192، 197؛ رحاحلة. (1999م)، ص:33.

وقد أمر عبد الله بن الزبير (63- 73هـ/682- 692م) عندما أعلن خلافته في الحجاز بضرب عملة نقدية نُقش على أحد وجهيها (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل)، وكان لها شكل مستدير بعدما كان شكلها ممسوحاً قصيراً وغليظاً، فسميت بالدراهم المُدوَّرة، بينما ضرب أخوه مصعب بن الزبير عندما ولي العراق قليلاً من الدنانير والدراهمَ على النمط الفارسي الساساني وأعطاها للناس في العطاء سنة 70هـ/689م وكان على أحد وجهي هذه العملة نقش (بركة) وعلى الآخر نقش لفظ الجلالة (الله) وهي الدراهم التي أمر والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بكسرها فيما بعد.[1]

وخلال مطلع عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كانت الدولة العربية الإسلامية قد شهدت اتساعاً في مساحتها وتقدماً في التجارة وزيادة في دخلها، إلا أنه شاع التزييف والتلاعب بعملتها لعدم وجود عملة موحدة لكل الولايات العربية الإسلامية إذ كان لدى أمرائها مضارب خاصة في ولاياتهم يسكّون فيها العملة حسب حاجتهم، مما أدى إلى اضطراب قيمة العملة، إلى جانب تداولهم العملتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطة إلى جانب عملتهم المحلية[2]، كما كانت النقود التي تدفع بها الدولة الأموية الإتاوة للبيزنطيين[3] منقوشة بصورة الامبراطور البيزنطي ومرفقة بإشارات مسيحية مع بعض الكتابات العربية، فأمر بالكتابة على رأس

---

[1] الماوردي. (1989م)، ص:198؛ ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:323؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:235؛ فروخ. (1966م)، ص:169؛ عمارة. (1993م)، ص: 212؛ الجبري. (1989م)، ص:71.

[2] الجوابرة. (2016م)، ص:209، 210؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:235.

[3] صالح عبد الملك بن مروان الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني سنة 70هـ/689م على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار، ثم جدد الهدنة على أن يدفع لهم كل يوم لألف دينار وفرساً وعبداً ويقاسمه خراج قبرص وأرمينية، على شرط أن يخرج الجراجمة من جبل اللكام بعد أن كانوا قد أكثروا من إثارة الاضطرابات والقلاقل وعصوا الخليفة واتفقوا مع البيزنطيين ضده. البلاذري. (1996م)، ج7 ص:42؛ الذهبي. (1990م)، ج5 ص:69؛ ابن كثير. (1997م)، ج12 ص:130؛ ربيع. (1995م)، ص:94؛ عاقل. (1969)، ص:122؛ كرد علي. (1934م)، ص:91.

القراطيس العربية ﴿قُل هُوَ الله أَحَدٌ﴾[1] مما أغضب الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني فأرسل إلى عبد الملك رسالة بتهدده فيه بذكر رسول الله ﷺ بسوء على الدنانير التي ترد عليهم من بيزنطة إن لم يرجع عن ذلك، فقام عبد الملك بعد مشورة أصحاب العقل بضرب السكة[2] العربية الإسلامية الخالصة التي لا تحمل صورة للخليفة بل مأثورات عربية صرفة كالآيات القرآنية، ومنها الدنانير التي تزن عشرين قيراطاً سنة 73هـ/692م والتي أطلق عليها اسم الدنانير العبدية نسبة إلى عبد الملك بن مروان، وهذا ما أدى إلى حدوث نزاع شديد بين الامبراطور البيزنطي وعبد الملك بن مروان.[3]

كما أرسل السكّة إلى الحجاج في أواخر سنة 75هـ/694م لضرب الدراهم على وزن أربعة عشر قيراطاً والتي عُرفت بالدراهم العربية، وحدَّد له وزنها بستة دوانيق وكتب أولاً على أحد وجهيها (بسم الله) وعلى الآخر (الحجاج)، ثم ضرب بعدها الدراهم التي عُرفت بالمكروهة لكراهية الفقهاء من ذكر لفظ الجلالة على العملة إذ نُقش على أحد وجهيها (الله أحد*الله صمد).[4]

ثم بعث عبد الملك بن مروان بالسكة إلى كافة الولايات الإسلامية لضرب الدراهم على نسقها، وأمرهم بتقديم تقرير شهري عما يضربونه من دراهم، وإرسال العملة القديمة إليه لتحويلها للسكة الجديدة، كما أمرهم

---

[1] [الإخلاص، الآية: 1].

[2] السكة: هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بطابع حديدي، يُنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ثم يُضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش صحيحة عليها. ابن خلدون. (2001م)، ج1 ص:322.

[3] العسكري. (1987م)، ص:254؛ الطبري. (1967م)، ج6 ص:256؛ ابن خلدون. (2001م)، ج3 ص:57؛ القلقشندي. (1922م)، ج6 ص:268؛ الجمعية التاريخية السعودية. (2014م)، ص:97؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:236؛ فروخ. (1966م)، ص:169؛ ربيع. (1995م)، ص:94، 95؛ رحاحلة. (1999م)، ص:37؛ الجبري. (1989م)، ص:74.

Sahas. (2022), p:365. Vryonis. (1971), p:215.

[4] الدينوري. (1959م)، ص:316؛ العسكري. (1987م)، ص:254؛ الماوردي. (1989م)، ص:197؛ ابن خلدون. (2001م)، ج3 ص:57؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:236؛ عمارة. (1993م)، ص:212، 216؛ خماش. (1987م)، ص: 323، 345؛ الخضري بك. (1986)، ص:503.

بتداول الناس للعملة الجديدة فقط دون غيرها وإلا فإن القتل مصيرهم، والجدير بالذكر أن الحجاج قد اتخذ في العراق داراً لضرب العملة الجديدة فمدَّ الخليفة عبد الملك بن مروان بما يحتاجه منها، ووكّل المحتسب بالتفتيش على الدراهم والدنانير درءاً للتلاعب والتزوير.[1]

2. التأثُّر بنظام الضرائب الفارسي الساساني والبيزنطي:

اعتمد الفرس الساسانيون على نظام الضرائب أيضاً منذ عصر الإخمينيين[2]، حيث كانت تفرض مقاسمة بين الفلاحين والدولة في عهد الملك قباذ بن فيروز[3] (487– 501/498– 531م) إذ يُذكر أنه مرَّ يوماً على بستان مثمر وفيه امرأة تعجن الطعام لابنها الصغير، إلا أنها كانت تترك عملها وتمنع الطفل كلما حاول أخذ أحد الثمار فسألها قباذ عن ذلك فأخبرته: "**إنها مقاسمة، للملك فيها حق، ولم يأتِ عامله ليقبضه**"[4] فعطف عليها قباذ وسمح بالثمار والغلات لأهل السواد وخفَّف الخراج.[5]

وقد طبَّق البيزنطيون منذ عهد الامبراطورَيْن دقلديانوس وقسطنطين نظام ضريبة الأرض حيث تم مسح الأراضي وإحصاء الناس ثم قُسمت كل منطقة إلى وِحدات لا تتساوى في المساحة بل بقيمة المحصول،

---

[1] الخربوطلي. (1994م)، ص:237، 238.

[2] الأخمينيون: هم أسلاف الساسانيين من الفرس، حكموا فارس ووحدوا طوائفها المتعددة على يد زعيمهم قوروش بعد هزيمة ملك الميديين إيخ تورويكو إثر معركة طاحنة عام 550 ق.م، ليؤسس بعد ذلك مملكة واسعة. بيرنيا. (1992م)، ص:158؛ الجاف. (2008م)، ج1 ص:38.

[3] قباذ بن فيروز: حاول أن يستولي على العرش أثناء حكم أخيه بلاش ولكنه أخفق وهرب واستنجد بالهياطلة، وبعد وفاة أخيه عاد وحكم بلاد فارس على فترتَيْن منذ عام 487م حتى498 ومنذ 501 حتى531م وحارب شعوب الخزر وانتصر عليهم، وظهر في عهده دين المزدكية الذي يدعو إلى الاشتراك بالمال والنساء بين الناس فاعتنقه قباذ في بادئ الأمر، إلا أن ذلك دفع الشعب إلى نبذه وخلعه عن العرش وتولية أخيه جاماسب الذي سجنه عدة سنوات، ولكنه هرب من سجنه واستعاد عرشه ورفض دين المزدكية وحاربه، كما دخل بحرب مع الامبراطورية البيزنطية مرتَيْن، وله منجزات عمرانية كثيرة. بيرنيا. (1992م)، ص:357، 358.

[4] أبو الفرج. (1985م). ص:15.

[5] أبو الفرج. (1985م). ص:15.

فعندما يقوم الامبراطور كل عام بإعلان مقدار الضريبة يجمع موظفو المدينة المال من كل الوِحدات، وإن خرجت إحدى الأراضي عن سلطتهم لأي سبب كان يُلقى على عاتق الموظفين جمع ضرائبها مهما يكن، ولأن بعض أصحاب الأراضي من الأشراف ورجال الكنيسة كانوا يدفعون الضرائب مباشرة للحكومة الامبراطورية وليس عن طريق موظفي المدينة، اندفع كبير من المُلاك الصغار إلى إلحاق أراضيهم بهؤلاء الأشراف لتخفيف عبء الضرائب عنهم، مما زاد العبء أكثر على جامعي الضرائب لتعويض النقص الحاصل جراء ذلك حتى أصبحوا عاجزين عن أداء مهماتهم.[1]

وعندما انتهت الفتوحات العربية الإسلامية ورث العرب المسلمون بلاداً متحضرة ونظماً سياسية وإدارية متقدمة لم يكن لهم عهد بها من قبل، فاستعانوا بالموالي على اختلاف أجناسهم سواء كانوا من الفرس الساسانيين أو البيزنطيين لكونهم أكثر خبرة منهم وأطول باعاً في الإدارة والنظم، كما استعانوا بالمسيحيين من أهل بلاد الشام، وكان لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ الأسبقية في توليتهم حيث عيّن سرجون بن منصور الرومي على ديوان الخراج، كما اختار ابن أُثال طبيباً له وغيرهم كثير[2]، فعرفوا عن طريقهم نظام الخراج في جباية الضرائب والذي اعتمدته الدولة العربية الإسلامية عندما قرر عهد عمر بن الخطاب ﷺ ترك الأراضي المفتوحة في العراق ومصر وبلاد الشام في أيدي أصحابها عوضاً عن تقسيمها كغنيمة بين المسلمين الفاتحين مقابل أن يدفعوا ضريبة محددة سنوياً، لما في ذلك من فائدة للمسلمين في الأجيال القادمة فإن كان قد ترك الأراضي بأيدي المقاتلين الفاتحين لن يبقى لمن جاء بعدهم شيء منها، بينما تركها بأيدي أصحابها وأخذ ضريبة محددة عنها بحيث توضع في بيت المال وتوزع على جميع المسلمين، فتعود فائدتها على جميع المسلمين الحاضرين منهم

[1] خماش. (1987م)، ص:282، 283؛ فايدة. (1997م)، ص:51، 52.

[2] الجهشياري. (1938م)، ص:24؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:171؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:93؛ كرد علي. (1934م)، ص:78.

واللاحقين، فقد قال: "**وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها**[1]**، وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها، فتكون فيئاً للمسلمين، وللمقاتلة والذرية، ولمن جاء بعدهم...**"[2]، كما جعل لديوانه في العراق كُتّاباً من الفرس لعلمهم باللغة التي كتبت بها منذ العهد الفارسي الساساني، كما أقرَّ فيه الموظفين من الدّهّاقين الفرس لجمع الخراج بسبب خبرتهم في ذلك ولسهولة محاسبتهم والسخط عليهم في حال وقع منهم خطأ ما، لأن الرجل العربي يحتمي بقبيلته ويمتنع بها، ومن جهة أخرى فقد وجد الفرس في ذلك فرصة لهم في التجمّع واحتكار هذه الوظيفة لأنفسهم لما اشتملت من مهمات أخرى كمراقبة السياسة المالية للولاة ورفع تقارير عنها للخليفة الأموي، مما أعطى للدّهّاقين مكانة مهمة بين رجال الوالي والخليفة.[3]

أما عن مقدار الخراج الذي فرضه عمر بن الخطاب ﷺ على الأراضي فقد اختلف من منطقة إلى أخرى، ففي بلاد الشام حدد المسلمون العُشر عن أراضيهم، وفي مصر أُخذ دينار وثلاثة آرادب[4] عن كل جريب من الأرض،[5] بينما أُخذ الخراج من العراق في بداية الأمر تبعاً للنهج الفارسي الساساني قبل ذاك أي

---

[1] علوج: مفردها عِلج وهو الرجل من غير المسلمين، والعلوج هم فلاحو الأرض الزراعية من غير العرب خلال الفتوحات الإسلامية وهم ليسوا ملاك الأرض الأساسيين وغير الرقيق. عمارة. (1993م)، ص:388.

[2] فايدة. (1997م)، ص:46، 47؛ الجبري. (1989م)، ص:23-25.

Vryonis. (1971), p:212, 213.

[3] البلاذري. (1987م)، ص:627؛ المقدسي. (1899م)، ج4 ص:75؛ الماوردي. (1989م)، ص:188؛ سبط ابن الجوزي. (2013م)، ج5 ص:350؛ الآغا. (2014م)، ص:35؛ حركات. (1989م)، ص:268؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:211، 216، 219، 220؛ خطاب. (1965م)، ص:348؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:64، 93-95؛ الصلابي. (2005م)، ص:246؛ كرد علي. (2017م)، ص:410. كاتوزيان. (2014م)، ص:110.

[4] آرادب: مفردها إرْدَب وهو مكيال يساوي أربعة وعشرين صاعاً (أربعة أمداد والمد يساوي 1/5 كيلوجرام) وتفاوتت مقاديره عبر الزمان والمكان. عمارة. (1993م)، ص:40، 522.

[5] فايدة. (1997م)، ص: 51، 52؛ كرد علي. (2018م)، ج5 ص:62.

من أراضي القمح والشعير سواء زرعت أم لم تزرع بمقدار درهم واحد وقفيز[1] واحد من المحصول عن كل جريب من الأرض، ثم حُددت تبعاً لنوع المحصول وبُعد الأرض عن السوق ومراكز المدن، ولكي يكون تحصيل الخراج دقيقاً ومضموناً تم مسح الأراضي بأمر عمر بن الخطاب ﷺ دون التلال والمستنقعات والمناطق التي لا تصلها الماء.[2]

وقد استمر العرب المسلمون في استخدام التقويم الفارسي الساساني في سير عمل ديوان الخراج لأن السنة الفارسية كانت شمسية بينما السنة الهجرية قمرية وبالتالي لا تصلح لتنظيم الخراج المرتبط بفصول السنة وحركة الشمس، كما استخدموا الشهور الفارسية بأسمائها وتواليها، وهكذا عدّ الخلفاء العرب المسلمون عيد النيروز موعداً لبداية السنة المالية وموسماً لجباية الخراج كما فعل الفرس الساسانيون وذلك رفقاً بالناس.[3]

ثانياً: مظاهر التأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على الصعيد الاجتماعي:

1. الطعام والشراب وآدابهما:

اشتهر العرب قبل الإسلام وبعده بالكرم والجود وحسن الضيافة حتى ضُرب ببعضهم المَثَل كحاتم الطائي[4] وبنو غسان، حتى قيل: "**أقرى للضيف من بني غسان**"، على الرغم من كون طعامهم قبل الإسلام

---

[1] القَفِيز: من المكاييل القديمة المستعملة لتقدير كميات الأشياء الجامدة ويساوي ثمانية أرطال، وأصله من المكاييل البابلية. الماوردي. (1989م)، ص:189؛ علي. (1993م)، ج7 ص:632؛ عمارة. (1993م)، ص:463.

[2] ابن زنجويه. (1986م)، ج1 ص:209؛ الماوردي. (1989م)، ص:188؛ أبو الفرج. (1985م)، ص:81؛ بطاينة. (1987م)، ج2 ص:71، 72؛ فايدة. (1997م)، ص:49، 50؛ زيدان. (د.ت)، ج1 ص:223، 224.

[3] أحمد. (2015م)، ص:214؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:211؛ كاتوزيان. (2014م)، ص:110.

[4] حاتم الطائي: هو حاتم بن عبد الله بن سعد من قبيلة طيّئ، وهو والد الصحابي المشهور عدي بن حاتم ﷺ، وهو أحد شعراء ما قبل الإسلام، وكان كريماً معروفاً بكرمه في حقبة ما قبل الإسلام. ابن حبيب. (د.ت)، ص:145؛ ابن كثير. (1997م)، ج3 ص:252؛ الألوسي. (2009)، ج1 ص:72، 73.

بسيطاً مقتصراً على الألبان والأجبان واللحوم ومعظمها من الإبل، فقد أكلوا التمر والحبوب، وصنعوا من هذه الأطعمة أطعمة أخرى كالحريقة[1] والثريد.[2]

وكذلك العكيسة[3] والرغيدة[4] والبكالة[5] واللمزة[6] والوليقة[7] والوضيعة[8] وهي طعام الأغنياء والجدير بالذكر أن الخضار لم تكن مستعملة كثيراً آنذاك لأن بلادهم لم تكن زراعية.[9]

ولما جاء الإسلام وافتتح العرب المسلمون العراق وفارس ومصر وبلاد الشام طرأ تغيير واضح على نمط الطعام عند العرب نظراً لاحتكاك العرب المسلمين مع غيرهم من الأقوام ولا سيما الفرس والبيزنطيين، إذ دخل هؤلاء إلى بيوت العرب وتعاملوا معهم بشكل مباشر مما أثر على الطعام عند العرب وأدواته فعرفوا التوابل[10] التي تثير الشهية للأكل كالقرفة والزنجبيل والفلفل الذي أخذوه عن الفرس واستخدموه في طبخ الثريد

---

[1] الحريقة: طعام يتكون من خلال ذر الدقيق على الماء أو الحليب المغلي ويُمزج حتى يثخن قوامه. الألوسي. (2009م)، ج1 ص:383.

[2] الثريد: نوع من أنواع الطعام وهو عبارة عن خبز مفتت ومبلل بالمرق ويوضع فوقه اللحم واللبن. حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م). ص:141؛ أبو خليل. (1994م)، ص:415؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91.

[3] العكيسة: طعام يتكون من لبن يُصب عليه شحم مذاب. الألوسي. (2009م)، ج1 ص:383.

[4] الرغيدة: غذاء يتكون من الحليب المغلي والدقيق فقط. الألوسي. (2009م)، ج1 ص:383؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91؛

[5] البكالة: طعام يُصنع من السمن والدقيق فقط. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91.

[6] اللمزة: وهو الخبز المكسَّر الموضوع على السمن. حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م). ص:141؛ أبو خليل. (1994م)، ص:415.

[7] الوليقة: طعام مصنوع من دقيق وسمن ولبن. الألوسي. (2009م)، ج1 ص:383.

[8] الوضيعة: نوع طعام يتكون من الدقيق والعسل والسمن. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91.

[9] الألوسي. (2009م)، ج1 ص:375، 383؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:441؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:138، 139، 141؛ أبو خليل. (1994م)، ص:415؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:332؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91..

[10] التوابل: ومفردها التابل وهي الأشياء اليابسة التي يطيب بها الطعام. عمارة. (1993م)، ص:130.

واللحم، كما أقاموا الولائم[1] في المناسبات اقتداءً بهم، فها هو الحجَّاج بن يوسف والي العراق يسأل الدَّهّاقين الفرس عن ولائمهم ثم يقيم للناس وليمة احتفالاً بختان ولد من أولاده، وقد جعلوا لأنفسهم نظاماً لتناول الطعام، ففي الصباح يكون الطعام خفيفاً يتألف من الألبان والسكر والعسل، ومن بعده الفطور الذي يرافق شروق الشمس، وهناك الغذاء عند الظهيرة وأخيراً العَشاء بعد صلاة العصر[2]، والجدير بالذكر أن أول من تنعَّم بالمأكل والمشرب من الخلفاء معاوية بن أبي سفيان ﷺ ثم اقتدى به خلفاؤه وسائر الناس.[3]

وقد تعرف العرب المسلمون أيضاً على أنواع جديدة من الطعام كالكعك والفالوذج[4]، وذلك عندما قدم أحد أشراف العرب وهو عبد الله بن جدعان[5] إلى بلاد فارس وأكل عندهم الفالوذج فتعجب من طعمه واشترى من عندهم غلام كي يصنعه له في مكة، كما أكلوا الدجاج بجميع أشكاله، والكوتان[6] والشعيرية[7] والعجّة[8]، ومن

---

[1] الولائم: مفردها وليمة وهي كلمة فارسية تعني كل طعام صُنع لعرس أو غيره من المناسبات. عمارة. (1993م)، ص:630.

[2] الخربوطلي. (1994م)، ص:140؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:332؛ الهاشمي. (2002م)، ص:131.

[3] زيدان. (د.ت)، ج5 ص:292.

[4] الفالوذج: وهو نوع من الحلوى والجوز واللوز والخبز المرقق والعسل، وهي كلمة فارسية معربة. الفاسي. (2001م). ص:260؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:92؛ زيدان. (2014م)، ج1 ص:37.

[5] عبد الله بن جدعان: ابن عمرو بن كعب القرشي التيمي المكي، وكان من زعماء قريش وأكرمهم وله في الكرم قصص كثيرة. ابن حبيب. (د.ت)، ص:138؛ الفاسي. (2001م)، ص:260.

[6] الكوتان: وهو طعام مكوّن من الأرز والسمك. حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م). ص:141؛ أبو خليل. (1994م)، ص:415.

[7] الشعيرية: وهو طعام يشبه الخيوط. حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م). ص:141.

[8] العجة: نوع من الطعام مصنوع من الدقيق المعجون بالسمن ثم يُشوى. حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م). ص:141؛ أبو خليل. (1994م)، ص:415.

أشهر الأطعمة في العصر الأموي في بلاد الشام هو الفول بالزيت والزلابية[1] والترمس المملح،[2] أما في العراق فقد أدخل الفرس أنواعاً كثيرة من الطعام الفارسي كالنرسيان[3]، والسكباج[4] واللوزينج[5] وغيرها.[6]

أما عن أدوات تناول الطعام فقد كان العرب يستخدمون أيديهم حتى العصر الأموي إلا أنهم تأثروا بالفرس وعرفوا عنهم استعمال الملاعق الخشبية أو الفخارية كما جلبوا الملاعق الفخارية والخزفية من الصين، وقد اتخذوا الموائد المغطاة بمفارش قماشية وجلسوا حولها على الكراسي، حيث يُقدم الطعام إليهم بعدة أوانٍ

---

[1] الزلابية: طعام يُصنع من العجين. الخربوطلي. (1994م). ص:141.

[2] الفاسي. (2001م)، ص:260؛ الألوسي. (2009م)، ج1 ص:381؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:141؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:332؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:91، 92.

[3] النرسيان: وهو نوع من التمور ذات النوع الجيد. عبد الرحيم. (1998م)، ص:333.

[4] السكباج: وهو نوع من المرق كانوا يصنعونه من مرق اللحم والخل ويضعون فيه اللحوم المطبوخة. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:92.

[5] اللوزينج: نوع من الحلوى يُحشى باللوز والسكر. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:92.

[6] عبد الرحيم. (1998م)، ص:333. زيدان. (د.ت)، ج5 ص:92.

منها القصعة[1] والجفنة[2]، وعرفوا عنهم الكوز[3] والجرة[4] والإبريق[5] والطشت[6] ومناخل القمح بعدما كانوا يأكلون الحنطة بنخالها.[7]

كما تأثر الخلفاء العرب المسلمون بتقاليد الفرس في مجالس الطعام كإنكار الشره في تناول الضيوف للطعام من موائد الخلفاء، بل لهم فقط ما يسد رمقهم لما وجودوا في ذلك احتراماً للخليفة، وقد رأى الفرس الساسانيون قبلهم أنه مَن كان شرهاً لطعام الحاكم لا بد أن يكون أكثر شرهاً لأموال عامة الناس ولذلك أبغضوه، كما مُنع الحاضرون من الكلام على طعام الخليفة حتى وإن ابتدأ هو بالكلام فلا يحق لهم سوى الاستماع لحديثه وهذا ما كان عليه الفرس الساسانيين.[8]

---

[1] القَصْعَة: وجمعها قِصاع وقِصع، وهي إناء طعام يتسع لما يُشبع أربعة وخمسة أشخاص من الطعام، وكان يُصنع معظم الأحيان من الخشب، وهي كلمة فارسية معربة. الألوسي. (2009م)، ج1 ص:387؛ زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:458.

[2] الجفنة: إناء يشبه القِدْر والقَصْعَة تشبع من سبعة إلى عشرة أشخاص. عمارة. (1993م)، ص:151.

[3] الكُوز: هو الكوب إذا كانت له عروة، وإلا فهو كوب وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:489. معلوف. (1969)، ص703.

[4] الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع، وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛

[5] الإبريق: كلمة فارسية وتعني إناء له عروة وفم وبلبلة، وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ معلوف. (1969)، ص1.

[6] الطشت: أو الطست كلمة فارسية وهو إناء لغسل الأيدي، وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ معلوف. (1969)، ص466.

[7] حسن. (1996م)، ج1 ص:442؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:140؛ أبو خليل. (1994م)، ص:416؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:332.

[8] الجاحظ. (د.ت)، ص: 11، 12، 14، 15؛ الألوسي. (2009م)، ج1 ص:377؛ داغر. (1919م)، ص:103؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:333.

2. نمط اللباس والمظهر الخارجي:

اعتاد العرب ارتداء البسيط من الملابس ولم تتغير عاداتهم مدة طويلة من الزمن، إذ لبسوا ثياباً خشنة طويلة جرُّوا أذيالها خلفهم، وأحاطوا خصرهم بحزام من الجلد لوضع السلاح كالخناجر، وعلى رؤوسهم وضعوا قطعة قماش ذات شكل مربع لتقيهم حر الشمس، وثبتوها بالعِقَالات[1]، وقد لبس أهل البادية عباءات مصنوعة من الصوف أو من شعر الماعز والإبل ولها شكل مربع بلا أكمام بل لها فتحتان لتخرج منهما الذراعان، ولم يتخلَّ العرب عن الزينة حيث اتخذ ملوكهم التيجان ابتداءً من حِمير بن سبأ[2] فهو أول من وضع تاجاً من ذهب على رأسه سانّاً بذلك سنّة عمل بها من جاء بعده من الملوك، إلا أنهم وضعوا عليها خرزاً زيادة في التفخيم ودلالة على عدد سني حكمهم إذ كان الملك يضيف على تاجه كل سنة خرزة،[3] كما لبس أمير الغساسنة في بلاد الشام المنذر بن الحارث التاج أيضاً تكريماً من الامبراطور تيبيريوس الذي استقبله في القسطنطينية عام 580م وأغدق عليه بالهدايا.[4]

أما النساء فقد لبسنَ القمصان والسرابيل[5]، بينما لبست حديثات العهد منهن بُرداً منسوجاً ليس له جيوب أو أكمام أيضاً، ووضعنَ على رؤوسهن الخمار، وتزيّنَ بالخواتم والأساور ولبسْنَ العقود والأقراط الثمينة

---

[1] العِقَالات: عصائب من غزل الصوف المبروم. دوزي. (2012م)، ص:271؛ عمارة. (1993م)، ص:384.

[2] حِمير بن سبأ: ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، هو ملك اليمن وإليه ينتسب الحِميريون، وقد حكم خمسين عاماً وخلّف ستة أولاد تفرَّعت منهم قبائل حِمير العربية المشهورة. الأصمعي. (1959م)، ص:16؛ المسعودي. (1996م)، ص:102؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:304. علي. (1993م)، ج2 ص:512.

[3] أبو خليل. (1994م)، ص:413، 414؛ داغر. (1919م)، ص:99، 101؛ ديورانت. (1947م)، ص:19؛ زيدان. (د.ت)، ج5 ص:92؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:334؛

[4] زيدان. (1922م)، ج1 ص:194؛ طقوش. (2009م–ب)، ص:418.

[5] السرابيل: هو قميص أبيض يتم ارتداؤه لحماية الملابس من الأوساخ. دوزي. (2012م)، ص:180.

وربطْنَ شعورهن بعد كيها وتخضيبها بالطيب أي العطور إذ عُرفت العرب ولا سيما النساء بحب الطيب حيث تحمل كل واحدة منهن قفة من خوص[1] لجمع أدوات الطيب لا يفارقها أينما رحلت.[2]

وعندما أطل العصر الإسلامي لم يطرأ على لباس العرب المسلمين أي تغيير في سمته العامة بل حافظوا على بساطته ومالوا إلى الزهد والتقشف اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ، حيث عمد الخلفاء في العصر الراشدي إلى ارتداء الثياب الخشنة ولم يلجؤوا إلى الجديد منها بل لبسوا المرقّع والقصير والغليظ، وكانت نعالهم[3] وحمائل سيوفهم من ليف كما اقتصروا على حمل الدُّرة[4] ولم يكن ليعيبهم ذلك إذ استقبلوا بها الأمراء ووفود الملوك الموشاة ثيابهم بالذهب والمتزينين بالتيجان المرصعة بالمجوهرات، على حين كان ولاة العرب المسلمين يلبسون جبة الصوف ويضعون العمائم الداكنة عند مقدمهم إلى الخليفة فها هو سلمان الفارسي ﷺ الذي عيَّنه عمر بن الخطاب ﷺ عاملاً على المدائن يأتي إليه بلباس من الصوف ويركب حماراً ويأكل خبز الشعير، وكذلك عُرف عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أنه اعتاد الظهور للناس بلباس صوفي حتى لاموه على ذلك وحضّوه على تغيير زيّه وإصلاح أمره نظراً لإحاطتهم بالأعداء إلا أنه رفض ترك ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ.[5]

ولأن دوام الحال من المحال أهلَّت الأسباب التي غيرت من زي العرب شيئاً فشيئاً كاستقرار الفاتحين من العرب المسلمين في المناطق التي كانت خاضعة للفرس الساسانيين والبيزنطيين، وتأثرهم بما رأوه من ترف

---

[1] قُفَّة من خُوص: هو وعاء يُصنع من ورق النخل إذا ما جُمع مع بعضه البعض، والخوص هو النخل ومفرده الخوصة. معلوف. (1969)، ص: 199، 645.

[2] حسن. (1996م)، ج1 ص:444؛ داغر. (1919م)، ص:99، 100، 101؛ علي. (1993م)، ج4 ص:613؛ ديورانت. (1947م)، ص:19.

[3] النِعال: قطعة مصنوعة من جلد الجمال تُربط بالقدم لحمايتها أثناء السير. دوزي. (2012م)، ص:375.

[4] الدِّرَّة: هو السوط الذي يُضرب به. معلوف. (1969)، ص:209.

[5] حسن. (1996م)، ج1 ص:443؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:174؛ أبو خليل. (1994م)، ص:413؛ الهاشمي. (2002م)، ص:137.

ومدنية وتطبعهم بطباعهم تدريجياً، إذ أخذوا عنهم امتهانهم للحجَّامين والخياطين والحاكة لكون مهنتهم من المهن المتواضعة، إذ احتقر الفرس الساسانيون الحاكة وعدُّوا طبقتهم من الطبقة الدنيا.[1]

وبالتالي فقد تركز إنتاج الملابس والفرش (السجاد) والستائر وغيرها بيد الرقيق الحبشيين أو الفرس الساسانيين والبيزنطيين أو بيد الجواري المجلوبة من هناك، فقد تميز الفرس الساسانيون بفن الحياكة وعُرفت منسوجاتهم بالتطور والرقي وصُدّرت منتجاتهم من الملابس إلى بيزنطة وإلى كل الدول المحيطة بها منذ القِدم ولا سيما حياكة الحرير المعروفة بصعوبتها، وبالتالي كان لا بد من تأثر الإنتاج بأفكار وأذواق الأيدي العاملة.[2]

وقد بدا التأثير واضحاً على لباس العرب المسلمين في العصر الأموي، إذ بدأ الناس بجلب الوشي[3] من اليمن والكوفة وصنع الملابس منه[4]، كما شاع بينهم ولا سيما في المجتمع العراقي الملابس الملونة ذات النمط الفارسي المصنوعة من الديباج والخز[5] والأبريسم[6] وهو الحرير الخالص، كما ارتدوا القلنسوة[7] على رؤوسهم وانتعلوا النعال الخفيفة، ومن أهم الملابس الفارسية التي ارتداها العرب المسلمون هي المطارف

---

[1] العتابي. (2013م)، ص:274؛ كريستنسن. (1998م)، ص:386.

[2] الخربوطلي. (1994م)، ص:174؛ العتابي. (2013م)، ص:273.

[3] الوَشْي: الوشي في الثوب وغيره هو اللون المخالف في الشيء لسائر لونه الشائع فيه والغالب عليه. عمارة. (1993م)، ص:623.

[4] الخربوطلي. (1994م)، ص:174؛ أبو خليل. (1994م)، ص:414؛ الهاشمي. (2002م)، ص:137.

[5] الخز: هو نسيج ناعم يصنع من الحرير والصوف أو الوبر، وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (د.ت)، ج5 ص123؛ زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:335.

[6] الإبْرِيسم: هو الحرير الخالص. عمارة. (1993م)، ص:26؛ معلوف. (1969)، ص:1.

[7] قلنسوة: جمعها قلانس، وهو غطاء للرأس توضع تحت العمامة. دوزي. (2012م)، ص:328؛ عمارة. (1993م)، ص:465.

الفارسية والطيلسان[1] والمياذر والأقبية والبجاد[2] المخططة والتُّبّان[3] إلا أن بعض الملابس الفارسية اتصفت بالخفة وعدم الحشمة نظراً لرقتها وهي ما دفع بعض الولاة العرب المسلمين إلى معاقبة من يرتديها.[4]

3. زيادة انتشار مجالس الطرب واللهو:

مالت نفوس العرب منذ القِدم نحو الشعر فأبدعوا في نظم القصائد المتضمنة لكل مجال من مجالات الحياة، حيث كتب كل شخص من وحي واقعه ومعيشته حتى أنهم تغنوا في حداء إبلهم، كما تنافس العرب في نظم القصائد الشعرية وجعلوا لإلقائها أسواق يتبارزون فيها، وأطلقوا على الترنم بالشعر تسمية الغِناء وله عندهم عدة أنواع،[5] كما امتلأت قصور أمرائهم ولا سيما الغساسنة منهم بمجالس اللهو والشراب، تغني فيها القِيَان[6] باللغة العربية والأعجمية فتطرب السامعين، وقد كانت القيان من النساء الفارسيات أو البيزنطيات أو الحبشيات لرفض العرب أن تكون أحد نسائهم في هذا الموضع.[7]

إلا أن تأثرهم بالفرس الساسانيين والبيزنطيين وبما وجدوه في البلاد المفتوحة بعد الفتوحات العربية الإسلامية من فنون كالغناء والموسيقى كان حتمياً عن طريق التجار الذين سمعوا الألحان في كل مكان مروا به، إضافة إلى ما نقله الخدم والموالي والجواري من موروثاتهم السالفة إلى البيوت العربية الإسلامية، ولا سيما

---

[1] الطيلسان: هو كساء أخضر يطرح على الرأس والكتفَيْن يلبسه الخاصَّة من المشايخ والعلماء في الإسلام وهو من لباس الساسانيين. دوزي. (2012م)، ص:248؛ العتابي. (2013م)، ص:274.

[2] البِجاد: رداء مخطط كان يلبسه العرب البدو. دوزي. (2012م)، ص:55.

[3] التبان: هو سروال صغير مقداره شبر يستر العورة وانتشر ارتداؤه بين الملاحين العرب وقد أخذها العرب عن الفرس الذين أسموه التبان. الخربوطلي. (1994م)، ص:176؛ دوزي. (2012م)، ص:86؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:335؛ عمارة. (1993م)، ص:112.

[4] عبد الرحيم. (1998م)، ص:334، 335؛ عاشور، زغلول. (1996م)، ص:222؛ الهاشمي. (2002م)، ص:137.

[5] الألوسي. (2009)، ج1 ص:267، 369؛ داغر. (1919م)، ص:246، 247؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:157.

[6] القِيان: أي الأَمَة أو المغنية أو الماشطة. معلوف. (1969)، ص:667.

[7] العتابي. (2013م)، ص:290.

أن الفرس الساسانيين قد اهتموا بالموسيقى وجعلوا لها قواعد وأسس ثابتة ومنحوا الموسيقيين والمغنين مكانة مرموقة وعدُّوهم ضمن طبقة الأشراف والنبلاء، وعنوا بالتمثيل المسرحي والضرب على الآلات الموسيقية كالدف والقيثارة والمزمار والناي والعود ولا سيما في عهد الملك كسرى أبرويز[1]، كما انتشر عند الفرس الساسانيون فن الرقص الذي انتقل إلى العرب منذ حقبة ما قبل الإسلام عن طريق الجواري الفارسيات إذ لطالما منح الأكاسرة الجواري كهدايا للوفود التي كانت تزور بلادهم.[2]

وقد كان تأثر العرب المسلمين بالغناء والموسيقى في العصر الراشدي طفيفاً لانشغالهم في الجهاد والفتوح ولغلبة الاتجاه الديني لديهم وانهماكهم في تثبيت دعائم الدولة، حتى بدأ العصر الأموي فتوطد حكم العرب المسلمين واستقرت أوضاعهم، وشرع الخلفاء الأمويون تدريجياً بإقامة مجالس اختلفت وفقاً لشخصياتهم وميولهم، حيث مال الخلفاء الأوائل منهم إلى عقد مجالس أدبية لأهلهم والمقربين منهم فيحضرها نخبة الشعراء والأدباء وعدد من الشاعرات، فيسمعون الشعر والقصص التاريخية وأخبار الحروب ونوادر الفرسان في حقبة ما قبل الإسلام ، أما سائر الخلفاء بعد ذلك لم يروا سوءاً في إقامة مجالس الطرب والغناء، فقضوا الأمسيات والليالي في السمر والمنادمة حتى بادر بعضهم إلى ارتشاف النبيذ على اختلاف بينهم في مقداره بدلاً من شراب التفاح والورد اللذَيْن شاع تداولهما قبل ذلك،[3] وقد اتبع بعض الخلفاء الأمويين العادة الفارسية الساسانية

---

[1] العتابي. (2013م)، ص:121، 122، 298؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:147؛ كريمر. (1947م)، ص:26، 93؛ كريستنسن. (1998م)، ص:464؛ ديورانت. (1988م)، ج12 ص:278.

[2] الألوسي. (2009م)، ج1 ص:368؛ العتابي. (2013م)، ص:272؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:157.

[3] الخربوطلي. (1994م)، ص:143، 146، 147؛ فروخ. (1966م)، ص:177؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:339؛ كريمر. (1947م)، ص:92؛ الهاشمي. (2002م)، ص:132.

Vryonis. (1971), p:221.

في إسدال حجاب أو ستار بينهم وبين الندماء كي لا يروا ما يفعله الخليفة إذ طرب، وطبّق ذلك كل من الخلفاء معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعبد الملك بن مروان وغيرهم من الخلفاء.[1]

ولأن الناس على دين ملوكهم بمعنى أن المحكومين مولَعين بتقليد حكامهم انتقل اهتمام الخلفاء بالموسيقى والغناء إلى الشعب، فمزجوا بين الغناء والموسيقى الفارسية بالغناء والموسيقى العربية، كما وضعوا ألحاناً وموسيقى فارسية لأشعار عربية إلا أنهم استغنوا عن كثير من ما لا يألفه الذوق العربي.[2]

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل امتد التأثير الفارسي والبيزنطي في العرب المسلمين إلى لغتهم بسبب كثرة الموالي ذو الأصل الفارسي في الدولة العربية الإسلامية ولا سيما موالي العراق كنتيجة طبيعية للاندماج العربي الفارسي ولا سيما عن طريق الزواج واعتناق هذه العائلات دين الإسلام وكذلك إقامة الأحلاف بين العرب والفرس، ففهموا طبيعة العرب وتعرفوا على أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتعلموا علوم الإسلام ولغته العربية حتى أطلقوا على أولادهم أسماءً عربية، كما أخذوا عنهم عصبيتهم، فلم يحاربوا إلا في صفوف القبائل التي ربطت بينهم رابطة الأحلاف والولاء.[3]

ومن ناحية أخرى فقد احتفظ كثير من الموالي بلغتهم وعاداتهم وصفاتهم إلا أنه نتيجة لاختلاطهم بالعرب فقد تكلم الفرس اللغة العربية ولكن بلسان فارسي، إضافة إلى تكلم العرب اللغة الفارسية بواسطة العلماء والكتّاب الفرس الذين دخلوا الإسلام، حتى أصبحت الكوفة والبصرة على سبيل المثال أبرز المراكز العلمية التي قل نظيرها، ففيهما وضع العلماء المسلمون علوم الفقه والعقائد وقواعد اللغة العربية والجدير بالذكر أن اللغة الفارسية كانت آنذاك لغة الأسواق في الكوفة والبصرة حتى غلبت على لغة بعض الجيوش، وهذا ما

---

[1] المسعودي. (2005م)، ج1 ص:188؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:434؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:144، 148؛ أبو خليل. (1994م)، ص:404؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:340؛ كريمر. (1947م)، ص:93.

[2] داغر. (1919م)، ص:247؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:158.

[3] عبد الرحيم. (1998م)، ص:327.

أسفر عن انتشار اللكنة الفارسية والتأثُّر بها واقتباس بعض كلماتها بين العرب وفشو اللحن داخل اللغة العربية، وهذا ما نتج عنه ظهور العلماء الذين وضعوا قواعد اللغة العربية السليمة، ومنهم أبو الأسود الدؤلي[1] ت67هـ/686م الذي قام بتنقيط المصاحف المعتمدة في الولايات العربية الإسلامية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ومن ثم تعريب عبد الملك بن مروان للدواوين في الدولة العربية الإسلامية،[2] ولعل من أبرز

[1] أبو الأسود الدُّؤلي: هو ظالم بن عمرو الدُّؤلي، وتولى قضاء البصرة في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وله يعود الفضل في وضع علم النحو لمَّا سمع اللحن في اللغة العربية وذلك بأمر الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، وهو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمُضاف وضبط الأحرف بالرفع والنصب والجر والجزم، وهو أول من نقَّط المصاحف، وتُوفي سنة 67هـ/686م. ابن قتيبة. (1969)، ص:434، 435؛ النديم. (2009م)، ج2 ص:106؛ الذهبي. (2004م)، ج2 ص:2071.

[2] البلاذري. (1987م)، ص:421؛ الماوردي. (1989م)، ص:265؛ بارتولد. (2013م)، ص:51، 52؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:327، 328؛ العتابي. (2013م)، ص:263، 264؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:75، 76؛ الرحيم. (1995م)، ص:65؛ علي. (1993م)، ج9 ص:15، 26.

الكلمات الفارسية التي استخدمها العرب المسلمون هي الرزنامج[1] والفهرست[2] والصك[3]، والطسق[4] والدانق والإيوان، والبِلَّور[5] والمِسك[6] والعنبر.[7]

وهنا لا يمكن إنكار ما كان للموالي من فضلٍ في النهضة الزراعية والصناعية والتجارية بسبب تحملهم أعباء الحرف والمهن كما ساعدوا العرب المسلمين في حروبهم وفتوحاتهم، إضافة إلى تأثيرهم في مختلف النواحي الحضارية[8]، فقد كان للفقهاء من الموالي دور كبير ومكانة مرموقة لدى الخلفاء والأمراء وأهل بلاد الشام في العصر الأموي، ومنهم رجاء بن حيوة[9] المعروف بزهده ورأيه السديد، كما كان للموالي دور كبير في

---

[1] الرزنامج: كلمة فارسية معربة عن (روزنامه) ومعناها كتاب اليوم أو السجل اليومي، وهو كتاب يُكتب فيه الأمور اليومية في الديوان من الخراج أو النفقة أو غير ذلك. أحمد. (2015م)، ص:216؛ عمارة. (1993م)، ص:260.

[2] الفهرست: كلمة فارسية معربة معناها سجل الأعمال والدفاتر التي تكون في الديوان. عمارة. (1993م)، ص:440.

[3] الصك: كلمة فارسية ومعناها كتاب القاضي وعُربت بمعنى الوثيقة التي يُكتب فيها أسماء المستحقين للإنفاق أو العطاء وغيرها من المعلومات ويوقع في آخرها الوالي لاعتمادها وصرف المال للمستحق. أحمد. (2015م)، ص:216؛ عمارة. (1993م)، ص:332.

[4] الطسق: هو مكيال من أصل فارسي لكيل الزيوت وكل أنواع الدهون وهو ضريبة الأرض أيضاً. علي. (1993م)، ج7 ص:636؛ عمارة. (1993م)، ص:352.

[5] البِلَّور: أحد المعادن النفيسة وهو شفاف عديم اللون وهي كلمة فارسية معربة. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:99.

[6] المِسك: كلمة فارسية معربة وتدل على نوع من العطور يُستخرج من نوع من الغزلان. زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ عمارة. (1993م)، ص:535.

[7] زيدان. (2014م)، ج1 ص:37؛ أحمد، ابراهيم. (2015م)، ص:215.

[8] الخربوطلي. (1994م)، ص:102، 105، 107؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:76؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:329.

[9] رجاء بن حيوة: هو رجاء بن حيوة بن جَرول الأزدي، فقيه وكان ثقة عالماً غزير العلم ومن أبرز التابعين الذين رووا الحديث النبوي الشريف عن الصحابة الكرام، ومن أعبد أهل زمانه وعُرف بالحكمة والوقار وقرَّبه الخلفاء ومنهم مثل عبد الملك بن مروان، وتُوفي سنة 112هـ/730م. ابن عساكر. (1995م)، ج18 ص:96؛ الذهبي. (2004م)، ج2 ص:1688.

الوظائف الإدارية، إذ عيّن عبد الملك بن مروان مولى له يُدعى سالم أبو الزعيزعة[1] على ديوان الرسائل، وسليمان بن سعد مولى خشين على ديوان الخراج والجند، وهو مَن يعود له الفضل في نقل ديوان بلاد الشام إلى اللغة العربية.[2]

وقد كان للبيزنطيين أثر واضح أيضاً في لغة العرب المسلمين ولا سيما في بلاد الشام حيث سكن العرب المسلمون فيها بين أبنائها في المدن القديمة كدمشق وحمص وغيرها، كما كانوا يتقاسمون أحياناً المكان نفسه للعبادة فنصفه مسجد ونصفه كنيسة، وبسبب تأثُّر أهلها من العرب منذ زمن بعيد بالمؤثرات الإغريقية والبيزنطية انتقلت بعض المفردات اللاتينية والتي قدَّرها البعض بمئة وتسعين كلمة إلى اللغة العربية تدريجياً ومنها كلمة البرنساء[3] والقسطل[4]،

والقنطار[5] Kantari والقنطرة[6] وقيراط Keration والرطل Litra والأوقية Ounkia والأردب Artaba وغيرها.[7]

---

[1] سالم أبو الزعيزعة: كاتبٌ لمروان بن الحكم وكاتب ابنه عبد الملك بن مروان، وعمل على ديوان الرسائل لعبد الملك بن مروان كما تولى الحرس لديه. ابن عساكر. (1995م)، ج20 ص:88.

[2] الجهشياري. (1938م)، ص:21؛ الماوردي. (1989م)، ص:264؛ خماش. (1987م)، ص:120؛ زيدان. (د.ت)، ج4 ص:329.

[3] البرنساء: أي الخَلق ويقال في المَثَل: (لا أدري أي البرنساء هو). العتابي. (2013م)، ص:291.

[4] القسطل: شجر من فصيلة البلوط، وهو أيضاً الغبار الذي تثيره حوافر الخيل وأقدام المقاتلين في الحروب. عمارة. (1993م)، ص:455.

[5] القنطار: هو مقياس للوزن، وقد اختُلف في تقديره فقيل أنه وزن أربعين أوقية من الذهب، وقيل ألف ومئتي أوقية وغير ذلك. علي. (1993م)، ج7 ص:631؛ عمارة. (1993م)، ص:468.

[6] القنطرة: هي الطريق الذي يتخذ على مجرى الماء. عمارة. (1993م)، ص:469.

[7] العتابي. (2013م)، ص:291؛ عثمان. (د.ت)، ج1، ص:347.

Vryonis. (1971), p:.217

فيُستدل مما سلف أن الحضارة العربية الإسلامية كانت نتاج تفاعل بين الأسس والمبادئ العربية والإسلامية وبين ما تأثرت به من مظاهر حضارية فارسية ساسانية وبيزنطية والتي أخذت بدورها من حضارات سالفة لها وأضافت إليها، وبالتالي فإن الحضارات تنمو وتزدهر بالتفاعل بينما تتراجع وتخبو بالانغلاق.

4. عادة عزل النساء عن الرجال:

أعطى الإسلام للنساء المسلمات حظاً وافراً من الحرية، فكانت النساء خلال العصر الراشدي يختلطن بالناس ويحضرن مجالس العلم ويستمعن إلى خطب الخلفاء وذلك لقوة إيمانهن وصلاحهن، ولكن في أواخر العصر الأموي وبسبب كثرة مخالطة العرب المسلمين للفرس الساسانيين وللبيزنطيين تأثّروا بهم في عادة اتخاذ الحريم في البلاط وعادة عزل النساء عن الرجال ولا سيما في المدن، حيث ظهر حالات دفعت بالمجتمع إلى حصر النساء ضمن البيوت حِرصاً عليهن وإمعاناً في حمايتهن، بينما بقيت النساء في البوادي على عادة العرب التي عهدوها في ما قبل الإسلام في السماح بالاختلاط بين الرجال والنساء مع كامل الحشمة والاحترام للحديث والمسامرة، وذلك لأن محيط البادية لطالما كان بعيداً عن مواطن الشبهة والريبة.[1]

وهكذا فإن تأثُّر العرب المسلمين بحضارات أسلافهم وحتى معاصريهم والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم بما لا يتعارض مع ثوابتهم كان أحد أهم أسباب تطور وازدهار حضارتهم، إلا أن المغالاة والتقليد الأعمى لهم أضعف قوتهم وأودى بهم إلى الانهيار فيما بعد.

ثالثاً: نتائج التأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية:

استطاع العرب المسلمون بخطط محكمة القضاء على الدولة الفارسية الساسانية وتقويض الامبراطورية البيزنطية، ليقيموا دولتهم الجديدة على الأسس والمبادئ التي نصت عليها الشريعة الإسلامية التي آمن بها

[1] علي. (1993م)، ج4 ص:617؛ حسن. (1996م)، ج1 ص:444؛ الخربوطلي. (1994م)، ص:130؛ عبد الرحيم. (1998م)، ص:341.

العديد من الناس وتمسكوا بمبادئها واجتمعوا حول رسولها ﷺ، فشكلوا معاً مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي قوةً تمكنت من إنهاء الظلم والتعسف، فانطلقوا بقيادته ثم بقيادة خلفائه داخل شبه الجزيرة العربية ثم خارجها حاملين معهم لواء هذا الدين الجديد لتحرير الناس من عبوديتهم لبعضهم البعض.

وكأي دولة حديثة العهد بالحكم والإدارة استعان خلفاؤها العرب المسلمون بخبرات الدول الأخرى في حل ما استعصى عليهم، وساعدهم على ذلك سماحة الدين الإسلامي في الانفتاح على الحضارات الأخرى والاستقاء منها بما لا يتعارض مع أسسه، فاتصل العرب المسلمون بالفرس والبيزنطيين بطرق عدَّة منها السلمية ومنها العدائية ومهما يكن من أمر إلا أنها أدَّت إلى تبادل الثقافات فيما بينهما وانتقال الكثير من المؤثرات الحضارية منها إلى الدولة العربية الإسلامية، والجدير بالذكر أن هذه التأثيرات لم تقتصر على مجالات محددة كما لم تتوقف عند عصر بعينه، بل امتدت إلى ما بعد القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وكان لها نتائج واضحة منها ما كان ذو انعكاس إيجابي ومنها ما كان ذو انعكاس سلبي.

فمن النتائج الإيجابية للتأثير الفارسي الساساني والبيزنطي على الدولة العربية الإسلامية على سبيل المثال لا الحصر ما تجلى في المجالَيْن الإداري والاقتصادي إذ بدأ شكل الدولة بالتبلور ليصبح أكثر استقراراً ونظاماً ولا سيما منذ إنشاء الدواوين لتنظيم موارد الدولة ونفقاتها، والتأثُّر بنظام تقسيم الولايات البيزنطي الذي منح العرب المسلمين القدرة على فرض حكمهم وسيطرتهم على مناطق وأقاليم واسعة، يساندهم في ذلك اختصار المسافات الذي أسفر عن تطبيق نظام البريد البري والذي تم التأثُّر به من الدولتَين الفارسية الساسانية والبيزنطية بالإضافة إلى ما ابتكروه من بريد بحري في عهد عبد الملك بن مروان، وكذلك استخدام النقود الفارسية الساسانية والبيزنطية.

كما اتضحت التأثيرات أيضاً في المجال العسكري ولا سيما منذ عهد الرسول ﷺ الذي أمر بحفر خندق حول المدينة المنورة لحمايتها من هجوم المشركين عليها في غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق 5هـ/626م

وذلك بمشورة قدَّمها الصحابي سلمان الفارسي ﷺ لرسول الله ﷺ[1]، وكذلك ما قام به خالد بن الوليد ﷺ خلال عهد أبي بكر الصديق ﷺ من توحيد جيوش بلاد الشام الأربعة تحت لواء جيش واحد يكون تحت قيادته ثم تقسيمها حسب النظام الفارسي الساساني والبيزنطي إلى أقسام عدة وهي المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والجناحان والساقة، الأمر الذي كان أساسياً لانتصار المسلمين في معركة اليرموك والقادسية وغيرها[2]، وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ أقام العرب المسلمون الحصون والمعسكرات الدائمة لإراحة الجنود أثناء سيرهم إلى ميدان المعركة على مسيرة كل يوم بعدما كان العرب المسلمون قبل ذلك يقطعون المسافات الطويلة على ظهور إبلهم من غير استراحة إلا تحت أشجار النخيل وهو نظام بيزنطي الأصل[3]، وهذا فضلاً عن استخدام الدبابة[4] ذات الأصل الروماني، ولبس الخوذة وحمل الترس الحديدي والدروع وذلك أسلوب بيزنطي أمر باتّباعه معاوية بن أبي سفيان لحماية أجساد المقاتلين خلال المعارك.[5]

وكذلك في حركة الترجمة والنهضة العلمية فعندما فتح العرب المسلمون الأقاليم التي كانت خاضعة للفرس الساسانيين والبيزنطيين كبلاد الشام والعراق وفارس اطلع العرب المسلمون على ميراث أهلها العلمي

---

[1] الواقدي. (1984م)، ج2 ص:445؛ الطبري. (1967م)، ج2 ص:566؛ الخزاعي. (1985م)، ص:497؛ الحاج حسن. (1987م)، ص:459؛ الرفاعي. (د.ت)، ص:114؛ العتابي. (2013م)، ص:263.

[2] الطبري. (1967م)، ج3 ص:395؛ الحاج حسن. (1987م)، ص:457؛ خماش. (1987م)، ص:359، 360؛ شلبي. (2012م)، ص:142؛ صالح. (1989م)، ص:114، 115؛ اللحام. (1986م)، ص:52.

Maurice. (1984), p:113.

[3] الحاج حسن. (1987م)، ص:453، شلبي. (2012م)، ص:135؛ كريمر. (1947م)، ص:62.

[4] الدبابة: هي آلة خشبية سميكة مغلفة بالجلود وتتحرك على بكرة وعجلة عندما يدفعها عدد من الرجال فهي تشبه المركبة، والغاية منها هو صدم أسوار القلاع أو المدن حتى هدمها أو إحداث نقب فيها من خلال رأسها الحاد وقد استخدمها المسلمون لأول مرة بأمر من رسول الله ﷺ في غزوة الطائف 8هـ/629م. الحاج حسن. (1987م)، ص:456؛ خماش. (1987م)، ص:368؛ شلبي. (2012م)، ص:143.

[5] الخزاعي. (1985م)، ص:495؛ حركات. (1989م)، ص:279؛ خماش. (1987م)، ص:368؛ شلبي. (2012م)، ص:144، 145؛ العدوي. (1951م)، ص:172.

والمصبوغ بالصبغة السريانية والفارسية فأثَّروا وتأثَّروا به وحافظوا عليه من الخراب وأضافوا عليه من طابعهم الخاص، كما عملوا على تصحيح أخطائه والإضافة إليه ليبلغ بجهودهم غاية النمو والازدهار، وذلك من خلال جهود السريان في الترجمة كما سلف ذكره، ولكن لم يتوقف التأثير الفارسي في الحضارة العربية الإسلامية عند العصر الأموي بل استمر إلى العصر العباسي ولا سيما في المجال الطبي الذي اشتهرت به مدينة جنديسابور[1] التي كانت مركزاً للإشعاع العلمي آنذاك، فها هو الخليفة أبو جعفر المنصور[2] (136-159هـ/754- 775م) يستدعي جورجيوس بن جبرائيل[3] سنة 148هـ/765م ليعالجه بعدما عجز أطباؤه عن معالجة ما أصابه من ألم، فحظي بالمكانة الرفيعة عنده والقرب منه، فأمره بترجمة كتب كثيرة في مختلف المجالات كالطب والأدب والهندسة، كما سأل امبراطور بيزنطة قسطنطين الخامس[4] Constantine V (124- 159هـ/741- 775م) ما لديه من الكتب الإغريقية في كافة المجالات، وأمر بترجمتها إلى اللغة

---

[1] جُنْدَيسابُور: مدينة بخوزستان في فارس بناها ثاني ملوك الفرس الساسانيين شابور بن أردشير (241م- 271م) فنُسبت إليه وأسكنها سبي الروم وعدد من جنده، وهي مدينة خصبة كثيرة الخير بها النخل والزرع والمياه، وقد فتحها المسلمون صلحاً في عهد عمر بن الخطابﷺ سنة 19هـ/640م. الحموي. (د.ت)، ج2 ص:170، 171؛ بيرنيا. (1992م)، ص:333.

[2] أبو جعفر المنصور: هو عبد الله بن محمد، وصل إلى الخلافة العباسية بعدما ولاه أخوه السفاح (132هـ-136/749م-754م) العهد من بعده، وله يعود تأسيس مدينة بغداد وجعلها عاصمة للدولة العباسية وقبلة العالم العربي الإسلامي، وقد عاصره قيام الإمارة الأموية في الأندلس على يد صقر قريش عبد الرحمن الداخل بن معاوية (138- 172هـ/755-788م)، كما اتسم عهده بكثرة الغزوات ضد الامبراطورية البيزنطية. الخضري بك. (2003م)، ص:77، 79؛ شاكر. (2000م)، ج1 ص:92؛ طقوش. (2009-أ)، ص:47.

[3] جورجيوس بن جبرائيل: هو رئيس أطباء جنديسابور لما له من خبرة في مجال الطب ومعرفة كبيرة بالأمراض وعلاجاتها، استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور من جنديسابور لعلاجه من مرض ألمَّ في معدته ولمّا عالجه حظي عنده بالمكانة الرفيعة والإجابة لكل ما يطلب وبقي في خدمة الخليفة عدة سنوات حتى مرض جورجيوس وعاد إلى بلاده. ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:183، 184؛ زغلول. (1975م)، ص:185.

[4] قسطنطين الخامس: امبراطور بيزنطي حكم الامبراطورية البيزنطية أربعة وثلاثون عاماً، وقد اتخذ خلالها سياسة شديدة العداء تجاه عبادة الأيقونات مما سبب خلافاً شديداً بين الامبراطورية والرهبان المعتقدين بعبادة الأيقونات، أما خارجياً فقد اتسمت علاقاته بالعدائية مع العرب المسلمين مستغلاً سقوط الدولة الأموية كما جمعه عداء مع اللومبارديين والبلغار. عوض. (2007م)، ص:221، 223.

العربية، أما في عهد الخليفة هارون الرشيد (170 –194هـ/786– 808م) فقد استدعى الخليفةُ أيضاً الطبيبَ بختيشوع بن جورجيوس[1] من جنديسابور لعلاج الصداع الذي أصابه وعجز الأطباء عن علاجه، كما جهد في تطوير حركة الترجمة وذلك بعدما سيطر العباسيون على بعض المدن البيزنطية ووجدوا فيها أعداداً كبيرة من الكتب فأمر بترجمتها باذلاً في سبيل ذلك القدر الوفير من الأعطيات،[2] وطلب من الامبراطورية البيزنطية مخطوطاتها وعمل على ترجمتها أيضاً، بينما بلغت حركة الترجمة والنهضة العلمية سواء ما يخص العلوم الدينية أو العقلية ذروتها في عهد المأمون[3] (198 –218هـ/ 813– 832م) حيث أسس دار الحكمة[4] وطلب من الامبراطورية البيزنطية ما تدّخره من العلوم القديمة ليعمل المأمون على ترجمتها، مغدقاً على مترجميها بالأموال حتى أنه كافأ حنين بن اسحق[5] بمثل وزن الكتب التي ترجمها ذهباً، وكان من بين هذه الكتب كتباً

---

[1] بختيشوع بن جورجيوس: طبيب تعلم على يد أبيه جورجيوس بن جبرائيل مهنة الطب وبرع فيها وعمل في خدمة الخليفة هارون الرشيد وتميز لديه وحظي بمكانة مرموقة، واسمه سرياني ومعناه عبد المسيح. ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:186.

[2] ابن أبي أصيبعة. (د.ت)، ص:183؛ الخضري بك. (2003م)، ص:205؛ زغلول. (1975م)، ص:167، 168.

[3] المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد، وصل إلى العرش بعد خلاف مع أخيه الأمين حول ولاية العهد، فحكم بقوة ولين وامتاز بميله إلى العفو وكراهية الانتقام وكرمه الذي فاق به غيره من الخلفاء العباسيين وقوة حجته وسرعة بديهته، وقد اهتم بالحركة العلمية حتى أصبح عهده أرقى العهود العلمية في العصر العباسي. الخضري بك. (2003م)، ص:167؛ طقوش. (2009–أ)، ص:134.

[4] دار الحكمة: هو بيت أنشأه الخليفة المأمون سنة 215هـ/830م ليكون بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لنسخ الكتب الأجنبية ومكاناً لترجمتها إلى العربية ثم دراستها، كما احتوى مرصداً فلكياً، وقد نقل إلى دار الحكمة التراث الإغريقي وخصص له عدد من المترجمين وفرض لهم جزيل العطايا من بيت المال. طقوش. (2009–أ)، ص:135.

[5] حُنين بن اسحق: أصله من الحيرة، ونشأ محباً للعلم وشغوفاً بالطب فدرسه في جنديسابور ولكنه تعرض لكراهية وتمييز من أهلها لاعتقادهم أن هذه المهنة خاصة بهم ويجب ألا تخرج لغيرهم، مما دفعه إلى تعلم اللغة الإغريقية بنفسه لإرواء ظمأه لعلم الطب، كما تعلم العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي حتى برع فيها، كما تعلم الفارسية، وهكذا أجاد أربع لغات إلى جانب لغته الأصلية وهي السريانية، فذاع صيته وعمل لدى الخلفاء في ترجمة أمهات الكتب للخلفاء العباسيين كالمأمون والمتوكل في معظم المجالات ولا سيما الطبية، وتوفي سنة 260هـ/873م. زغلول. (1975م)، ص:189–191.

في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها من المجالات، وعندما كثرت الكتب المترجمة اشتغل الناس بها علماً وعملاً ففسروا ما عسر على العامَّة فهمه وأصلحوا ما تضمنته من أخطاء.[1]

وهناك أيضاً الناحية العمرانية حيث تركت الحضارة الفارسية الساسانية والبيزنطية بصمات جليّة على العمارة العربية الإسلامية ولا سيما عمارة المساجد بسبب اهتمام الخلفاء والمسلمين فيها لكونها مكان اجتماعهم وعبادتهم، فضلاً عن كونها مكاناً للتعلُّم والتعليم الديني والدنيوي، وبالتالي فقد خرجت المساجد العربية الإسلامية من بساطتها الأولى واستقت من الأبنية الفارسية والبيزنطية طراز عمارتها كالقبة المرفوعة على غرفة مربعة على غرار معابد النار في فارس، وكذلك الإيوان المفتوح على نمط إيوان ملوك الفرس وكذلك الأقواس والأعمدة والأروقة والزخارف الفسيفسائية على النمط البيزنطي فأضاف ذلك على المساجد من جمالية أكثر تأسر الأنظار وأبرز مثال على ذلك المسجد الجامع الذي بناه الوليد بن عبد الملك في دمشق عاصمة الخلافة الأموية[2]، ومدينة بغداد[3] نفسها التي بناها أبو جعفر المنصور على شكل مستدير كانت على نمط مدينة طيسفون، وكذلك قصورها وقصور سامراء[4] التي كانت تصل بين القصر فيها والشارع ممر مسقوف فيه غرف متجاورة مخصصة للإقامة، وينتهي الممر بباحة واسعة تؤدي إلى الإيوان الذي تجاوره غرف صغيرة، إلى جانب باحات أخرى يعلوها قباب إلا أن أكبرها قبة الإيوان.[5]

---

[1] الخضري بك. (2003م)، ص:194، 205- 207؛ زغلول. (1975م)، ص:171، 172؛ طقوش. (2009-أ)، ص:135، 136.

[2] العتابي. (2013م)، ص:271؛ العش. (1985م)، ص:245.

[3] بغداد: مدينة قرب الكوفة في العراق وعاصمته وكان أول من بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة 145هـ/762م بعد أن اختطّها أخوه السفاح من قبله، فجعلها عاصمة الخلافة العباسية فكانت مقصد العلماء ودار الخلافة ووجهة العالم العربي الإسلامي. الحموي. (د.ت)، ج1 ص:457. عزام. (2009م)، ص:42.

[4] سامراء: مدينة في العراق بين تكريت وبغداد شرقي نهر دجلة وأصل اسمها سُرَّ مَن رأى، بناها الخليفة المعتصم سنة 221هـ/836م لنقل الموالي الأتراك إليها بعدما زاد عددهم في بغداد، وقد نُقلت إليها عاصمة الدولة العباسية فيما بعد. الحموي. (د.ت)، ج3 ص:173.

[5] ضيف. (د.ت)، ص:44.

ومن الانعكاسات السلبية للتأثيرات الفارسية الساسانية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية ما يتجلى في أمور عدة والتي بدأت في أخذ العرب المسلمين ما لا يلزمهم وما يخالف مبادئهم والمبالغة فيه إلى أن وصلوا حد التقليد بل المغالاة في التقليد حتى كادت الدولة العربية الإسلامية أن تفقد هويتها، فها هي الكلمات الأجنبية تغزو اللسان العربي والعادات الغريبة تدخل المجتمع العربي ولكن جهود علماء العربية الجبارة حالت دون ضياعها وذلك في وضع القواعد السليمة لنطقها وكتابتها، إضافة إلى ما عمد إليه بعض الخلفاء الأمويين من اتخاذ ولي للعهد وما نتج عنه من ضعف روح الشورى تدريجياً في الدولة إلى أن تحول نظام الحكم من خلافة تقوم على الشورى إلى نظام ملكي وراثي وقيام الخلافات بل والحروب بين أفراد الأسرة الحاكمة.

وإن كان الأمويون قد بدأوا في اتخاذ ولي العهد لأنفسهم إلا أن ذلك لم ينتهِ بانتهاء حكمهم بل استمر إلى الدولة العباسية التي غالى بعض الخلفاء فيها، فجعلوا شخصَيْن لولاية العهد بدلاً من واحد فقط حيث يخلف أحدهما الآخر، وهذا ما أدى في كثير من الأحيان إلى اشتعال الخلافات بين أفراد الأسرة الواحدة، وكان أول مَن ابتدأ بذلك هو الخليفة السفاح[1] (132هـ- 749/136م- 754م) عندما جعل الخلافة من بعده لأخيه أبي جعفر المنصور ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى، لكن أبي جعفر المنصور نزع ولاية العهد من

[1] السفاح: هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، لُقب بالسفاح دلالة على الكرم والجود، وهو مؤسس الدولة العباسية وأول خلفائها، وبُويع بالخلافة في الكوفة سنة 132هـ/749م، وقضى معظم سنوات عهده في تثبيت حكمه فحارب أعداءه ثم تخلص من بعض القادة الذين ساندوه في الوصول إلى الحكم بعدما شهد عليهم بعض إشارات الانفصال، وقد تميز بعقله الراجح وكثرة حيائه وحسن أخلاقه، وقد كان يجالس العلماء ويشجع الأدب والغناء وكثير العطاء للشعراء. شاكر. (2000م)، ج1 ص:66؛ طقوش. (2009-أ)، ص:37، 38.

عيسى بن موسى وأعطاها لابنه المهدي[1] (159- 169هـ/775- 785م) ثم لعيسى بن موسى[2]، ولكن المهدي نزع عيسى بن موسى أيضاً من ولاية العهد وأعطاها لابنه الهادي[3] (169- 170هـ/785- 786م)، ومن بعده لابنه الثاني هارون الرشيد[4] ولكن الهادي حاول نزع أخيه من ولاية العهد وأعطاها لابنه جعفر الطفل، مما وتَّر العلاقات بينهما ودفع هارون الرشيد إلى الابتعاد عن العاصمة هرباً من بطش أخيه، وعندما تسلم هارون الرشيد الخلافة قد ولَّى العهد لأبنائه الثلاثة الأمين[5](193 -198هـ/809 -813م) ثم المأمون ثم القاسم المؤتمن،[6] إلا أن الأمين حاول نزع أخوَيْه المأمون والمؤتمن من ولاية العهد لإعطائها لابنه موسى بدلاً منهما مما أشعل الحرب الشهيرة بين الأمين والمأمون والتي انتهت بمقتل الأمين على يد أخيه[7]، كما أن

---

[1] المهدي: هو محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، نشأ في بيت الخلافة وتدرب على الحرب والإدارة، تميز عهده الذي دام عشر سنوات بالهدوء الداخلي والعدل واللين مما أفسح له المجال للعمل على ببناء القصور وإطلاق المساجين وحفر الآبار وإقامة البريد بين المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن وزيادة مساحة المسجد الحرام والجلوس للمظالم بنفسه. الخضري بك. (2003م)، ص:88؛ شاكر. (2000م)، ج1 ص:128؛ طقوش. (2009-أ)، ص:74، 75.

[2] الخضري بك. (2003م)، ص:84؛ الدوري. (د.ت)، ص:81.

[3] الهادي: هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وأمه الخيزران التي كفَّ يدها عن التدخل في شؤون الحكم مما أشعل الخلاف بينهما حتى يُقال إنه قُتل خنقاً بأمر منها، وعُرف بقوته وثقافته وخبرته بشؤون المُلك، وهو أول من شرب النبيذ من خلفاء بني العباس. الخضري بك. (2003م)، ص:95، 98؛ طقوش. (2009-أ)، ص:87، 90.

[4] الخضري بك. (2003م)، ص:94؛ طقوش. (2009-أ)، ص:87.

[5] الأمين: هو محمد بن هارون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، اشتهر بحسن الأدب وعلمه بالشعر وفصاحة لسانه ولكن غلب عليه اللهو وضعف الشخصية كما أخفق كقائد وحاكم، دخل في صراع مع أخيه المأمون حول ولاية العهد بتشجيع من رجال حاشية كل منهما حتى انتهى بمقتل الأمين على يد المأمون. طقوش. (2009-أ)، ص:116.

[6] الخضري بك. (2003م)، ص:133؛ طقوش. (2009-أ)، ص:86، 89؛ عزام. (2009م)، ص:122.

[7] الخضري بك. (2003م)، ص:166؛ العش. (1985م)، ص:244.

المأمون قد نزع أخيه القاسم المؤتمن من ولاية العهد وتجاوز ابنه العباس وأعطى الخلافة لأخيه المعتصم[1] (218- 227هـ/833- 841م).

وإلى جانب ولاية العهد كانت مبالغة العرب المسلمين في إبداء مظاهر الأبهة حتى وصلوا حد البذخ والترف فحاد بعض الخلفاء بذلك عن أحد أسس الدعوة الإسلامية التي تدعو إلى الاقتصاد ومنع الإسراف.

حيث غالى الخلفاء الأمويون في الإنفاق على بناء وتزيين المساجد وتفخيم القصور ولا سيما الوليد بن عبد الملك حيث أنفق خمسين صندوقاً من الذهب على بناء المسجد الجامع في دمشق سالف الذكر وعمل على إنشائه ما يقارب عشرة آلاف عامل من البيزنطيين والمصريين والفرس، كما جعل سقفه من الرصاص وزينه بالجواهر وطلي جدرانه بالذهب ووضع الفسيفساء على أعمدته[2]، وقد انتقلت عادة الاستزادة من التفخيم إلى العصر العباسي فها هو الخليفة هارون الرشيد على سبيل المثال ينفق على بناء القصور مئات الألوف من الدنانير فاقتدى به الشعب وبالغوا في حاجاتهم وتأنقوا في معيشتهم وانغمسوا في الترف.[3]

ومن سلبيات التأثيرات الفارسية والبيزنطية على الدولة العربية الإسلامية ما قلدهم به بعض الخلفاء الأمويين من التمييز بين العرب والموالي والذي خلق هوّة بين فئات المجتمع من جهة وبين المجتمع والفئة الحاكمة من جهة أخرى، فنتج عن ذلك تفاوت طبقي واضح أعاد التمايز والظلم والتعدي وضياع الحقوق شيئاً فشيئاً، مما أدى إلى انفراد بعض فئات المجتمع للعمل ضد غيرها من الفئات مما أضعف الدولة الأموية ثم

---

[1] المعتصم: هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، عمل والياً على الشام ومصر في عهد أخيه المأمون وامتاز بشجاعته لذلك عهد إليه المأمون بالخلافة وترك ابنه العباس، وحينما بويع بالخلافة لُقب بالمعتصم بالله وحكم الدولة العباسية بشدة كما اهتم بالعمارة والزراعة فبنى القصور وخطط الحدائق. الخضري بك. (2003م)، ص:214، 215؛ طقوش. (2009-أ)، ص:138.

[2] العش. (1985م)، ص:245.

[3] الخضري بك. (2003م)، ص:130.

أسقطها بالإضافة إلى أسباب أخرى، وبالتالي خرجوا عن ما دعا إليه رسول الله ﷺ من محو الفوارق بين الناس وأن لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

ومن نتائج التأثير الفارسي السلبي أيضاً هو ازدياد عدد الموالي في الدولة العربية الإسلامية ثم إعطاؤهم مناصب عالية فيها، فعلى الرغم من أن دخول الموالي إلى الدولة العربية الإسلامية في بداية عهدها كان مسوغاً في نقل كثير من جوانب الحضارة المختلفة إليها، إلا أن الدولة العباسية قد أعطت نصيباً وافراً للموالي في الجيش والذي هو عصب الدولة وعمودها الفقري، على عكس الجيش في الدولة الأموية الذي كان عربياً خالصاً جنوداً وقادة، فتألف الجيش في مطلع الدولة العباسية من فريقَيْن، أحدهما للموالي والآخر للجيوش العربية وقادتهم من العرب والموالي، وكان يفرّقهما تنازع كبير بسبب عصبية كل منهما لأبناء جنسه، ثم قام أبو جعفر المنصور بالإكثار من العرب في الجيش وتسليمهم قيادة الجيوش، ولكن مع مرور السنوات وبعهد المأمون زاد شأن الموالي وصار معظم الاعتماد عليهم في الدولة بينما نقص شأن العرب حتى لم يعد لهم قائد معروف، كما بدأت أسماء بعض العناصر الجديدة من الموالي بالظهور في عهده،[1] إلا أن أعدادهم ازدادت كثيراً في عهد الخليفة المعتصم إذ أكثر من جلبهم وقرّبهم منه ومنحهم النفوذ حتى غصَّت بهم مدينة بغداد وشكلوا قوة لا يستهان بها حتى خاف المعتصم نفسه من سطوهم فبنى لهم مدينة سامراء ونقلهم إليها كما استغنى عن جيوش العرب تماماً وأسقطهم كلهم من الدواوين جاهلاً ما قد ينتج عن فعله، إذ تعاظم أمر الموالي أكثر حتى شغلوا أعلى المناصب وأكثرها نفوذاً واستبدوا بأمور الدولة، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع الداخلية في البلاد وقيام ثورة المبرقع اليماني[2]، ومحاولة بعض الجنود من الموالي اغتيال الخليفة المعتصم بالتعاون مع

---

[1] الخضري بك. (2003م)، ص:75، 190.

[2] ثورة المبرقع اليماني: أراد أحد الجنود النزول في دار المبرقع اليماني في فلسطين وهو غائب عنها وذلك أمر لم يكن مألوفاً عند العرب قبل ذلك وكان في الدار إما زوجته أو أخته فمنعتهم من ذلك، فضربها بسوط أصاب ذراعها، فلما رجع المبرقع إلى منزله شكت إليه نساؤه ما حلَّ

ابنه العباس ولكنهم أخفقوا في ذلك[1]، وكذلك اختيارهم الخليفة الذي أعقب وفاة الواثق[2] (227– 232هـ/ 842– 847م) وهو الخليفة المتوكل[3] (232– 247هـ/847– 861م) الذي كانت منيَّته على أيديهم بالتعاون مع ابنه المنتصر[4] (247– 248هـ/861م) وذلك عندما أحسوا ببغضه لهم ورغبته في تحجيم دورهم، وكذلك فعلوا بالمنتصر نفسه لنفس السبب.[5]

وهكذا فإن دخول الموالي إلى الدولة العربية الإسلامية في بداية عهدها كان مسوغاً لنقل كثير من جوانب الحضارة المختلفة إليها ولكن مع تقدم السنوات غدا تأثيرهم تدخلاً مُؤذِناً ببداية ضعف الدولة وضياع هيبتها.

وخلاصة الأمر أن العرب المسلمين قد تأثروا بمظاهر حضارية كثيرة من غيرهم فغيرت بدولتهم أفضل التغيير، ثم عمدوا إلى تطوير ما أخذوه حتى تجاوزوه وتفوقوا عليه، ولكن مع مرور الوقت وارتخاء قبضتهم على أسس الدعوة الإسلامية اعتقدوا أن محاكاة غيرهم سيكون مسوغاً لتطورهم، إلا أن الخير في الوسط فلا

بهن فحمل سيفه وقتل الجندي ثم هرب إلى أحد جبال الأردن وألبس وجهه برقعاً كي لا يُعرف، فاجتمع حوله عدد من الناس وأيَّدوه، وذلك حتى تمكن المعتصم من أسره. الخضري بك. (2003م)، ص:224، 225.

[1] الخضري بك. (2003م)، ص:221، 230، 225، 228؛ الدوري. (د.ت)، ص:199؛ عزام. (2009م)، ص:165.

[2] الواثق بالله: هو هارون بن المعتصم، وقد اشتهر برجاحة عقله وحبه للعلم والشعر، إلا أنه كان ضعيفاً في الإدارة مما جعل لرجاله سلطة عليه، وسار على نهج أبيه فيه الاعتماد على الأتراك في الدولة حتى شكلت وفاته بداية العصر العباسي الثاني عصر النفوذ التركي. طقوش. (2009–أ)، ص:152.

[3] المتوكل: هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم، وقد تولى الخلافة بقوة الموالي الأتراك إلا أنه أدرك خطورة استبدادهم بالسلطة فحاول الحد منه من خلال تولية العهد لثلاثة من أبنائه وتقسيم البلاد بينهم، وتخزين الأموال في جميع البلاد، وضرب الدراهم باسمه، فخاف الأتراك منه وحقدوا عليه فقتلوه بمساعدة ابنه المنتصر. طقوش. (2009–أ)، ص:162، 163.

[4] المنتصر: هو محمد بن المتوكل وقد تعاون مع الأتراك لقتل أبيه، ثم بايعوه خليفة للدولة العباسية فكانت خلافته اسمية بينما النفوذ الفعلي للأتراك، لكنه أدرك خطرهم فيما بعد فقتلوه. طقوش. (2009–أ)، ص:164.

[5] الخضري بك. (2003م)، ص:243؛ طقوش. (2009–أ)، ص:163، 164؛ عزام. (2009م)، ص:166.

إفراط ولا تفريط، لأن الاعتماد على العنصر الأجنبي كلياً بدلاً من العربي الذي هو عماد الدولة وعصبها الأول سيغرق العرب المسلمين في هوة التقليد حتى يفقدوا هويتهم، كما هو الحال في الوقت الراهن إذ أصبح معظمهم جاهلين لتاريخهم، ناسين لجذورهم، وخجلين بلغتهم العربية، مُدخِلين الكلمات الأجنبية إلى كلامهم علَّ ذلك يعكس عن أنفسهم صفة المثقف، وذلك بعدما كان الأجانب يدخلون الكلمات العربية في حديثهم حتى يعكسوا عن أنفسهم نفس الصفة.

وأخيراً، فإنه لا مانع من استلهام حضارة دولة ما من حضارة دولة أخرى والتأثُّر بها ولكن بشرطَين أساسيَّين، أولهما يتم ذلك عند الحاجة، وثانيهما عدم المبالغة فيه إلى حد التخلي عن الهوية، فلربما عكسَ ذلك ضعف الدولة وافتقارها لما يسد حاجتها لا رغبةً في تطورها، فإن تخلت الزهور عن جذورها كيف لها أن تزهر؟!

الخاتمة:

إن قيام الدول وتحقيقها للانتصارات لا يكون بزجّها في حروب عشوائية مع أعدائها بل عن طريق تأمين قاعدة داخلية ثابتة الأركان، وهذا ما يستدل عليه من سياسة كل من الملك كسرى أنوشروان والامبراطور جستنيان الأول ورسول الله ﷺ الذين استلموا زمام الحكم لدول قد مرت بمرحلة ضعف سياسي وعجز اقتصادي وتراجع حضاري، فأدركوا أن النهضة لا تبدأ إلا من الداخل فصالحوا أعداءهم من الخارج وعملوا على إصلاح كل صعيد من الداخل، فدعموا الاقتصاد وطوروه، واعتنوا بالجيش وأحكموا استعداداتهم العسكرية وعملوا على كسب ود الشعب ومحبته ثم دعمه المادي والمعنوي، وهكذا أسسوا دولتهم على عُمُد ثابتة، فها هو الملك كسرى أنوشروان قد تحالف مع المناذرة وصاهر الترك ريثما يصلح الزراعة ويطوَّر الصناعة ويدعم التجارة ويتم استعداداته العسكرية وكذلك فعل الامبراطور جستنيان الأول عندما حالف الفرس الساسانيين وأتبعها بالقيام بإنجازات داخلية كثيرة ارتقى من خلالها بالامبراطورية إلى مصاف الدول آنذاك، ورسول الله ﷺ الذي عقد بعد هجرته إلى المدينة المنورة صلحاً مع مشركي قريش في مكة وكتب مع يهود المدينة المنورة وثيقة أمن بها جانبهم وحدد فيها حقوقهم وواجباتهم، فكانت هذه الوثيقة فرصة له ريثما يغرس في نفوس أصحابه العقيدة الإسلامية، وذلك لإدراكه أن التفاف الشعب حول عقيدة ما يشكل القوة الداعمة الوحيدة لبقاء السلطة الحاكمة والساعية لتحقيق العدل والمساواة بين الأفراد، فلا الظلم ولا البطش ولا الاستئثار بالثروات يضمن ذلك، كما أنه لم يكتفِ بالشعارات المنادية بذلك بل عمل على تطبيقها من خلال ترسيخ مبدأ المؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار والذي انعكست آثاره بوضوح على المجتمع والدولة فيما بعد.

وهذا شرط ألا يمعن الحاكم في نفقاته لقاء الإصلاحات الداخلية كما فعل الامبراطور جستنيان الأول إذ أصبحت نفقاته مسوغاً لإفلاس الخزينة الامبراطورية فيما بعد وتبديد قوى أبنائها في حروب توسعيّة، فتحولت إنجازاته إلى مشاكل حاول خلفاؤه من الأباطرة حلها، وكذلك ما فعله الامبراطور تيبيريوس عندما طُبعت سياسته على العطاء والتوسعة على الشعب فأثقل بذلك كاهل خَلَفِه الامبراطور موريس الذي لجأ إلى سياسة التقشف

لتعويض النقص في الخزينة، فظهر بمظهر البخيل مما أودى بحكمه فيما بعد، وبالتالي فإن الاقتصاد وحسن سياسة الإنفاق تعد من أهم دعائم قيام الدول وازدهارها أو تقهقرها.

وعلى الرغم من كون الحنكة السياسية أحد شروط اختيار الحاكم إلا أنها لا تجنبهم ارتكاب بعض الأخطاء، فها هو الملك كسرى أنوشروان قد أعطى صلاحيات مطلقة للحاكم العام في كل إقليم من أقاليم دولته، فانعكس ذلك عليه حركة انفصالية ومحاولة انقلابية على حكمه على يد القائد بهرام جوبين، وكذلك فعل الامبراطور موريس عندما أعطى الصلاحيات المطلقة للأرخون في الولايات والتي أسفرت فيما بعد عن رفع هرقل راية العصيان على الامبراطور فوقاس والتي أدت فيما بعد إلى إسقاطه، بينما تجنب الخليفة عمر بن الخطاب ذلك عندما جعل الحكم في الدولة العربية الإسلامية مركزياً يعود بكل شؤونه إلى قرار الخليفة الذي يعتمد على الشورى لاتخاذ القرار المناسب.

كما أن تحالف الدول مع بعضها أو ضد بعضها لا يقوم فقط على الأهداف التي تُكتب فقط في المعاهدات بل ربما أرادوا في أنفسهم غايات ضمروها، فمساعدة الامبراطور موريس للملك كسرى أبرويز لاستعادة عرشه المسلوب لا تعني بالضرورة رغبته في المناطق التي تنازل عنها مقابل ذلك بل ربما آثر وجود كسرى أبرويز كعدو تقليدي وضعيف –وهو ما يعكسه هروبه واستنجاده بالآخرين مرتَيْن– على مجيء عدو جديد لا يمكن التنبؤ بأفعاله وأساليب قتاله وكيفية هزيمته.

أما من الناحية الحضارية فتتناوب الدول الكبرى على حمل مشعل الحضارة بعدما تصل إلى ذروة ازدهارها ونفوذها كالدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية خلال الأول الهجري/ أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديَيْن، حيث جذبت الشعوب الأخرى إلى حضارتها والأنظار إلى منجزاتها وأفاضت على مَن جاورها من دول بمظاهر تطورها، فانعكست عليهم آثارها في معظم المجالات.

وقد تميزت الدولة الفارسية الساسانية والامبراطورية البيزنطية بتطور حضاري واضح ولا سيما في المجال الإداري، إلا أن كثرة الموظفين الإداريين والمراحل التي كانت تمر بها إحدى الوثائق قد عاب نظامهم

الإداري لما تسببت فيه من بطء سير العمليات الإدارية ورتابتها، كما عاب نظامهم الاجتماعي تقسيم الشعب إلى طبقات متدرجة وسوء توزيع الثروات وتكديسها بيد الطبقة العليا فقط على الرغم من غنى بلادهم بالموارد والثروات الكثيرة، مما أدى إلى ظلم اليد العاملة وجعل الارستقراطية مرهونة بالثروة والألقاب، وهذا بالإضافة إلى اختلاط الأنساب عند الفرس الساسانيين وضياع المواريث وتفشي الأمراض الذي نجم عن تبادل الزوجات وإعارتهن وزواج المحارم في مجتمعهم.

وتطور الحضارة الفارسية الساسانية والبيزنطية وتميزها لا تنفي ما كان لدى جيرانهم العرب من مظاهر للحضارة فقد كانوا قوماً تميزهم مكارم أخلاقهم ومنتظمين اجتماعياً ضمن أُطر عديدة من العادات والتقاليد، ولكن أخذتهم الحميَّة لقبائلهم وميزوا بين بعضهم البعض باللغة والأنساب والأعراق واستعبدوا غيرهم بأغلال الظلم والمراباة، فكان لا بد لذلك من مصحح ومقوّم، وهو مَن شهدت أرض شبه الجزيرة العربية مولده متمثلاً برسول الله ﷺ الذي أسس الدولة العربية الإسلامية على أرضها والتي تمكنت بفتوحاتها شمالاً خلال عهود خلفائه من إسقاط دولة الفرس الساسانيين وإخراج البيزنطيين عن الأقاليم التي طالما قبعت تحت سيطرتهم، وعلى الرغم من ذلك إلا أن شعاع حضارتهما العريقة لم يخفت بل أضاء بعض الجوانب المظلمة لدى العرب المسلمين خلال مراحل بناء دولتهم وتدعيم رواسيها.

حيث بنى العرب المسلمون دولتهم اعتماداً على مبادئ شريعتهم الإسلامية واقتبسوا ما احتاجوه إيماناً بأسبقية الحضارتَيْن الفارسية الساسانية والبيزنطية وعدم إنكارهم لتجربتهم وخبرتهم الواسعة في جوانب الحضارة المتعددة، كما لم يتجاهلوا حضارة العرب المتجذرة في نفوسهم والتي توضح كثيراً من الأمور المُسَلَّمة لدى الفرد العربي.

فتواصلوا مع الفرس الساسانيين والبيزنطيين وتأثروا بهم، حيث كانت الفتوحات العربية الإسلامية أول السُبل التي عرّفت العرب المسلمين على حضارتهما، إضافة إلى جهود الموالي وما حمله الرقيق والسبي من موروثات حضارتهم وثقافتهم إلى الأراضي العربية الإسلامية، فضلاً عن الحج الذي يعد لقاءً سنوياً لعموم

المسلمين من كافة الجذور والأعراق والثقافات والذين لا تجمعهم إلا وحدة الدين، وهذا مع استمرار حركة التجارة وما ينقله التجار مع بضاعتهم من ثقافة الشعوب التي يتعاملون معها، بالإضافة إلى مراسلة الامبراطورية البيزنطية في أوقات السِّلم ودعمهم العلماء في ترجمة علوم وتراث الحضارات الأخرى.

فقسَّم العرب المسلمون أولاً بلاد الشام بناء على إدراكهم المسبق لمواطن قوتهم والتي تكمن في تفوقهم في المواجهات البرية، فجعلوا مراكز الأقاليم بعد تقسيمها طبقاً للنظام الإداري البيزنطي بعيدة عن المناطق الساحلية معترفين بقوة الأسطول البيزنطي وعراقته وخبرة البيزنطيين وتفوقهم في القتال البحري.

كما فرضوا الضرائب كالجزية والخراج وأسسوا الدواوين استقاءً من النظام الإداري الفارسي الساساني والبيزنطي لتنظيم موارد الدولة العربية الإسلامية ولكنهم غيَّروا في سير عملها وأهدافها، فقد كانت غاية الضرائب ووجود دواوينها الفارسية الساسانية والبيزنطية هي جمع الأموال وتسجيلها وتكديسها بيد الطبقة العليا فقط من المجتمع، بينما ما فُرض على غير المسلمين في الدولة العربية الإسلامية من جزية وخراج فكانا لقاء حماية المسلمين لهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وقد كان في ذلك مساواة لهم بالمسلمين الذي فُرضت عليهم الزكاة عن أموالهم وممتلكاتهم، وبالتالي تعدُّ هذه الضرائب جزءاً من تنظيم اقتصادي متكامل للدولة العربية الإسلامية ومجتمعها يضمن الحقوق ويحقق العدل والمساواة في توزيع الأرزاق بين الغني والفقير من أفراد المجتمع دون تمييز، فما يؤخذ من الناس يُوزع عليهم أو يُستعاض عنه بحماية أو دفاع، وهكذا فإن فكرة إقامة الديوان لتنظيم الأموال في الدولة العربية الإسلامية مقتبسة من الفرس الساسانيين ولكن ليس غايته، مما يجعل منه ديواناً إسلامياً خالصاً.

كما لم يسعَ الخلفاء العرب المسلمون نحو التقليد الأعمى للأعاجم ونسخ حضارتهم بحذافيرها بل أخذوا عنهم بعض مظاهرها متى دعت الحاجة لها، فلم ينغلقوا على أنفسهم ولم تأخذهم العزّة دونها، ونظام البريد أبرز دليل على ذلك إذ استمر العرب المسلمون في الاعتماد على نظام نقل الأخبار القديم حتى اضُّطروا

إلى تطويره، كما أن اختراعهم للبريد البحري يُبعد عنهم تهمة الجمود وعدم قدرتهم على الإبداع والابتكار وهذا دليل على أن ما أخذه العرب المسلمون عنهم كان تأثُّراً فقط وليس تقليداً.

وقد استخدم العرب المسلمون في مطلع الدولة العربية الإسلامية النقود الفارسية الساسانية والبيزنطية على الرغم من طباعة نقودهم الخاصة، ولكنهم لم يستمروا في ذلك طويلاً حيث عمد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى ضرب النقود العربية الخالصة ومنع استخدام غيرها في جميع أقاليم الدولة العربية الإسلامية كما نقل دواوين الدولة العربية الإسلامية إلى اللغة العربية، ومن هاتين الخطوتَيْن أراد طبع الدولة العربية الإسلامية بالطابع العربي لتأكيد الانفصال التام عن الامبراطورية البيزنطية وأنَّ الأخذ من مظاهر حضارتها كان تأثُّراً وليس تبعية.

أما من الناحية الاجتماعية فقد وضع الدين الإسلامي قواعد اجتماعية واضحة محدداً فيها الحقوق والواجبات والمحرمات على كل فرد من المجتمع وأعطى المرأة ما حُرمت منه فيما سلف من حقوق، كما حرص على إذابة الفوارق الاجتماعية لجعل الناس سواسية كأسنان المشط لا يفرق بينهم لون أو عرق أو ثروة لدرء ما قد ينجم عن الاختلاف من خلاف، وقد تجلى ذلك من خلال قبول العرب المسلمين انضمام غيرهم إلى قبائلهم والانتساب بنسبهم، غير آبهين باختلاف اللغات والثقافات ولا يجمعهم إلا مظلة الدين الإسلامي فأضحى الاختلاف نبعاً للتنوع وبذرة أنبتت حضارة قلَّ مثيلها.

وهكذا فإن نظام الدولة العربية الإسلامية سواءً إدارياً أو اقتصادياً قد اتَّسم بالمرونة، فعلى الرغم من حرص الخلفاء الراشدين على التمسك بنهج رسول اللهﷺ، إلا أنهم أدخلوا عليه من التعديلات ما لزم دولتهم لتسير مع ركب الحياة المتغير دون أن يخالفوا أسسه الثابتة، ولكنهم مع مطلع العصر الأموي ومرور سنواته والابتعاد عن العهد النبوي بدأ الخلفاء الأمويون يحيدون عن نهج أسلافهم تدريجياً في تنظيم الدولة والمجتمع ويميلون إلى تقليد الأعاجم والانجرار ورائهم، حيث تركوا الشورى في كيفية انتقال الحكم واختيار الخليفة ولجأوا إلى ولاية العهد وتوريث الحكم لمن أرادوا، مما أدى إلى وصول رجال غير أكفَّاء للخلافة وغير قادرين على

إدارة دفَّتها، كما شرعوا في إبداء مظاهر الترف والثراء حتى طغى ذلك على البلاط الأموي، وعلى الرغم من تعدد دوافع ذلك إلا أن مغالاتهم في تقليد الأعاجم أدى إلى ابتعادهم عن أهم الأسس الاجتماعية الإسلامية والتي تدعو إلى محو الفوارق بين الناس، وبالتالي فإنه لا مانع من إظهار هيبة الدولة لحراستها من أطماع واستخفاف الأعداء والرعية، ولكن دون الغلو في ذلك، فإن مهابة الدولة الحقيقية وإظهار قوتها لا يكون فقط في إظهار دلائل الثراء بل من خلال إحقاق الحق ونشر العدالة وردع الظالمين مهما بلغت منزلتهم.

وعلى الرغم من تأثُّر العرب المسلمين بنظم الفرس الساسانيين والبيزنطيين على حد سواء، إلا أن تأثُّرهم بالفرس الساسانيين قد غلب عليهم وربما يعود ذلك إلى أن الدولة الفارسية الساسانية قد انهارت تماماً مما حتَّم تداخل شعبها مع العرب المسلمين وتفاعل ثقافاتهم ببعضها فأثروا وتأثروا بهم، أما الامبراطورية البيزنطية فكان لا يزال وجودها قائماً مما جعل من اتصالهم بها اتصالاً ذا طابع عدائي وحربي أكثر مما هو اتصال حضاري.

وهكذا قامت الدولة العربية الإسلامية على مبادئ الشريعة الإسلامية التي سمحت لها بالانفتاح على غيرها من الدول والتأثُّر بحضاراتها بما يسد ثغراتها، في حين حرصت على عدم المغالاة والتقليد الأعمى لها لما في ذلك من إضعاف للقوة وطمس للهوية، فالحضارات تنمو وتزدهر بالتفاعل بينما تتراجع بالانغلاق.

الملاحق:

أولاً: الخرائط:

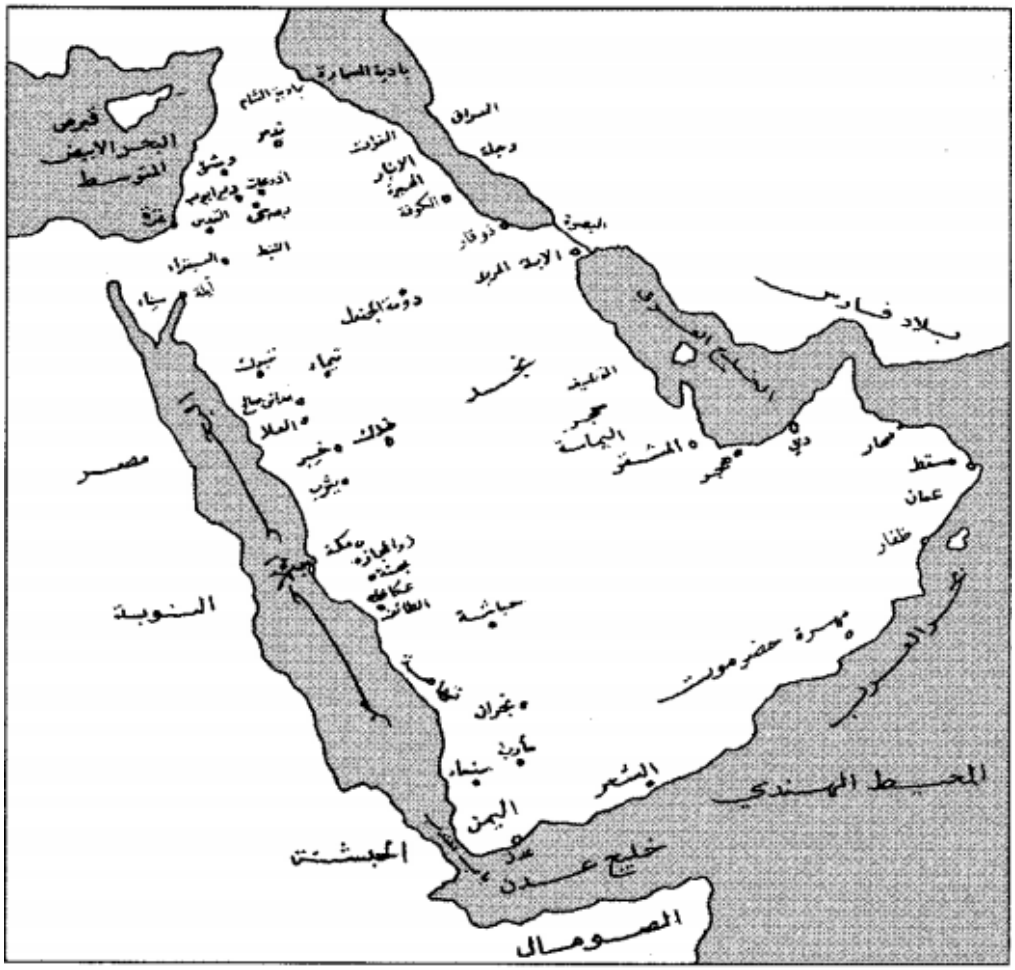
رقم -1-



تقسيم بلاد الشام في العصر البيزنطي.[1]

[1] مؤنس. (1987م)، ص:109.

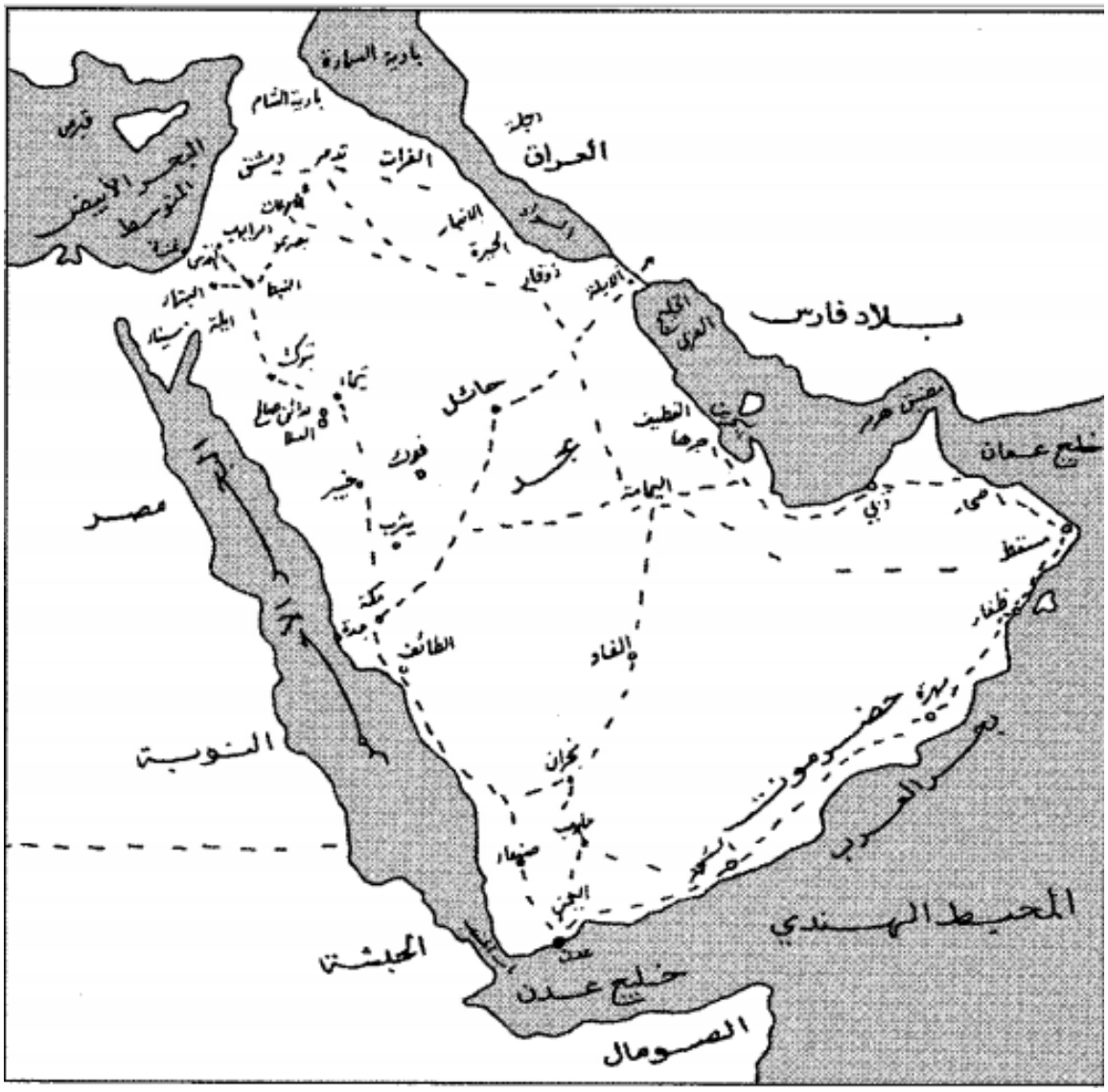
رقم -2-



أسواق العرب قبل الإسلام.[1]

[1] طقوش. (2009م-ب). ص:469.

رقم -3-



طرق القوافل التجارية العربية قبل الإسلام.[1]

[1] طقوش. (2009م-ب). ص:469.

ثانياً: النقود:

رقم -1-



نقود تعود لعهد الامبراطور هرقل.[1]

رقم -2-



صولد ذهبي يعود لعهد الامبراطور هرقل.[2]

[1] https://www.ancient.eu/image/7695/coin-of-heraclius/

[2] الجوابرة. (2016م)، ص: 82.

رقم –3–



نقود ذهبية تعود لعهد الملك كسرى أبرويز.[1]

رقم –4–



نقود فضية تعود إلى عهد الملك كسرى أبرويز.[2]

[1] https://www.worldhistory.org/Khosrow_II/

[2] https://finncoin.com/product/sassanid-empire-khosrow-ii-591-628-ad-ar-drachma-6/

رقم -5-



نقود ذهبية تعود إلى عهد عبد الملك بن مروان.[1]

[1]https://madainproject.com/coin_of_ibn_marwan#:~:text=A%20major%20component%20of%20Abd,%2C%20the%20dinar%2C%20in%20693.

ثالثاً: الخطابات والرسائل:

- **مراسلة الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان:**

كتب الامبراطور قسطنطين الرابع إلى معاوية بن أبي سفيان رسالة قال فيها: "سلام عليك، أما بعد: فأنبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَن أكرم عبداه إليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يرتكضن في رحم، وعن قبر سير بصاحبه، ومكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرّة ما موضعها من السماء، وقوس قزح وما بدء أمره؟" فأرسل إليه يقول: "أما أحب كلمة إلى الله: فلا إله إلا الله، لا يقبل عملاً إلا بها، وهي المنجية، والثانية: سبحان الله، وهي صلاة الخلق، والثالثة: الحمد لله، كلمة الشكر، والرابعة : الله أكبر، فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأما أكره عباده إليه: فآدم خلقه بيده، وعلّمه الأسماء كلها، وأكرم إمائه عليه: فمريم التي أحصنت فرجها، والأربعة التي فيهنّ روح ولم يرتكضن في رحم: فآدم وحواء، وعصا موسى، والكبش، والمكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة: فالبحر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل. والقبر الذي سير بصاحبه: فبطن الحوت الذي كان فيه يونس".[1]

- **رسالة توصيات الخليفة الأول أبو بكر الصّدّيق إلى قائده قبل البدء بالفتوحات:**

"استعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور .... وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة المأكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم"[2]

---

[1] ابن قتيبة. (2008م)، ج1: 296، 297.

[2] الواقدي. (د.ت)، ج1 ص:8.

- **كتاب رسول اللَّه ﷺ بين المهاجرين والأنصار والذي وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم:**

بسم اللَّه الرحمن الرحيم "هذا كتابٌ من محمد النبيِّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثْرِب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أُمَّةٌ واحدةٌ من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم، يتعاقَلُونَ بينهم وهم يَفْدُونَ عانِيَهُمْ بالمعروف والقِسط، وبنو عوف على رِبْعَتِهم يتعاقلون مَعَاقِلهُم الأولى، وكلُّ طائفة تَفْدي عانِيَها بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين" ثم قال: "وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِدَاءٍ وَعَقْل، ولا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغَى دَسِيعَة ظُلْم أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديَهُمْ عليه جميعهم ولو كان ولدَ أحدِهم، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر، ولا يُنصر كافر على مؤمن، وإنَّ ذِمَّة اللَّه واحدة، يُجير عليهم أدناهم، وإنَّ المؤمنين بعضُهم مواليَ بعض دون الناس، وإنَّ مَنْ تبعنا من يهود فإنَّ له النَّصْر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرَ عليهم، وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتالٍ في سبيل اللَّه إلا على سواءٍ وعَدْل بينهم؛ وإنَّ كلَّ غازيةٍ غزَتْ معنا يَعْقُبُ بعضُها بعضا، وإن المؤمنين يُبِيء بعضُهم بعضًا بما نال دماءهم في سبيل اللَّه، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْي وأقْوَمِه، وإنه لا يجير مشرك مالًا لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعْتَبَط مؤمنًا قَتْلًا عن بَيِّنةٍ فإنَّه قَوَدٌ به إلى أن يرضى وليُّ المقتول، وإنَّ المؤمنين عليه كافة، ولا يحلُّ لهم إلا قيامٌ عليه، وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن باللَّه واليوم الآخر أن ينصر مُحدِثًا ولا يُؤويه، وأنه من نَصَره أو آواه فإنَّ عليه لعنة اللَّه وغضَبَه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإنَّ مرده إلى اللَّه، وإلى محمد ف وإنَّ اليهود يتفقونَ مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإنَّ يهودَ بني عَوف أمَّة مع المؤمنين، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأهلَ بيته، وإنَّ ليهود بني النجَّار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشَم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف، وإنَّ بطَانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم

أحد إلا بإذن محمد ف، ولا يَتَحَجَّرُ على ثأرٍ جُرْح، وإنه مَنْ فَتَكَ فبنفسه، إلا من ظُلم، وإن اللَّه على أثر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتُهم، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة، وإنَّ بينهم النصحَ والنَّصيحة والبرَّ دون الإثم، وإنَّه لم يأثم امرؤ بحَلِيفه، وإنَّ النصرَ للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإنَّ يثرب حرام جَوْفُها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجارٍ يُخاف فسادُه فإن مرَدَّه إلى اللَّه وإلى محمدٍ رسولِ اللَّه ﷺ، وإن اللَّه على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه، وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النَّصْر على مَنْ دَهِم يثرب، وإذا دُعُوا إلى صلْح يصالحونه ويَلْبَسونه فإنهم يصالحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا مَنْ حارب في الدين على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثم، وإنه من خرج آمنٌ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظَلَم أو أثم، وإنَّ اللَّه جارٌ لمن برَّ واتَّقى".[1]

رابعاً: الجداول:

- جدول لمعاصري الخلفاء المسلمين من الملوك والأباطرة ابتداء بعهد رسول الله حتى نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي[2]:

[1] ابن كثير. (1997م). ج4 ص:556-558.

[2] الجدول من عمل الباحثة.

الحكّام المسلمون	ملوك الفرس الساسانيين	الأباطرة البيزنطيين
1. محمـــــد رســـــول الله ﷺ (1 للبعثة-11هـ/609 -632م):	- كسرى أبرويز (590-628م) - شيرويه المعروف بـ قباذ الثاني (حكم لمدة ثمانية أشهر سنة 6هـ/628). - أردشير الثالث بن شيرويه (6-8هـ/ 628-630م). - القائد العسكري شهربراز (حكم لمدة شهرين).	
2. أبــو بكــر الصّــدّيق ﷺ (11-13هـ/632- 634م):	- بوراندخت بنت كسرى أبرويز. - كشناسب برده أخو كسرى الثالث. - آذر ميدخت بنت كسرى. - رستم فرخ هرمز. ثم حكم البلاد اثنا عشر شخصاً خلال أربع سنوات.	- الامبراطور هرقل (610- 641م).
3. عمــر بــن الخطــاب ﷺ (13-23هـ/634- 644م):	- يزدجرد الثالث بن شهريار (10-31هـ/632- 651م).	
4. عثمان بن عفان ﷺ (23-35هـ/ 634- 646م):		- الامبراطور هرقل (610- 641م). - قسـطنطين الثالـث: حكـم بالاشـتراك مـع أخيـه هرقلـون عـدة أشـهر فـي سنة (21هـ/641م). - قســـــطنطين الثـــــاني (21-48هـ/641- 668م).
5. علـي بـن أبـي طالـب ﷺ (35-40هـ/646- 651م):		- قســـــطنطين الثـــــاني (21-48هـ/641 -668م).
6. معاويـــة بـــن أبـــي ســـفيان ﷺ (41-60هـ/661- 680م):		- قســـــطنطين الثـــــاني (21-48هـ/641 -668م).

		- قسطنطين الرابع بن قسطنطين الثالث (48- 66هـ/668-685م).
7. يزيد بن معاوية (60-64هـ/680- 683م): 8. معاوية بن يزيد (الثاني) 64هـ/683م (حكم عشرين أو أربعين يوماً):		- قسطنطين الرابع بن قسطنطين الثالث (48 -66هـ/668-685م).
9. مروان بن الحكم (64-65هـ/684-685م):		- جستنيان الثاني 66-76هـ/685- 695م). - ليونتيوس (76- 79هـ/695-698م) - تيبيريوس الثاني (79- 86هـ/698- 705م)
10. عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685- 705م):		
11. الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م):		- جستنيان الثاني (86- 93هـ/705- 711م) - فيليبكوس (93- 95هـ/711-713م) - أناستاس الثاني (95-97هـ/713- 715م)
12. سليمان بن عبد الملك (96- 99هـ/715- 717م):		- أناستاس الثاني (95-97هـ/713- 715م) ثيودوسيوس الثالث (97- 99هـ/715-717م)
13. عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717- 719م):		ثيودوسيوس الثالث (97- 99هـ/715-717م) ليو الثالث الأيسوري (99- 124هـ/717- 741م)

- **جدول المكاييل والأوزان[1]:**

إرْدَب	مكيال يساوي أربعة وعشرين صاعاً (والصاع أربعة أمداد والمُد يساوي 1/5 كيلوجرام)
أوقية	تزن 12 درهماً
الجَريب	في المكاييل يساوي أربعة أقفزة (132 لتراً) وفي الموازين يساوي 256 رطلاً
الحبّة	في الموازين تساوي وزن حبة الشعير أو حبتَيْن منه
الدانق	وزن عشر حبات من الشعير
الرَّطل	يساوي في الوقت الحاضر اثني عشر أوقية
الطسق	هو مكيال لكيل الزيوت وكل أنواع الدهون
القَفِيز	وفي الأوزان يساوي ثمانية أرطال
القنطار	في الوزن يساوي 1200 أوقية
القيراط	وزن ثلاث حبات من الشعير
المثقال	يعادل عشرين قيراطاً من الذهب

[1] الجدول من عمل الباحثة، وتم ترتيب أسماء المكاييل والأوزان حسب الترتيب المعجمي.

- **جدول المقاييس[1]:**

الجَريب	في المقاييس يساوي 3600 ذراعاً مربعاً
القَفِيز	في المقاييس من الأرض يساوي 144 ذراعاً

- **جدول العملات الفضية[2]:**

الدرهم الأسود الناقص	6 دوانيق
الدرهم البغلية	يزن ثمانية دوانيق
الدرهم الطبرية	يزن أربعة دوانيق
الدرهم العربي الإسلامي سنة 18هـ/639م	6 دوانيق
الدرهم العربي سنة 75هـ/694م	6 دوانيق
الدرهم المغربي	يزن ثلاثة دوانيق
الدرهم اليمني	يزن دانق واحد
الهكساجرام	6.83 جرام

- **جدول العملات الذهبية[3]:**

الدينار العبدي	20 قيراط
الصولد البيزنطي	تزن أقل من 24 قيراط

[1] الجدول من عمل الباحثة، وتم ترتيب أسماء المقاييس حسب الترتيب المعجمي.

[2] الجدول من عمل الباحثة، وتم ترتيب أسماء المقاييس حسب الترتيب المعجمي.

[3] الجدول من عمل الباحثة، وتم ترتيب أسماء المقاييس حسب الترتيب المعجمي.

المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

- **القرآن الكريم.**

1. ابن الأثير. علي بن محمد ت630هـ/1232م. (2012م). **الكامل في التاريخ**. تح عمر تدمري. بيروت: لبنان. دار الكتاب العربي. ج1 ص:708؛ ج2 ص:768؛ ج3 ص:550.
2. ابن الأثير. علي بن محمد. (د.ت). **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. تح علي معوض وعادل عبد الموجود. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:743؛ ج5 ص:512؛ ج7 ص:448.
3. الإدريسي. محمد بن محمد ت560هـ/1164م. (2002م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ج1 ص:521.
4. ابن أرنبُغا الزردكاش. ت867هـ/1471م. (2013م). **الأنيق في المناجيق**. ط1. تح إحسان الهندي. أبو ظبي: الإمارات العربية المتحدة. دار الكتب الوطنية. ص:169.
5. الأزهري. محمد بن أحمد ت370هـ/980م. (1975م)، **تهذيب اللغة**. تح عبد الحليم النجار. القاهرة: مصر. مطابع سجل العرب. ج3 ص:449.
6. الأصفهاني. علي بن الحسين ت356هـ/966م. (1928م). **الأغاني**. ط1. القاهرة: مصر. دار الكتب المصرية. ج1 ص:610.
7. الأصمعي. عبد الملك بن قُريب ت217هـ/831م. (1959م). **تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط1. تح محمد آل ياسين. بغداد: العراق. منشورات المكتبة العلمية. مطبعة المعارف. ص:200.
8. ابن أبي أصيبعة. أحمد بن القاسم ت668هـ/1270م. (د.ت). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. تح نزار رضا، بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص:791.

9. البخاري. محمد بن اسماعيل ت256هـ/869م. (1375م). **الأدب المفرد**. تح محمد عبد الباقي، القاهرة: مصر. المطبعة السلفية ومكتبتها. ص:351.

10. البخاري. محمد بن اسماعيل ت256هـ/869م. (2002م). **صحيح البخاري**. ط1. دمشق: سوريا. دار ابن كثير. ص:1944.

11. البسوي. يعقوب بن سفيان ت277هـ/890م. (1989م). **كتاب المعرفة والتاريخ**. تح أكرم العمري. المدينة المنورة: المملكة العربية السعودية. مكتبة الدار. ج2 ص:846؛ ج3 ص:595.

12. البكري. عبد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1093م. (د.ت). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. ط3. بيروت: لبنان. عالم الكتب. ج1 ص:353؛ ج2 ص:355؛ ج3 ص:336؛ ج4 ص:703.

13. البلاذري. أحمد بن يحيى ت279هـ/892م. (1987م). **فتوح البلدان**. تح عبد الله الطباع. بيروت: لبنان. مؤسسة المعارف. ج1 ص:777.

14. البلاذري. أحمد بن يحيى ت279هـ/892م. (1996م)، **أنساب الاشراف**. تح سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج7 ص:467.

15. الترمذي. محمد بن عيسى ت279هـ/892م. (2000م). **صحيح سنن الترمذي**. ط1. تح محمد الألباني. الرياض: السعودية. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ج1 ص:655. ج2 ص:651.

16. الجاحظ. عمر بن بحر ت255هـ/868م. (1965م). **الحيوان**. ط2، تح عبد السلام هارون. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:428؛ ج6 ص:164.

17. الجاحظ. عمر بن بحر ت255هـ/868م. (د.ت). **التاج في أخلاق الملوك**. تح أحمد زكي باشا. مطبعة Le Oaire. ص:351.

18. الجهشياري. محمد بن عبدوس ت331هـ/942م. (1938م). **الوزراء والكتّاب**. ط1. القاهرة: مصر. مطبعة عبد الحميد حنفي. ص:464.

19. ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي. ت597هـ/1200م. (1924م). تاريخ عمر بن الخطاب أول حاكم ديمقراطي في الإسلام. الناشر محمد الكتبي. ط1. (د.م). مطبعة السعادة. ص280.

20. ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي. ت597هـ/1200م. (1992م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. تح محمد عطا ومصطفى عطا. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج3 ص:387؛ ج4 ص:371؛ ج5 ص:352.

21. ابن حبان. محمد بن حبان ت354هـ/965م. (1973م). **الثُّقات**. ط1. (د.م). مطبوعات دائرة المعارف العثمانية. ج1 ص: 316. ج3 ص:466.

22. ابن حبيب. محمد بن حبيب ت245هـ/859م. (د.ت)، **المحبر**. اعتنى به إيلزه ليختن شتيتر. بيروت: لبنان. دار الآفاق الجديدة. ص:752.

23. ابن حديدة. محمد بن علي ت783هـ/1381م. (1985م)، **المصباح المضيء في كُتَّاب النبي الأُمّي ورُسُله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**. صحَّحه محمد عظيم الدين، بيروت: لبنان. دار عالم الكتب. ج2 ص:499.

24. ابن حزم. علي بن أحمد ت456هـ/1063م. (د.ت- أ). **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق ليفي بروفنسال. مصر. دار المعارف. ص:553.

25. ابن حزم. علي بن أحمد ت456هـ/1063م. (د.ت- ب). **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. مكتبة السلام العالمية. ج1 ص:166؛ ج2 ص:145.

26. الحموي. ياقوت بن عبد الله ت626هـ/1228م. (د.ت). **معجم البلدان**. تح فريد الجندي، بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:540؛ ج2 ص:549؛ ج3 ص:469؛ ج4 ص:500؛ ج5 ص:460.

27. الحميري. محمد بن محمد ت900هـ/1494م. (1984م). **الروض المعطار في خبر الأقطار**. ط2. تح إحسان عباس. بيروت: لبنان. مكتبة لبنان. ص:784.

28. الخزاعي. علي بن محمد. ت789هـ/1387م. (1985م). **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**. ط1. تح إحسان عباس. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص:920.

29. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد ت808هـ/1406م. (2001م). **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ط1. ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج1 ص:851؛ ج2 ص:656.

30. ابن خياط. خليفة بن خياط ت240هـ/854م. (1985م). **تاريخ خليفة بن خياط**. ط2. تح أكرم ضياء العمري. الرياض: السعودية. دار طيبة. ص:628.

31. الدينوري. أحمد بن داود ت282هـ/895م. (1959م). **الأخبار الطوال**. تح عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الشيال، القاهرة: مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. ص:512.

32. الذهبي. محمد بن أحمد ت748هـ/1347م. (1990م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. ط2. تح عمر تدمري. بيروت: لبنان. (د. ن)، ج1 ص:821؛ ج2 ص:701؛ ج3 ص:799؛ ج5 ص:669.

33. الذهبي. محمد بن أحمد ت748هـ/1347م. (2004م). **سير أعلام النبلاء**. اعتنى به حسان عبد المنَّان. بيروت: لبنان. دار بيت الأفكار الدولية. ص:4683.

34. الذهبي. محمد بن أحمد ت748هـ/1347م. (د.ت). **تجريد أسماء الصحابة**. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ج1 ص:432.

35. الرازي. محمد بن أبي بكر ت666هـ/1267م. (1986م). **مختار الصحاح**. ط5. تح يوسف محمد. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ص:350.

36. الزبيري. المصعب بن عبد الله ت236هـ/850م. (د.ت). **كتاب نسب قريش**. ط3. عني به ليفي بروفنسال. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:522.

37. أبو زرعة. عبد الرحمن بن عمرو ت281هـ/894م. (1996م). **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**. ط1. وضع حواشيه خليل المنصور. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:390.

38. ابن زنجويه. حُميد بن زنجويه ت251هـ/865م. (1986م). **كتاب الأموال**. ط1. تح شاكر فاض. الرياض: المملكة العربية السعودية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ج1 ص:436؛ ج2 ص:876.

39. سبط ابن الجوزي. يوسف بن قز أوغلي ت654هـ/1168م. (2013م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ط1. تح محمد بركات وعمار ريحاوي. دمشق: سوريا. دار الرسالة العالمية. ج1 ص:530؛ ج3 ص:416؛ ج4 ص:416؛ ج5 ص:533؛ ج7 ص:444؛ ج8 ص:519؛ ج9 ص:488.

40. ابن سعد. محمد بن سعد ت230هـ/844م. (2001م). **الطبقات الكبرى**. ط1. تح علي عمر. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. ج1 ص:445؛ ج2 ص:342؛ ج3 ص:592؛ ج4 ص:416؛ ج6 ص:576؛ ج7 ص:648؛ ج8 ص:567؛ ج10 ص:472.

41. السهيلي. عبد الرحمن بن ت581هـ/1185م. **الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**. (1967م) ط1. تح عبد الرحمن الوكيل. القاهرة: مصر. دار الكتب الإسلامية. ج1 ص:464؛ ج4 ص:446؛ ج6 ص:612.

42. السيوطي. عبد الرحمن بن السيوطي ت911هـ/1505م. (2003م). **تاريخ الخلفاء**. ط1. بيروت: لبنان. دار ابن حزم. ص:420.

43. الشهرستاني. محمد عبد الكريم بن أحمد ت548هـ/1153م. (1968م). **الملل والنحل**. تح عبد العزيز الوكيل. القاهرة: مصر. مؤسسة الحلبي. ج1 ص:202؛ ج2 ص:222.

44. الصفدي. خليل بن أيبك ت764هـ/1362م. (2000م). **الوافي بالوفيات**. ط1. تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي. ج1 ص:284. ج15 ص:325.

45. الصولي. محمد بن يحيى ت336هـ/947م. (1341م). **أدب الكتاب**. عني به محمد بهجة الأثري. القاهرة: مصر. المطبعة السلفية. ج2 ص:106؛ ج3 ص:72.

46. الطبري. محمد بن جرير ت310هـ/922م. (1967م). **تاريخ الرسل والملوك**، ط2. تح محمد ابراهيم. القاهرة: مصر. دار المعارف. ج2 ص:664؛ ج3 ص:632؛ ج4 ص:584؛ ج5 ص:635.

47. ابن عبد البَر. يوسف بن عبد الله ت463هـ/1070م. (2002م). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. ط1. صحّحه عادل مرشد. (د. م). دار الاعلام. ج1 ص:415.

48. ابن عبد الحق. عبد المؤمن بن عبد الحق ت739هـ/1338م. (1992م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تح علي البجاوي. بيروت: لبنان. دار الجبل. ج1 ص:498؛ ج2 ص:520.

49. ابن عساكر. علي بن الحسن ت571هـ/1175م. (1995م). **تاريخ مدينة دمشق**. تح عمر العمروي. بيروت: لبنان، دار الفكر. ج15 ص:416؛ ج20 ص:420؛ ج45 ص:512.

50. العسقلاني. أحمد بن علي ت852هـ/1448م. (1995م). **الإصابة في تمييز الصحابة**. ط1. تح عادل عبد الموجود وعلي معوض. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج2 ص:576؛ ج5 ص:624؛ ج8 ص:536.

51. العسقلاني. أحمد بن علي ت852هـ/1448م. (د.ت). **تهذيب التهذيب**. اعتنى به ابراهيم الزيبق وعادل مرشد. بيروت: لبنان. دار الرسالة. ج4 ص:705.

52. العسكري. الحسن بن عبد الله ت395هـ/1004م. (1987م). **الأوائل**. ط1. القاهرة: مصر. دار البشير. ص:464.

53. العماد الأصفهاني. محمد بن محمد ت597هـ/1200م. (2002م). **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**. ط2. تح عمر تدمري. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ص:566.

54. ابن العماد. عبد الحي بن أحمد ت1089هـ/1678م. (1986م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ط1. تح محمود الأرناؤوط. دمشق: سوريا. دار ابن كثير. ج1 ص:424.

55. العمري. أحمد بن يحيى ت749هـ/1348م. (1996م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. ط2. تح عبد الحميد حمدان، (د.م). مكتبة مدبولي. ج1 ص:658.

56. الفاسي. محمد بن أحمد ت832هـ/1428م. (2001م). **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**. ط1. تح علي عمر. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ص:412.

57. أبو الفداء. اسماعيل بن علي ت732هـ/1331م. (1840م). **تقويم البلدان**. باريس: فرنسا. دار الطباعة السلطانية. ج1 ص:602.

58. أبو الفداء. اسماعيل بن علي. ت732هـ/1331م. (د.ت). **المختصر في أخبار البشر**. بيروت: لبنان. دار الكتاب اللبناني. ج1 ص:155.

59. أبو الفرج. عبد الرحمن بن أحمد ت795هـ/1392م. (1985م). **الاستخراج لأحكام الخراج**. ط1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:159.

60. الفيروز أبادي. محمد بن يعقوب ت817هـ/1414م. (2005م). **القاموس المحيط**. ط8. تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف نعيم عرقسوسي. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ص:1498.

61. ابن قتيبة. عبد الله بن مسلم ت276هـ/889م. (1969م). **المعارف**. ط2. تح ثروت عكاشة. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:982.

62. ابن قتيبة. عبد الله بن مسلم ت276هـ/889م. (1990م). **الإمامة والسياسة**. ط1. تح علي شيري. بيروت: لبنان. دار الأضواء. ج1 ص:243.

63. ابن قتيبة. عبد الله بن مسلم ت276هـ/889م. (2008م). **عيون الأخبار**. ط1. تح منذر أبو شعر. (د.م). (د.ن). ج1 ص:489.

64. القرشي. يحيى بن آدم ت203هـ/818م. (1987م). ط1. **كتاب الخراج**. تح حسين مؤنس. القاهرة: مصر. دار الشروق. ص:234.

65. القزويني. زكريا بن محمد ت682هـ/1283م. (د.ت). **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: لبنان. دار صادر. ص:699.

66. القلقشندي. أحمد بن علي ت821هـ/1418م. (1922م). **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، القاهرة: مصر. دار الكتب المصرية. ج6 ص:570.

67. ابن كثير. اسماعيل بن عمر ت774هـ/1372م. (1997م). **البداية والنهاية**. ط1. تح عبد الله التركي. الجيزة: مصر. دار هجر. ج4 ص:588؛ ج5 ص:592؛ ج7 ص:690؛ ج9 ص:679؛ ج10 ص:692؛ ج11 ص:727؛ ج12 ص:742.

68. الكلاعي. سليمان بن موسى ت ت634هـ/1236م. (1979م). **الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الردة**. ط1. تح أحمد غنيم. (د.م). دار الاتحاد العربي. ص:264.

69. الكوفي. أحمد بن أعثم ت314هـ/926م. (1991م). **كتاب الفتوح**. ط1. تح علي شيري. بيروت: لبنان. دار الأضواء. ج1 ص:592.

70. الماوردي. علي بن محمد ت450هـ/1058م. (1989م). **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. تح أحمد البغدادي، الكويت: الكويت. دار ابن قتيبة. ج1 ص:672.

71. مؤلف مجهول من أهل القرن الثاني الهجري (1996م). **نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب**. ط1. تصحيح محمد تقي. طهران: إيران. مجمع الآثار والمفاخر الثقافية. ص:473.

72. مؤلف مجهول (1999م). **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. (أُلّف سنة 372هـ/982م). ط1. تح يوسف الهادي. القاهرة: مصر. الدار الثقافية. ص:164.

73. المِزِّي. جمال الدين أبي الحجاج يوسف ت742هـ/1341م. (1983م). **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. تح بشار معروف. بيروت: لبنان. دار الرسالة. ج2 ص:537؛ ج10 ص:561؛ ج11 ص:467؛ ج12 ص:623؛ ج14 ص:571؛ ج15 ص:524؛ ج18 ص:556؛ ج19 ص:571؛ ج27 ص:602؛ ج28 ص:614.

74. المسعودي. علي بن الحسين ت345هـ/956م. (1996م). **مرآة الزمان ومن أبادَه الحِدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**. ط1، بيروت: لبنان. دار الأندلس. ص:271.

75. المسعودي. علي بن الحسين ت345هـ/956م. (2005م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. اعتنى به كمال مرعي. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ج1 ص:296.

76. المسعودي. علي بن الحسين ت345هـ/956م. (د.ت). **التنبيه والإشراف**. تح عبد الله الصاوي. القاهرة: مصر. دار الصاوي. ص:436.

77. مسكويه. أحمد بن محمد ت421هـ/1030م. (2002م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. ط1. تح سيد حسن. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:383؛ ج2 ص:606.

78. المقدسي. المطهر بن طاهر ت بعد 355هـ/بعد 966م. (1899م). **البدء والتاريخ**. تح كليمان هوار. القاهرة: مصر. مكتبة الثقافة الدينية. ج1 ص:218؛ ج4 ص:255؛ ج5 ص:253.

79. المقدسي. محمد بن أحمد ت 380هـ/990م. (1991م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط3. القاهرة: مصر. دار مدبولي. ص:498.

80. المقريزي. أحمد بن علي ت ت845هـ/1441م. (1999م)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**. ط1. تح محمد النميسي. بيروت: لبنان. دار الكتب العليمة. ج8 ص:400.

81. ابن منده. عبد الرحمن بن محمد ت470هـ/1078م. **المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الناس للمعرفة**. تح عامر التميمي. مملكة البحرين. وزارة العدل والشؤون الإسلامية. ج2 ص:618.

82. النديم. محمد بن اسحق ت377هـ/987م. (2009م). **الفهرست**. (د.م). مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. عني به أيمن سيد. ج1 ص:100. ج3 ص:514.

83. ابن هشام. عبد الملك بن هشام ت218هـ/833م. (د.ت). **السيرة النبوية**. تح مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وآخرون. بيروت: لبنان. دار القلم. ج1 ص:528.

84. الواقدي. محمد بن عمر ت207هـ/822م. (1984م). **المغازي**. ط3. تح مارسدن جونس. القاهرة: مصر. (د.ن). ج1 ص:500.

85. الواقدي. محمد بن عمر ت207هـ/822م. (د.ت). **فتوح الشام**. ط1. ضبطه وصحّحه عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:608.

86. ابن الوردي. عمر بن مظفر ت749هـ/1348م. **تاريخ ابن الوردي**. (1996م). ط1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ج1 ص:376.

87. اليافعي. عبد الله بن أسعد ت768هـ/1366م. (1993م). ط1. **مرآة الجِنان وعِبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. القاهرة: مصر. دار الكتاب الإسلامي. ج1 ص:528.

88. اليعقوبي. أحمد بن اسحاق ت292هـ/905م. (2010م). **تاريخ اليعقوبي**. ط1. تح عبد الأمير مهنا. بيروت: لبنان. دار الأعلمي. ج1 ص:460.

89. اليعمري. محمد بن محمد ت734هـ/1333م. (د.ت). **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**. تح محمد الخطراوي ومحيي الدين متو. دمشق: سوريا. دار ابن كثير. ج1 ص482.

90. أبو يوسف. يعقوب بن ابراهيم ت182هـ/798م. (1979م). **كتاب الخراج**. بيروت: لبنان. دار المعرفة. ص:244.

المراجع العربية:

1. ابراهيم، ابراهيم، وحسن، حسن. (2003م). **معالم التاريخ البيزنطي**. الاسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:440.
2. أحمد، محمد. (2010م). **تاريخ الحضارة البيزنطية**. ط1. دمشق: سوريا. دار التكوين. ص:215.
3. أحمد، مصطفى. (1986م). **دراسات في تاريخ الدولة العربية**. ط4. الدار البيضاء: المغرب. دار النشر المغربية. ص:596.
4. أحمد، مصطفى وعثمان، حسام. (2004م). ط1. **الموسوعة الجغرافية**. القاهرة: مصر. دار العلوم. ج2 ص:114؛ ج3 ص:110؛ ج4 ص:223.
5. اسماعيل، ليلى. (1985م). **الدولة البيزنطية في عصر الامبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين**. القاهرة: مصر. دار النهضة العربية. ص:477.
6. الألوسي، محمود شكري. (2009م). **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**. ط2. (د.م). دار الكتاب المصري. ج1 ص:422. ج3 ص:468.
7. بخيت، رجب. (2009م). **تاريخ الإسلام في أذربيجان**. القاهرة: مصر. دار العلم والإيمان. ص:300.
8. برو، توفيق. (1996م). **تاريخ العرب القديم**. ط2. دمشق: سوريا. دار الفكر. ص:334.
9. بطاينة، محمد. (1987م). **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**. عمّان: الأردن. دار الفرقان. ج2 ص:200.

10. بلتاجي، محمد. (د.ت). **منهج عمر بن الخطاب في التشريع**. (د.م). دار الثقافة العربية للطباعة. ص:596.

11. البوطي، محمد سعيد. (1991م)، **فقه السيرة النبوية**. ط1. دمشق: سوريا. دار الفكر. ص:400.

12. تركماني، أسامة. (2007م). **تاريخ الأتراك والتركمان**. حمص: سوريا. دار الإرشاد للنشر. ص:362.

13. توفيق، عمر. (1967م). **تاريخ الامبراطورية البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. دار المعارف. ص:227.

14. الجاف، حسن. (2008م). **موسوعة تاريخ إيران السياسي**. ط1. بيروت: لبنان. الدار العربية للموسوعات. ج1 ص:240.

15. الجبري، عبد المتعال. (1989م). **أصالة الدواوين والنقود العربية**. ط1. القاهرة: مصر. مكتبة وهبة. ص:108.

16. الجبوري. يحيى. (د.ت). **الكتاب في الحضارة الإسلامية**. ط1. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص:556.

17. أبو الجدايل، عائشة. (1995م). **الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي**. ط1. الرياض: السعودية، دار المفردات. ص:540.

18. الحاج حسن، حسين. (1987م). **النظم الإسلامية**. ط1. بيروت: لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ص:528.

19. حركات، ابراهيم. (1989م). **السياسة والمجتمع في العصر النبوي**. بيروت: لبنان. منشورات دار الآفاق الجديدة. ص:376.

20. حسن، حسن ابراهيم. (1996م). **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**. ط14. بيروت: لبنان. دار الجيل. ج1 ص:504.

21. حمد، أحمد. (1982م). **الجانب السياسي في حياة الرسول**. ط1. الكويت: الكويت. دار القلم. ص:152.

22. الخربوطلي، علي. (1994م). **الحضارة العربية الإسلامية**. ط2. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي. ص:321.

23. الخضري بك، محمد. (2003م). **الدولة العباسية**. ط1. القاهرة: مصر. مؤسسة المختار. ص:482.

24. الخضري بك، محمد. (1986م). **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية**. ط1. بيروت: لبنان. دار القلم. ص:583.

25. خطاب، محمود. (1965م). **قادة فتح بلاد فارس**. ط1. بيروت: لبنان. دار الفتح. ص:408.

26. خطاب، محمود. (1990م). **أرمينية بلاد الروم**. ط4. بيروت: لبنان. دار قتيبة. ص:444.

27. أبو خليل، شوقي. (1994م). **الحضارة العربية الإسلامية**. ط1. دمشق: سوريا. دار الفكر. ص:574.

28. خماش، نجدت. (1987م). **الشام في صدر الإسلام**. دمشق: سوريا. دار طلاس. ص:439.

29. خياطة. نهاد، (د.ت). **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**. (د.م). دار الأوائل. ص:173.

30. داغر، أسعد. (1919م). **حضارة العرب**. ط2. (د.م). مطبعة المقتطف. ص:320.

31. درادكة، صالح. (2011م). **دراسات في الجغرافية التاريخية لبلاد الشام**. ط1. عمّان: الأردن. مطبعة السفير. ص:380.

32. الدوري، عبد العزيز. (د.ت). **العصر العباسي الأول**. ط1. بيروت: لبنان. دار الطليعة. ص:248.

33. ربيع، حسنين. (1995م). **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**. ط5. القاهرة: مصر، دار النهضة العربية. ص:360.

34. رحاحلة، ابراهيم. (1999م). **النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين**. ط1. القاهرة: مصر. مكتبة مدبولي. ص: 180.

35. الرحيم، عبد الحسين. (1995م). **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**. طرابلس: لبنان. الجامعة المفتوحة. ص:266.

36. رستم، أسد. (1955م). **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**. بيروت: لبنان. دار المكشوف. ج1 ص:709.

37. رستم، أسد. (د.ت). **كنيسة مدينة الله انطاكيا العظمى**. بيروت: لبنان. منشورات النور. ج1 ص:465.

38. الرفاعي، محمد. (د.ت). **الدور الإيراني في العصر الأموي**. القاهرة: مصر. جامعة القاهرة. ص:205.

39. الزبيدي، محمد. (1998م). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تح مصطفى حجازي. الكويت: الكويت. وزارة الإرشاد والأنباء. ج12 ص:560؛ ج16 ص:590؛ ج26 ص:486؛ ج30 ص:507.

40. الزركلي، خير الدين. (2002م). **الأعلام**. ط15. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ج1 ص:336 ج2 ص:341؛ ج3 ص:355؛ ج4 ص:334؛ ج6 ص:335؛ ج7 ص:352.

41. زغلول، الشحات. (1975م). **السريان والحضارة الإسلامية**. الاسكندرية: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:257.

42. زكار. سهيل. (1997م). **المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي**. ط1. دمشق: سوريا. دار الكتاب العربي. ج2 ص:431.

43. زكار، سهيل. اسماعيل، اكتمال، وجوني، وفاء. (2004م). **حروب الفرنجة**. دمشق: سوريا. منشورات جامعة دمشق. ص:463.

44. زيدان، جرجي. (1922م). **العرب قبل الإسلام**. ط2. القاهرة: مصر. مطبعة الهلال. ج1 ص:268.

45. زيدان، جرجي. (2014م). **تاريخ آداب اللغة العربية**. القاهرة: مصر. مطبعة الهلال. ج1 ص:322.

46. زيدان، جرجي. (د.ت). **تاريخ التمدن الإسلامي**. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ج1 ص:448؛ ج4 ص:260؛ ج5 ص:196.

47. الشاعر، محمد. (1989م). **السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في القرن السادس**. المنوفية: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:286.

48. شاكر، محمود. (1975م). **إيران**، (د.م). المكتب الإسلامي. ص:133.

49. شاكر، محمود. (2000م). **التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية**. ط6. بيروت: لبنان. المكتب الإسلامي. ج1 ص:224.

50. شاكر، محمود. (1972م). **قفقاسيا**. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ص:95.

51. الشامي، فاطمة. (2002م). **الحضارة البيزنطية**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:111.

52. الشطي. أحمد. (1963م). **مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي**. دمشق: سوريا. مطبعة جامعة دمشق. ص:222.

53. شلبي، أحمد. (1987م). **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**. ط12. القاهرة: مصر. مكتبة النهضة المصرية. ج1 ص:682.

54. شلبي، أبو زيد. (2012م). **تاريخ الحضارة الإسلامية**. القاهرة: مصر. مكتبة وهبة. ص:342.

55. الشهابي، قتيبة. (2006م). معجم المواقع الأثرية في سورية. دمشق: سورية. منشورات وزارة الثقافة. ص:328.

56. الشيخ، محمد مرسي. (1994م). **تاريخ الامبراطورية البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:407.

57. صالح، قاسم. (1989م). **العسكرية الإسلامية في العصر الراشدي**. ط1، (د.م). (د.ن). ص:187.

58. صالح، مهدية. (2017م). **العلاقات السياسية الساسانية البيزنطية**. ط1. بغداد: العراق. دار عدنان. ص:348.

59. الضحيان، عبد الرحمن. (1991م). **الإدارة والحكم في الإسلام**. ط3. (د.م). (د.ن). ص:380.

60. الصعيدي. عبد المتعال. (1933م). **تاريخ العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**. مطبعة العلوم بجنينة لاظ. ص:208.

61. الصلابي، علي. (2005م). **سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**. ط1. القاهرة: مصر. مؤسسة اقرأ. ص:587.

62. الصلابي، علي. (2008م). **معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره**. ط1. شبرا: مصر. دار الأندلس الحديثة. ص:527.

63. ضيف، شوقي. (د.ت)، **العصر العباسي الأول**. ط8. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:576.

64. الطريفي، ناصر. (1994م). **القضاء في عهد عمر بن الخطاب**. ط2. الرياض: السعودية. مكتبة التوبة. ص:606.

65. طقوش، محمد. (2009–أ). **تاريخ الدولة العباسية.** ط7. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص:281.

66. طقوش، محمد. (2009م–ب). **تاريخ العرب قبل الإسلام**. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص:496.

67. العابد، مفيد. (1999م). **معالم تاريخ الدولة الساسانية**. ط1. دمشق: سوريا. دار الفكر. ص:164.

68. عاشور، سعيد. (1976م). **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**. بيروت: لبنان، دار النهضة العربية. ج1 ص:372.

69. عاشور، سعيد، وزغلول، سعد. (1996م). **دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية**. القاهرة: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:555.

70. عاقل، نبيه. (1969م). **الامبراطورية البيزنطية**. دمشق: سوريا. منشورات جامعة دمشق. ص:362.

71. عبادة، محمد. (د.ت). **عمر بن الخطاب في الإسلام.** بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص:196.

72. العبادي، مصطفى. (1999م). **الامبراطورية الرومانية**. اسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:312.

73. عبد الحميد، رأفت. (1997م). **بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة**. ط1. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:348.

74. عبد الحميد، سعد. (1975م). **في تاريخ العرب قبل الإسلام**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:432.

75. العبد الغني، عبد الرحمن. (1989م). **أرمينية وعلاقتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين**، ط1. (د.م). مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ص:124.

76. عبده، سمير. (2002م). **السريانية العربية الجذور والامتداد**. ط2. دمشق: سوريا. منشورات دار علاء الدين. ص:119.

77. عبد الوهاب، محمد. (1997م). **مختصر سيرة الرسول**. الرياض: المملكة العربية السعودية. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ص:336.

78. عبيد، طه. (2005م). **تنظيمات الجيش البيزنطي**. ط1. الموصل: العراق. (د.ن). ص:260.

79. العتابي، عبد الهادي. (2013م). **أثر الصراع الفكري الساساني البيزنطي في حضارة العرب**. ط1. دمشق: سوريا. دار تموز. ص:340.

80. عثمان، فتحي. (د.ت). **الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري**. (د.م). الدار القومية للطباعة والنشر. ج1 ص:429؛ ج2 ص:448 ج3 ص:397.

81. العدوي، ابراهيم. (1951م). **الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية**. القاهرة: مصر. مكتبة نهضة مصر. ص:248.

82. العدوي، ابراهيم. (1953م). **الأمويون والبيزنطيون**. القاهرة: مصر. مكتبة الأنجلو المصرية. ص:302.

83. العدوي، ابراهيم. (1994م). **الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم**. ط1. الفيوم: مصر. دار رياض الصالحين. ص:282.

84. العريني، السيد الباز. (1982م). **الدولة البيزنطية 323-1081م**. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:946.

85. عزام، خالد. (2009م)، **العصر العباسي**. عمَّان: الأردن. دار أسامة. ص:312.

86. عزت، يوسف. (1912م). **تاريخ القوقاز**. استنبول: تركيا. مطبعة عيسى الحلبي. ص:398.

87. العسلي، بسام. (1988م). **فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين**. بيروت: لبنان. دار الفكر. ج1 ص:640.

88. العش، يوسف. (1985م). **الدولة الأموية**. ط2. دمشق: سوريا. دار الفكر. ص:378.

89. عطا، زبيدة. (1994م). **الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية**. ط1. القاهرة: مصر. دار الأمين. ص:218.

90. العلان، أرواد. (2009م). **فارس وبيزنطة**. دمشق: سوريا. دار رسلان. ص:228.

91. علي، جواد. (1993م). **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط2. (د.م). (د.ن). ج1 ص:663. ج2 ص:663؛ ج5 ص:653؛ ج6 ص:822؛ ج7 ص:638.

92. العلي، صالح. (2000م). **تاريخ العرب قبل الإسلام والبعثة النبوية**. ط1. بيروت: لبنان. شركة المطبوعات للطباعة والنشر. ص:436.

93. عمارة، محمد. (1993م). **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1. بيروت: لبنان. دار الشروق. ص:752.

94. عمر، أحمد. (2008م). **معجم اللغة العربية المعاصرة**. ط1. القاهرة: مصر. عالم الكتب. ج1 ص:833؛ ج3 ص:863.

95. عمر، فاروق. (1989م). **تاريخ إيران دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة**. بغداد: العراق. منشورات بيت الحكمة. ص:245.

96. عمران، محمود. (2000م). **معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:421.

97. عمران، محمود. (2006م). **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**. ط1. بيروت: لبنان. دار النهضة العربية. ص:363.

98. العمري. أكرم. (د.ت). **عصر الخلافة الراشدة**. (د.ت). (د.م). مكتبة العبيكات. ص:530.

99. عوض، محمد. (2007م). **الامبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة**. ط1. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث. ص:557.

100. غنيم، اسمت. (1990م). **تاريخ الامبراطورية البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:324.

101. فارس، نايف. (2011م). **عبق الرياحين في سيرة ذي الجناحين**. الكويت: الكويت. مبرة الآل والأصحاب. ص:256.

102. فايدة، مصطفى. (1997م). **تأسيس عمر بن الخطاب للديوان**. ط1. تر مسعد الشامان. (د.م). مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية. ص:168.

103. فرج، وسام. (1982م). **دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. (د.ن). ص:385.

104. فرج، وسام. (2004م). **بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري**. ط1. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:259.

105. فرح، نعيم. (1978م). **تاريخ بيزنطة السياسي**. دمشق: سوريا. مطبعة طربين. ص:375.

106. فروخ، عمر. (1966م). **العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي**، بيروت: لبنان. دار العلم للملايين.225.

107. الفقي، عصام. (د.ت). **معالم التاريخ الإسلامي**. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص:406.

108. الفيومي، محمد. (2003م). **الخوارج والمرجئة**. ط1. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص:430.

109. كرد علي، محمد. (1934م). **الإدارة الإسلامية في عز العرب**. القاهرة: مصر. مطبعة مصر. ص:192.

110. كرد علي، محمد. (2017م). **الإسلام والحضارة العربية**. (د.م). مؤسسة هنداوي. ص:836.

111. كرد علي، محمد. (2018م). **خطط الشام**. دمشق: سوريا. مطبعة المفيد. ج5 ص:324.

112. الكروي. ابراهيم. (2008م). **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**. الاسكندرية: مصر. مركز الاسكندرية للكتاب. ص:511.

113. الكعبي، نصير. (2015م). **الدولة الساسانية**. دمشق: سوريا. دار رسلان. ص:202.

114. اللحام، أحمد بك. (1986م). **عبقرية خالد بن الوليد العسكرية**. ط1. جدة: السعودية. دار المنارة. ص:65.

115. مؤنس، حسين. (1987م). **أطلس تاريخ الإسلام**. ط1. القاهرة: مصر. الزهراء للإعلام العربي. ص:525.

116. المحامي، محمد. (1981م). **تاريخ الدولة العلية العثمانية**. ط1. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص:832.

117. محمد، عمر. (2009م). **البيزنطيون والعرب**. ط1. القاهرة: مصر. المجلس الأعلى للثقافة. ص:349.

118. محمود، منى. (1999م). **قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوربا**. ط1. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث. ص:121.

119. مصطفى، نادية. (1996م). **الدولة الأموية دولة الفتوحات**. ط1. القاهرة: مصر. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص:90.

120. معروف، ناجي. (1969م). **أصالة الحضارة العربية**. ط2. بغداد: العراق. مطبعة التضامن. ص:503.

121. معطي، علي. (2003م). **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**. ط1. بيروت: لبنان. دار المنهل اللبناني. ص:303.

122. معلوف، لويس. (1969م). **المنجد في اللغة والأعلام**. ط20. بيروت: لبنان. دار المشرق. ص:1040.

123. مغنية، أحمد. (1994م). **تاريخ العرب القديم**. ط1. بيروت: لبنان، دار الصفوة. ص:245.

124. منصور، طارق. (2015م). **بيزنطة مدينة الحضارة والنظم**. ط1. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص:337.

125. المنصوري، محمد. (2003م). **الحياة الدينية في بيزنطة**. ط1. صفاقس: تونس. دار أمل. ص:315.

126. الموحي، عبد الرزاق. (2007م). **العبادات في الديانات القديمة**. ط2. دمشق: سوريا. صفحات للدراسات والنشر. ص:108.

127. مهران، محمد. (د.ت). **دراسات في تاريخ العرب القديم**. (د.م). دار المعرفة الجامعية. ص:672.

128. الناصري، سيد أحمد. (1991م). **تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**. ط2. دار النهضة العربية. القاهرة: مصر. ص:544.

129. أبو النصر، عمر. (1936م). **معاوية بن أبي سفيان**. ط1. بيروت: لبنان. المطبعة الوطنية. ص:168.

130. أبو النصر، عمر. (1948م). **الحضارة الأموية في دمشق**. بيروت: لبنان. مطابع روطوس. ص:406.

131. أبو النصر، عمر. (1962). **عبد الملك بن مروان**. ط1. بيروت: لبنان. منشورات المكتبة الأهلية. ص:324.

132. النفراوي، محمد. (د.ت). **فارس بيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث إلى القرن السابع**. تونس: تونس. دار الجنود. ص:308.

133. نوفل، وضاح. نعمة، غطاس. (2017م). **تاريخ أوربا وحضارتها في العصور الوسطى**. دمشق: سوريا. منشورات جامعة دمشق. ص:510.

134. الهاشمي، رحيم. (2002م). **الحضارة العربية الإسلامية**. القاهرة: مصر. الدار المصرية اللبنانية.ص:236.

135. يوسف، جوزيف. (1984م). **تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها**. اسكندرية: مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص:418.

136. يوسف، جوزيف. (2005م). **تاريخ الدولة البيزنطية**. الاسكندرية: مصر. دار المعرفة الجامعية. ص:304.

137. اليوسف، عبد القادر. (1984م). **الامبراطورية البيزنطية**. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية. ص:217.

المراجع المعربة:

1. اربري، أ. (1959م). **تراث فارس**. تر محمد كفافي ومحمد خفاجة وأحمد عيسى. القاهرة: مصر. (د.ن). ص:295.

2. أومان، ت. (1953م). **الامبراطورية البيزنطية**. تر مصطفى بدر. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي. ص:389.

3. بارتولد. ف. (2013م). **تاريخ الحضارة الإسلامية**. ط1. تر حمزة طاهر. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:129.

4. براون، إ. (2005م). **تاريخ الأدب في إيران**. ط1. تر أحمد حلمي. (د.م). المجلس الأعلى للثقافة. ص:494.

5. بروي، إ. (1986م). **موسوعة تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى**. ط2. تر يوسف وفريد داغر. بيروت: لبنان. منشورات عويدات. ج3 ص:806.

6. بل، س. (1948م). **الهلينية في مصر البيزنطية**. ط2. تر زكي علي. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص:238.

7. بيرنيا، ح. (1992م). **تاريخ إيران القديم**. ط2. تر محمد عبد المنعم والسباعي السباعي. الفجالة: مصر. دار الثقافة. ص:518.

8. بيغوليفسكيا، ن. (1983م). **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**. تر صلاح الدين هاشم. الخرطوم: السودان. (د.ن). ص:342.

9. بينز، ن. (د.ت). **الامبراطورية البيزنطية**. تر حسين مؤنس ومحمود زايد. القاهرة: مصر. مطبعة لجنة التأليف. ص:441.

10. جوسان، ا. (2011م). **طبقات المجتمع**. ط2. تر السيد محمد بلوي. (د.م). شركة الأمل للطباعة. ص:212.

11. داوني، ج. (1967م). **أنطاكيا القديمة**. تر ابراهيم نصحي. القاهرة: مصر. دار نهضة مصر. ص:372.

12. دنلوب، م. (1986م). **تاريخ يهود الخزر**. تر سهيل زكار. دمشق: سوريا. دار إحسان. ص:359.

13. دوزي، ر. (2012م). **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**. ط1. بيروت: لبنان. الدار العربية للموسوعات. ص:408.

14. ديورانت، و. (1947م). **قصة الحضارة الفارسية**، تر ابراهيم الشواربي. (د.م). مكتبة الخانجي. ص:112.

15. ديورانت، و. (1988م). **قصة الحضارة**، تر محمد بدران، بيروت: لبنان. دار الجيل. ج1 ص:752؛ ج12: 348.

16. رنسيمان، س. (1997م). **الحضارة البيزنطية**، ط2. تر عبد العزيز جاويد. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:440.

17. ساليفان، ر. (1985م). **ورثة الامبراطورية الرومانية**. ط1. تر جوزيف يوسف. اسكندرية: مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص:247.

18. سيديو، ل. (2017م). **خلاصة تاريخ العرب**. تر محمد عبد الرازق. (د.م). مؤسسة هنداوي. ص:286.

19. شينية، ج. (2008م). **تاريخ بيزنطة**. ط1. تر جورج زيتاني. بيروت: لبنان. دار الكتاب الجديد المتحدة. ص:139.

20. العباداني، ع. (2011م). **تأريخ الديانة الزرادشتية**. ط1. تر عبد الستار كلهور. (د.م). مركرياني للبحوث والنشر. ص:162.

21. فيزهوفر، ي. (2009م). **فارس القديمة 550ق.م–650م**. ط1. تر محمد جديد. مراجعة زياد منى. بيروت: لبنان. دار قدمس. ص:367.

22. كاتوزيان، هـ. (2014م). **الفرس**. ط1. تر أحمد حسن المعيني. (د.م). دار جداول. ص:625.

23. كريستنسن، آ. (1998م). **إيران في عهد الساسانيين**، تر يحيى الخشاب. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:608.

24. كريمر، ف. (1947م). **الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية**. تر مصطفى بدر. (د. م). دار الفكر العربي. ص:184.

25. لسترنج، ك. (د.ت). **بلدان الخلافة الشرقية**. تر بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة. ص:588.

26. مطهري، م. (1997م). **الإسلام وإيران**. تر محمد هادي الغروي. طهران: إيران. مطبعة سبهر. ص:536.

27. نيكول، د. (2003م). **معجم التراجم البيزنطية**. تر حسن حبشي. (د.م). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:284.

28. نولدكه، ث. (1933م). **أمراء غسان**. (د.م). المطبعة الكاثوليكية. ص:100.

29. هالدون، ج. (2011م). **بيزنطة في حرب**. تر فتحي محمد. الكويت: الكويت. دار ناشري. ص:91.

30. هسي، ج. (1997م). **العالم البيزنطي**. تر رأفت عبد الحميد. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث. ص:337.

31. ولبر، د. (1985م). **إيران ماضيها وحاضرها**، ط2. تر عبد النعيم حسنين، بيروت: لبنان. دار الكتاب اللبناني. ص:320.

المقالات:

1. أحمد. ابراهيم. (2015م). تأثر العربية بالاصطلاحات الإدارية والآثار الأدبية الفارسية من العهد الساساني إبان عصر الخلفاء، **مجلة رسالة المشرق**. مج:30. العدد:1,4. ص:203-269. مصر. جامعة القاهرة مركز الدراسات الشرقية.

2. الآغا. مسعود. (2014م). **الدور الحضاري في الخلافة الراشدة**. مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين الخلافة الراشدة والقيم الفكرية والحضارية. (د.م). ص:193.

3. الجمعية التاريخية السعودية. (2006م). الجمعية التاريخية السعودية. **الإقطاع الإسلامي في العصر النبوي**. الرياض: السعودية. ص:252.

4. الجمعية التاريخية السعودية. (2014م). **التواصل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والآداب والفنون**. الرياض: السعودية. ص:209.

5. الحارثي. سوزان (2022م، كانون الثاني). العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة الأموية والامبراطورية البيزنطية من عام (132-41هـ/661-750م)، **مجلة كلية دار العلوم**، مج:39. العدد:138. ص:569-ص:600. مصر. جامعة القاهرة كلية دار العلوم.

6. الخرابشة، ممدوح، والنعيمات، سلامة. (2011م). طرق التجارة في بلاد الشام في العصر البيزنطي من القرن الأول إلى القرن السابع. **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**. مج:5، عدد:2. ص:1-ص:22. الأردن. الجامعة الأردنية.

7. عبد الرحيم، ممدوح. (1998م). المؤثرات الفارسية في الحياة الاجتماعية بالعراق في عهد الأمويين. **المجلة العلمية لكلية الآداب**. العدد1، ص:317-ص:350. أسيوط: مصر. جامعة أسيوط كلية الاداب.

8. عبد الهادي، حليمة. (2024م). دراسة كتاب الامبراطور موريس حول الاستراتيجية العسكرية البيزنطية أواخر القرن السادس الميلادي (602-582م). **مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية**. مج:148، عدد:3. ص:1-ص25. دمشق: سوريا. جامعة دمشق.

9. علي، رويدا. (2017م). أسس النظام الإداري في العصر الأموي. **مجلة جامعة البعث**. مج:39. عدد:36. ص:39- ص:67. سوريا.

10. فرج، وسام. (1984م). أضواء على مجتمع القسطنطينية. **مجلة كلية الآداب**. العدد:5، ص:65-ص:135. مصر. جامعة المنصورة.

11. مهران، محمد. (1977م). مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة. **مجلة كلية العلوم الاجتماعية**، العدد:1. ص:127-ص:290. الرياض: السعودية. المطابع الأهلية للأوفست.

12. نصر، نور. (2021م): النظام الإداري في الدولة الساسانية. **مجلة بحوث جامعة حلب**. العدد:144. ص:1-ص:15. حلب: سوريا.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. جديع، كلوديا. (2008م). **بلاد الشام في العصر البيزنطي من القرن الرابع الى منتصف القرن السابع الميلادي**. ماجستير. قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة آل البيت. (د.م). ص:113.

2. الجوابرة، وفاء. (2016م). **التغيرات النقدية في سورية خلال الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن الثامن (550م- 750م) دراسة أثرية.** دكتوراه. قسم الآثار. كلية الآداب. جامعة دمشق. دمشق: سوريا. ص:408.

3. ضية، نور. (2016م). **المؤثرات البيزنطية في الحضارة العربية الإسلامية في العهد العباسي(123-232هـ/750-847م)**. ماجستير. قسم التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة يحيى فارس. (د.م). ص:90.

4. عبد العزيز، أماني. (2008م). **الإدارة في الإسلام**. دكتوراه. قسم الدراسات الإسلامية. كلية الآداب. جامعة الخرطوم. الخرطوم: السودان. ص:218.

5. العلان، أرواد. (2005م). **السياسة الساسانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي**. ماجستير. التاريخ القديم. قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة دمشق. دمشق: سوريا. ص: 348.

6. محمد، يونس. (2011م). **علاقة مملكة الحيرة مع الامبراطورية البيزنطية من القرن الرابع الميلادي حتى مطلع القرن السابع الميلادي**. التاريخ القديم. ماجستير. قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة دمشق، دمشق: سوريا.

المصادر الفارسية المعربة:

1. ابن البلخي. محمد بن الحسن ت511هـ/1116م. (2001م). **فارس نامة**. تر وتح يوسف الهادي. القاهرة: مصر. دار الثقافة. ص:175.
2. تنسر، هـ. (1954م). **كتاب تنسر**. تر يحيى الخشاب. القاهرة: مصر. دار جماعة الأزهر. ص:84.
3. الثعالبي. عبد الملك بن محمد ت429هـ/1037م. (د.ت). **غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**. باريس: فرنسا. المطبعة الوطنية. ص:828.
4. خسرو. ناصر خسرو ت481هـ/1088م. (1993م). **سفر نامة**. ط2. تح يحيى الخشاب. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية للكتاب. ص:192.
5. الطوسي. حسن بن علي ت485هـ/1092م. (2007م). **سياست نامة**. ط1. تر يوسف بكار. بيروت: لبنان. دار المناهل. ص:299.
6. الفردوسي. أبو منصور بن فرخ ت411هـ/1021م. (1979م). **الشاهنامة**، ط2. تر سمير مالطي. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين. ص:874.

المصادر البيزنطية:

1. Constantine VII. (1967). **De Administrando imperio**. translated by R. J. H. Jenkins. Washington: USA. The dumbarton okas research library and collectiom. P:348.
2. Maurice. (1984). **Maurice's Strategikon**. Handbook of Byzantine Military Strategy. translated by George T. Dennis. Philadelphia. The university of Pennsylvania press. P:208.
3. Nikephoros. (1990). **Short History**. translated by Cyril Mango. Washington: USA. Dumbarton Oaks research library and collection. V:13 p:264.

4. Simocatta. (1986). **The History of Theophylact Simocatta**. translated by Michael and Mary Whitby. Oxford. P: 322
5. Theophanes. (1997). **Chronicle of Theophanes confessor**. translated by Cyril Mango and Roger Scott. Oxford. Clarendon press. P:744.
6. Unknown. (1989). **Chronicon Paschale**. translated by Michael and Mary Whitby. Liverpool :UK. Liverpool University Press. P:276.
7. Zonaras. (2009). **The History of Zonzras**. translated by Thomas M. Banchich and Eugene N. Lane. New York: USA. Routledge. P:328.

المصادر البيزنطية المعربة:

1. بروكوبيوس. **التاريخ السري**. (2001م). ط1. تر صبري سليم. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ص:144.

المصادر السريانية المعربة:

1. الآسيوي. يوحنا ت586م. (2000م). **تاريخ الكنيسة.** تر صلاح محجوب. المجلس الأعلى للثقافة. (د.م). ج3 ص:165.
2. إيفاجريوس. إيفاجريوس الخلقيدوني. (2019م). **التاريخ الكنسي لإيفاجريوس (الخلقيدوني)**. تر بولا ساويرس. مشروع الكنوز القبطية. (د.م). ج1 ص:152؛ ج2 ص:215؛ ج3 ص:420.
3. ابن بطريق. أفتيشيوس المُكنّى بسعيد بن بطريق ت 328هـ/940م (1905م). **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق.** بيروت: لبنان. مطبعة الآباء اليسوعيين. ج2 ص:533.
4. ابن العبري. غريغوريوس بن أهرون ت 685هـ/1286م. (1994م). **تاريخ مختصر الدول**. ط2. صحَّحه أنطون اليسوعي. بيروت: لبنان. دار الرائد اللبناني. ج1 ص:299.
5. عطية. عزيز سوريال. (2005م). **تاريخ المسيحية الشرقية**. تح إسحاق عبيد. القاهرة: مصر. المجلس الأعلى للثقافة. ص:665.

6. مار ميخائيل. مار ميخائيل ت596هـ/1199م. (1996م). **تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير**، تر غريغوريوس شمعون. ماردين حلب: سوريا. دار الرها. ج1 ص:446. ج2 ص:473.

7. النقيوسي. يوحنا. (د.ت). **تاريخ العالم القديم**. تر بيشوى عبد المسيح. (د.م). ص:247.

8. النقيوسي. يوحنا. (2003م). **تاريخ مصر**. تر عمر عبد الجليل. القاهرة: مصر. عين للدراسات والبحوث. ص:286.

المصادر الأرمينية:

1. Sebeos. (N.d -A). **Histoire d' Héraclius**. traduite de l'arménie par Frederic Macler. Pasis: France. Imprimerie Nationale. P:163.
2. Sebeos. (N.d -B). **Sebeos' History of Armenia**. Translated by Robert Bedrosian. P:66.

المراجع الأجنبية:

1. Baynes. N, Moss. H. (1948). **Byzantium.** London: UK. Oxford university press. p:525.
2. Browning. R. (1980). **The Byzantine Empire**. US. Charles Scribner'sons. P:340.
3. Bury. J. (1889). **A history of the later Roman Empire**. London. R. Clark. V2 P:612.
4. Bury. J. (1911). **The Cambridge Medieval History.** The Macmilian company. Vol 1, p: 844.
5. Curta, F. (2004). **The Making of the Slavs**, Cambridge: UK. Cambridge University Press. P:494.
6. Frend. W. (1972**). The rise of the Monophysite movement.** Cambridge. Cambridge university press. P:423.
7. Frye. R.N. (1975). **Cambridge history of Iran.** London: UK. Cambridge university press. V3(1) P:804. V4 P:641.

8. Gregory. T. (2005). **A history of Byzantium.** USA. Blackweel publishing. P:397.
9. Haldon. J. (1990). **Byzantium in the seventh century**. Cambridge. Cambridge university press. P:518.
10. Herbert. C. (2016). **The first half of the seventeenth century**. Palala Press**.** P:369.
11. Hussy. J, Louth. A. (1990). **The Orthodox church in the Byzantine Empire**. Oxford university press. P:289.
12. Kaegi. W. (2003). **Heraclius emperor of Byzantium.** Cambridge: UK Cambridge University Press. P:369.
13. Kazhdan. P. (1991). **The Oxford Dictionary of Byzantium**, New York: Oxford. Oxford University Press. V1 P:728. V2 P:744. V3 P:757.
14. Liu. X. (2010). **The Silk road in world history**. New York: Oxford. Oxford University Press. P:169.
15. Mango. C. (2002). **The oxford history of Byzantium.** London: UK. Oxford university press. p:389.
16. Morgan. G. (2007). **Byzantium.** Spain. pocket essentials. P:158.
17. Ostrogorsky. G. (1968). **History of the byzantine state.** translated by Joan Hussy. Oxford. Alden Press. P:736.
18. Reinink, G. J. Bernard H. Stolte. (2002). **The Reign of Heraclius**. Paris. Peeters. P:335.
19. Sahas. D J. (2022). **Byzantium and Islam.** Leiden: Netherlands. Koninklijke Brill. P:550.
20. Shahid. I. (1995). **Byzantium and the Arabs in the sixth century**. Washington: USA. Dumbarton Oaks research library and collection. V1(1) P:746.
21. Shepard. J (2008). **The Cambridge History of The Byzantine Empire.** United Kingdom. Cambridge University Press. P:1215.

22. Tockner. K. (2008). **Rivers of Europe**. USA. The university of Albama. P:700.
23. Vasiliev. A. (1952). **History of the byzantine empire.** Canada. the university of Wiscnsin Press. V1 P:858.
24. Vlasto. A. P. (1970). **The entry of the Slavs into Christendom**. Cambridge: UK. Cambridge university press. p:447.
25. Vryonis. S. (1971). **Byzantium and Islam, seven-seventh century**. London: Uk. Variorum reprints. P:240.
26. Whittow. M. (1996). **The making of Orthodox Byzantium.** London: UK. Macmillan press. p:503.

المواقع الالكترونية:

1. https://ar.wikipedia.org/
2. https://www.ancient.eu/

Thus, the Arab-Islamic civilization was the result of an interaction between the Arab and Islamic foundations and principles, and what it inspired from the Persian Sassanian and Byzantine civilizational manifestations, which in turn took from and added to previous civilitions. Thus, civilitions grow and flourish through interaction while they decline through isolation.

Thesis summary:

The era of foreign sovereignty over the Arabs and their countries ended, and the Arabs began to rule themselves with the establishment of the Arab Islamic state at the hands of the Messenger of God, Muhammad, peace be upon him, that state which he established on the principles of Islamic law. However, his death prompted the caliphs after him to strengthen its foundations by working to stabilize its internal situation and secure its external borders so they eliminated the Persian Sassanid state and reduced the influence of the Byzantine Empire in their regions.

However, they did not withdraw into themselves and did not close the doors of communication with others, so their relations with the Byzantine Empire continued to fluctuate between peacefulness and hostility. They also socially integrated with the Sassanid Persians in several ways, such as socially, economically and even administratively and scientifically, thus influencing and being influenced by their customs, language, and culture. They also adopted from each of their civilizations the necessary administrative and economic aspects of civilization, so they established the bureaus and the postal system, used their own money, and benefited from their previous experiences in a way that did not contradict the foundations of their low, because they believed that their state was still young and new to governance and administration, and they had a long history in that. But they began with the beginning of the Umayyad era, especially during the reign of Calipha Muawiyah ibn Abi Sufyan, to imitate them in what contradicted the prophetic and Rashidun approach, such as creating the position of crown prince and appointing chamberlains and guards, in addition to displaying manifestations of luxury and grandeur, until the Arab Islamic civilization almost lost its authentic Arab identity. Therefore, Caliph Abdul Malik ibn Marwan took it upon himself to Arabize the bureaus and transfer them to the Arabic language, he also ordered the minting of purely Islamic Arabic coins and ordered their use, to the exclusion of all other coins, in all parts of the Islamic Arab state. He also established the science of grammar in the rules of the Arabic language through the efforts of a number of scholars after they heard the errors in the language spoken by the Arabs.

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Literature and Humanities
Department of History - Arabs and Islam

Persian and Byzantine influences on the Arab Islamic state in the seventh century AD

Administratively, economically and socially

Thesis submitted for the degree of doctorate in Islamic History

By:
Ghadeer Muhammad Yasin Aledlby

Supervisor:
Dr. Arwad Al-alan
Dr. Halema Abd Alhadi

2026/1447

Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Literature and Humanities
Department of History - Arabs and Islam

Persian and Byzantine influences on the Arab Islamic state in the seventh century AD

Administratively, economically and socially

Thesis submitted for the degree of doctorate in Islamic History

By:
Ghadeer Muhammad Yasin Aledlby

Supervisor:
Dr. Arwad Al-alan
Dr. Halema Abd Alhadi

2026/1447

Thesis summary:

The era of foreign sovereignty over the Arabs and their countries ended, and the Arabs began to rule themselves with the establishment of the Arab Islamic state at the hands of the Messenger of God, Muhammad, peace be upon him, that state which he established on the principles of Islamic law. However, his death prompted the caliphs after him to strengthen its foundations by working to stabilize its internal situation and secure its external borders so they eliminated the Persian Sassanid state and reduced the influence of the Byzantine Empire in their regions.

However, they did not withdraw into themselves and did not close the doors of communication with others, so their relations with the Byzantine Empire continued to fluctuate between peacefulness and hostility. They also socially integrated with the Sassanid Persians in several ways, such as socially, economically and even administratively and scientifically, thus influencing and being influenced by their customs, language, and culture. They also adopted from each of their civilizations the necessary administrative and economic aspects of civilization, so they established the bureaus and the postal system, used their own money, and benefited from their previous experiences in a way that did not contradict the foundations of their low, because they believed that their state was still young and new to governance and administration, and they had a long history in that. But they began with the beginning of the Umayyad era, especially during the reign of Calipha Muawiyah ibn Abi Sufyan, to imitate them in what contradicted the prophetic and Rashidun approach, such as creating the position of crown prince and appointing chamberlains and guards, in addition to displaying manifestations of luxury and grandeur, until the Arab Islamic civilization almost lost its authentic Arab identity. Therefore, Caliph Abdul Malik ibn Marwan took it upon himself to Arabize the bureaus and transfer them to the Arabic language, he also ordered the minting of purely Islamic Arabic coins and ordered their use, to the exclusion of all other coins, in all parts of the Islamic Arab state. He also established the science of grammar in the rules of the Arabic language through the efforts of a number of scholars after they heard the errors in the language spoken by the Arabs.

Thus, the Arab-Islamic civilization was the result of an interaction between the Arab and Islamic foundations and principles, and what it inspired from the Persian Sassanian and Byzantine civilizational manifestations, which in turn took from and added to previous civilitions. Thus, civilitions grow and flourish through interaction while they decline through isolation.